

محمد محمود الزبيري

الأعمال الشعرية الكاملة



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



لمشاركة ونشر كتابك راسلنا على:

books@yemenarchive.com



جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

١٤٢٥ هـ - 2004 م

رقم الايداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٥١)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء الحصة - ص.ب. (36) - (237)

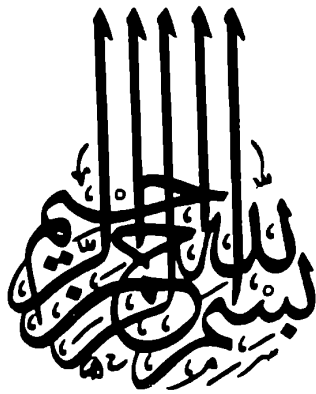
هاتف، 235114 - فاكس، 235113

بريد الكتروني، moc@y.net.ye

من بهاء صنعاء... وجماليات عبقها.. في عام نتويجها عاصمةً
للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاء بمجد الكلمة.. وجمال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات..
حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال
والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان

وزير الثقافة والسياحة



— ١ —

ليس محمد محمود الزبيري شاعراً فحسب ولا هو مناضل فحسب، بل هو كذلك صحفي وزعيم وطني وروائي وكاتب وشهيد، لذلك فقبل محاولة الكتابة عنه لا بد أن يثور السؤال أو الأسئلة التالية: ما الذي يمكن أن يستحضره الذهن حين يتذكر الزبيري؟.. هل تاريخ أول معارضة لحكم الإمامة في اليمن ثم انقلاب ١٩٤٨؟ أم تاريخ أو عمل صحفي حر في اليمن، ثم انقلاب ١٩٥٥؟.. هل كتابة أول عمل روائي أم ثورة ٢٦ سبتمبر؟.. ثم ذلك الجسد المضرج بالدم بعد رحلة الكفاح الطويل؟! كل هذا لا بد أن يستحضره الذهن قبل محاولة الكتابة عن الزبيري... فمن أين تكون البداية؟.

في الحقيقة أن الحديث هنا هو عن ديوان الزبيري... عن شعره، لكن هل يمكن الفصل بين الأديب الخالق والأدب المخلوق... بين الشاعر المبدع والنص المُبدع... بين الزبيري الإنسان والزبيري الشاعر، إن شخصية الأديب - كما هو معروف - بل وظروفه العامة والخاصة ثم رؤيته للحياة وموقفه من أحداث عصره، لا بد أن تترك أثراً ظاهراً وعميقاً على ما يكتبه من شعر أو نثر، وبالمقابل لا بد - إن كان الأديب صادقاً - أن يُذيب حياته في النص الأدبي، وأن يذوب النص الأدبي في حياة صاحبه، وقد أذاب محمد محمود الزبيري حقاً حياته في شعره، كما ذاب شعره في حياته حتى لا يمكن الفصل بينهما، يقول في مقدمة ديوانه الثاني: «ثورة الشعر»... (وتفاعلت نفسي مع الشعر وتفاعل معها ونما خلال نموّها، فكانت طفولتي طفولته، وشبابي شبابه، ونضجي نضجه، وكان يسير جنباً إلى جنب حيث أسير فهو ساذج في سنن المراهقة وطائش عندما أطيّش،

وحزين عندما أحزن، وحالِم بالسعادة وقتما أحلم، وإذا لَجِئْتُ لِعَبِّ مثلي، وإذا جَذِئْتُ قَلْدُ جَذِي^(١). ولعلي بعد ذلك لا أكون مسرفاً في الخطأ ولا مبالغاً في التصوّر حين أزعِم أن حياة الزبيرى هي شِعْرُه، وإن شئنا العكس فنقول: إن شعر الزبيرى هو حياته، فقد وُلِدَ الزبيرى في صنعاء في عام ١٣٢٨ هـ من أسرةٍ تنتمي إلى الطبقة الوسطى ويشغل بعض أفرادها بالقضاء والبعض الآخر بالتجارة، وقد نشأ شاعرنا - منذ طفولته الباكِرة - نشأةً روحيةً متصوّفةً: (بدأتُ حياتي طالب علم ينحو منحى الصوفية في العزوف، والروحانية، وتعشّقتُ هذا اللون من الحياة رغم اليُتم والشظف والقِلّة، ونعمت به كما لم أنعم بشيءٍ آخر بعد ذلك)^(٢). وهذه النشأة الروحانية الزاهدة المتصوّفة جعلته غير ميّال إلى القضاء وغير مهتم بالتجارة رغم شظف العيش الذي عانى منه، فالقضاء لا يُشبع رغبته وطموحه إلى اكتشاف سر الحياة وما وراء العالم المباشر، أما التجارة فقد كانت أبعد ما تكون عن ميوله المثالية، حتى أخرجه الشعر إلى عالم الناس وربطه بحياتهم كما يقول: (مهما يكن الأمر فإن الحقيقة الواقعة أن الشعر هو الذي أخرجني من القمقم وقادني إلى غمار الحياة الواسعة الزاخرة بالمفارقات والمتناقضات)^(٣). وهكذا إذن نرى أن الشعر هو الذي أنقذه من التحليق بأفكاره إلى ما وراء الحياة وأرجعه إلى الحياة نفسها إلى ما تزخر به الأرض من صراع وعذاب وآلام، يقول مخاطباً الشعر:

(١) ديوان «ثورة الشعر»، ص ٧، طبعة أولى، القاهرة ١٩٦٣.

(٢) ديوان «ثورة الشعر»، ص ٧، طبعة أولى، القاهرة ١٩٦٣.

(٣) ديوان «صلاة في المجيم»، طبعة أولى، القاهرة ١٩٦١.

حملتني آلامها ودموعها
ومنعت عني وصلها ومنعتها
ناديت أشتات الجراح . بأمّتي
فجمعتها في أضلعي وطبعها
ما قال قومي: آه... إلا جثتني

فكویت أحشائي بها ولسعتها
وكانت الطبقة التي ينتمي إليها الشاعر بحكم المولد تعاني من إفلاس
فكري جعلها تعيش في منأى عن محاولات التغيير، لكن هذا الإحساس
قد تشكل في وجدان مجموعة من شعراء الصحوة، كان الزبيري في
طلعتهم، وكانوا طليعة الدعوة إلى التغيير والالتزام بقضايا المجتمع
والحياة، وكان التناقض واضحاً بينهم وبين المجتمع الذين يحيون بين
ظهرانيه وبينهم وبين الأسر التي ينتمون إليها، فقد كانت هذه الأسر
تحرص على حياة الجمود الممثلة في عصر الإمام يحيى وعلى تقديس كل
ما هو موروث، وكانت كالإمام يحيى تقاوم كل أفكار التحوّل لما تسببه
من اهتزاز في بنيان المجتمع التقليدي القائم على بناء طبقي فريد من نوعه
قد لا يخضع لأي تحليل علمي، ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر إلى عمه:

غفرتُ لك الحيف الذي سمّنتي به
فما أنتَ جانيه ولا أنتَ كاسبه

لقد كنت فيما جئت قائد عسكر

تصرفه فيما تريد كتائبه^(١)

وقد بدأ الزبيري حياته في السياسة وهو طالب في القاهرة في كلية دار العلوم وعاد إلى اليمن حاملاً مشعل التنوير من خلال جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ألفها بعد عودته، فكان جزاءه السجن ثم الفرار إلى عدن عاصمة الجزء المحتل من البلاد - حينئذ -، وقد نجح مع بعض رفاقه في تكوين أول عمل صحفي من نوعه للتعريف بالأحوال في مملكة الإمام يحيى وفي دعوة المواطنين إلى الثورة والقضاء على ذلك النظام العتيق الذي كان عاراً ووصمة في جبين الأمة العربية والإسلامية، وقد نجحت الدعوة وأثمرت الإطاحة بالإمام يحيى، وكان الزبيري وزيراً للمعارف في حكومة الانقلاب الأول، ولأنه كان في طليعة المحرّضين على الثورة بشعره ونثره وبمواقفه فإن فشل الانقلاب كان يعني بالنسبة له شيئاً واحداً هو الحكم عليه بالإعدام، لكنه سلم من الموت بأعجوبة فقد كان واحداً من أعضاء الوفد اليمني الذي أختير للذهاب إلى المملكة العربية السعودية للتباحث مع وفد الجامعة العربية برئاسة عبد الرحمن عزام وبمرافقة هذا الوفد إلى صنعاء. وكانت المملكة السعودية قد عملت على تأخير وفد الجامعة في الأراضي الحجازية حتى يكتمل الحصار من حول الانقلاب الوليد. وحين يش الزبيري عن إنشاء الملك السعودي عن موقفه قرر مع رفاقه العودة إلى صنعاء، لكنهم فوجئوا بسقوط المدينة في يد البرابرة، وكان على الزبيري أن ينجو بنفسه غير مختار، ومن ذلك

(١) عبد الله البردوني، «رحلة في الأدب اليمني: قديمه وحديثه»، ص ١٢٥.

الحين ابتداء حياة التشرد ثم الغربة الطويلة في الباكستان حيث أمضى خمس سنوات يبكي مصرع الرفاق ويهدده الحنين إلى الوطن.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م قامت ثورة مصر الظافرة فكانت أملاً للشوار العرب في كل مكان، وفتحت القاهرة ذراعيها لتستقبل الزبيري وأمثاله ممن يَنشدون لأوطانهم الحرية والاستقلال، وفي القاهرة أعلن الزبيري قيام الاتحاد اليمني، التنظيم الحزبي الذي خَلَف الجمعية اليمنية الكبرى وحزب الأحرار، وظل بين مدّ وجزر يتابع أمواج السياسة العربية ويعاني من تقلّباتها إلى أن قامت ثورة ٢٦ سبتمبر فعاد إلى وطنه وزيراً للتربية والتعليم، ثم نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الإعلام والتربية. ولم يكن الزبيري - على مدى حياته - يحفل بالمناصب لذلك فقد هجر مكتبه في المدينة وذهب إلى الريف ليدافع عن منجزات الثورة الأساسية وفي مقدمتها النظام الجمهوري حتى سقط مضرّجاً بدمائه في ٣٠ مارس ١٩٦٥.

إذاً فقد تقلّبت الحياة بالزبيري من شاعر إلى صحفي إلى وزير، إلى مهاجر، إلى زعيم سياسي، وهو في كل موقف منها ذلك الوطني الجسور والثائر الزاهد، وفي الأخير تَوَجَّ حياته المتنوعة النضال بالشهادة، حين استقرت رصاصة غادرة في قلبه الكبير لتضع حداً لطموح شاعر كبير ولتحقيق حلم قديم ظل يراود الشاعر:

بحثت عن هبة أحبوك يا وطني

فلم أجد لك إلا قلبي الدامي

ووقفه عابرة إزاء هذا البيت، تفسّر كيف لم يكن شعر الزبيري صورة

لحياته فحسب، بل وهدساً صادقاً بمستقبله كذلك وبحثاً عن المغامرات
الخصبة الفذة، على أن شعر الزبيري - وإدراك هذه الحقيقة من الأهمية
بمكان - لا يعكس حياته الفردية إلا بمقدار ما كانت هذه الحياة مرآة لحياة
الشعب، وصورة لآماله وآلامه، فهي حياة اختلط فيها الخاص بالعام،
وكانت ملكاً لشعبها وقضاياها قبل أن تكون أن ملكاً لصاحبها، أو تعبيراً عن
قلقه الفردي ومشاعره المعقدة.

— ٢ —

عندما يكون الحديث عن الزبيري فإن الحديث عن عنصرَي الزمان والمكان لا بد أن يأتي بالضرورة، وذلك للرد على بعض التخرصات التي ثارت من حول موقفه الوطني ثم من حول ظاهرة الانتماء المحلي في شعره. ويُفيدنا الحديث عن المكان التعرف على المساحة الجغرافية التي ركز عليها الشاعر اهتمامه وأولاهها عنايته، لقد كان شاعراً إنسانياً، وشاعراً عربياً، لكن إنسانيته وعروبه لم تمنعه من أن يكون شاعراً يمينياً بالدرجة الأولى وأن يكون صوته هو صوت اليمن وصرختها الداوية في الوطن العربي والعالم. ومن أجل اليمن وحدها اعتصر الزبيري أعصابه وروحه وأعطى جهده الكتابي والنفسي، وهذا ما لا يختلف عليه إثنان.

أما موضوع خلو شعر الزبيري من ذكر الأسماء المحلية - في شعره - وذكر الأسماء في الأدب نهج يُستحب في الأعمال الروائية على وجه الخصوص وفي كتب الجغرافيا على وجه أخص - فإنه موضوع طريف يثير من علامات التعجب أكثر مما يثير من التساؤل لأن الخصائص والروائح المحلية لا تتبع في الشعر أو النثر من الأسماء وإنما تصدر عن الموضوع ومن أسلوب التناول نفسه، وإذا كان ذكر الأسماء في الشعر يجعل طابع الشعر محلياً فإن شعر الزبيري لم يفقد ذلك الطابع فهو يتحدث عن صنعاء وعن تعز وعن ميدي وعدن وإب وحجة وعن اليمن واليمنيين، وما من قصيدة له تخلو من هذا الذكر أو ذاك:

أ - ثلث قرن لم يبرح (اليمن) الميمون

منه في ليلةٍ لَيْلاء^(١)

ب - (صنعاء) ويحك ما للظلم

قد رسخت آثامه فيك واستشرت خطاياها^(٢)

ج - حجاج (حجة) باسم الشعب أطرده

وعنق (جنبول) باسم الشعب أُلويه^(٣)

د - أمل في جوانح (اليمن) المغمور

ألقي ملء الفضاء بيانه^(٤)

على أن ثمة وسائل أخرى لتحقيق المحلية في شعر الزبيري وليس
للأسماء أو البيئة الجغرافية دخل فيها، من ذلك تصوير حكام اليمن
والسخرية منهم والنيل من نظامهم العتيق:

يبهرون الدنيا بزورة موسكو

وعليهم غبار دنيا ثمود^(٥)

(١) «صلاة في الجحيم»، ص ١٠٠.

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٤.

(٣) «ثورة الشعر».

(٤) نفس المرجع (ثورة الشعر).

(٥) المرجع السابق.

هذا الوصف لا يمكن أن ينطبق في القرن العشرين إلا على أسرة حميد الدين، الأسرة التي اعترفت بالاتحاد السوفيتي - دونما علاقة دبلوماسية معه - في عشرينات هذا القرن في حين ظل حكام هذه الأسرة يعتبرون كتاب «النظرات» للمفلوطي خطراً على الإسلام وثورة على كل ما هو جامد ومعتاد!!

هذا قليل من كثير أو قطرة من مطرة كما يقولون، على أن ذكر الاسم المحلي مجرداً في العمل الأدبي لا معنى له في ذاته بالنسبة لوعي الإنسان المحلي أو العالمي، وهو لا يوفر للعمل الأدبي أي نقطة ضرورية يمكن الرجوع إليها، إن المحتوى ومضمون العمل الأدبي ثم القلب أو النظام أو الشكل الفني هي الأشياء التي من خلالها يتم التأثير، ثم يجيء الاسم بعد ذلك - إن جاء ملبياً حاجة فنية أو موضوعية - ليكون إطاراً أو إشارة إلى علاقة ما لا أكثر، وهو في الأعمال الروائية - والرواية القديمة منها - أشيع منه في الشعر والرواية الحديثة المتحررة من المفاهيم التقليدية عن الزمان والمكان حيث تختلط الأماكن والأشخاص والأزمان ويفقد العمل الأدبي هويته المكانية والزمانية وإن لم يفقد هويته الإنسانية، أو يكون ذلك في تأكيد هذه الهوية بخاصة.

وربما كان احتفال بعضهم بذكر الأسماء في الشعر المعاصر عائداً إلى تأثرهم بالشاعر الجاهلي الذي كان شديد الولع بذكر الأسماء والأطلال لأنها في عُرفه رموز لأشياء ذات علائق وجدانية، والإصرار على ذكر الأسماء في الشعر المعاصر نوع من التقليد لا ثمرة له قد يؤدي أحياناً إلى نتائج سلبية وذلك عندما لا تأتي هذه الأسماء عفواً الخاطر وإنما تصدر لمجرد التعداد الجغرافي كما يفعل بعض الشعراء الصغار عندما يحشدون أسماء الأماكن والعواصم العربية في قصائدهم الوطنية أو القومية.

أما الحديث عن الزمان عند الحديث عن شعر الزبيري - وهو هنا زمن الشاعر وعصره بالتحديد - فيفيدنا أن نرى إلى أي مدى كان الشاعر متفاعلاً مع عصره ومع أفكار عصره ومتقدماً عليها أو متخلفاً عنها، ولكي نعرف على موقفه الاجتماعي والسياسي كشاعر رائد وذلك لأن بعضاً من ذوي النوايا غير الحسنة القافزين على الشروط الموضوعية للمكان والزمان يرفضون المتنبي - قبل أن يقرأوه - لأنه في نظرهم شاعر رجعي لم يتحدث عن الاشتراكية، هؤلاء أنفسهم هم الذين يرفضون الزبيري لأنه - على حد تعبيرهم - لم يوظف شعره في خدمة الاشتراكية، والحقيقة أن الزبيري قد كان - من خلال سلوكه الشخصي ومن خلال أشعاره - ابناً مخلصاً لعصره وكان اشتراكياً كبيراً بالمفهوم العام للاشتراكية وإن لم يذكر الاشتراكية في شعره بالاسم أو يتباهى بالانتماء إلى أي تنظيم يرفع شعاراتها:

أنا شمعة كدحت أشعتها وراء الكادحين

مدت بشعلتها إلى أحداقهم مد المعين

تذكو وتُطْفِئُها دموع البؤس من حين لحين

يشكو سناها جهل عميان وغدر مبصرين^(١)

وإذا كان هذا هو موقفه في شعره فإنه في نثره يصير على أن يكون اشتراكياً. وهو على حد تعبير الزميل عمر الجاوي: (يحدد في كتابه «واق الواق» برنامجاً قد لا يحتمله بعض أدعياء الاشتراكية أنفسهم)^(٢). يقول

(١) «ثورة الشعر»، ص ١١٣.

(٢) عمر الجاوي، مجلة الحكمة، مارس ١٩٧٥.

الزبيري في كتابه المذكور: (نعم، إن هناك شيئاً جديداً لا بد أن ينظم إلى كلمة الديمقراطية وهو العدالة الاجتماعية... ولكن... الديمقراطية السليمة التزيهة... السليمة في عهد ثوري نظيف، سيتيح للأكثرية الكادحة أن تختار الاشتراكية نظاماً اقتصادياً وما يجعل العدالة والحرية والمساواة والوحدة القومية حقيقة واقعة لا كلاماً ضائعاً في الهواء)^(١). والزبيري يمثل هذه الآراء يسبق الكثيرين من أبناء جيله بل ومن أبناء جيلنا، فقد كان شاعراً يستوعب التحول الموضوعي للواقع ويبشر بالثورة الكاملة وذلك على الرغم من نشأته الصوفية الدينية وعلى الرغم كذلك من محاولاته اللدابة على أن لا يتجاوز المألوف مسaire منه لعقلية الغالبية العظمى من أبناء شعبه حتى ينفذ إلى أعماقهم ويكشف مواطن الداء فيها قبل أن ينفروا من دعوته لتحرر الوطن من الطغيان وحتى لا يستجيبوا لدعاة التخلف الذين يرون في كل اتجاه نحو العدل الاجتماعي خروجاً عن الدين ومروقاً على مبادئه الأساسية.

هذا هو الزبيري شاعر اليمن أولاً وشاعر الاضطهاد الطبقي ثانياً، هو ذا تتأجج أعماقه حقدًا على الإقطاع وحنانًا بالفقراء ويمتلئ وجدانه باليمن لا يرضى بها بدلاً حتى لو كانت النجوم:

ولو أني حللت ربوع نجم

هممت به إلى اليمن الوثوبا

الكلاسيكية الجديدة مصطلح نقدي تقف فيه الموهبة الأدبية الفردية على خلفية عريضة من التقاليد، وبعبارة أخرى هو ذلك المفهوم القائم

(١) «واق الواق»، ص ٣٠٤، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٠.

على التأثر والتأثير بحيث تكون العلاقة بين الفنان والعمل الفني ليس بالتعبير عن المشاعر والإحساسات التي خيّرَها الفنان فحسب، بل والسير على نفس نهج التقاليد الأدبية التي أرساها من سبقه من الأدباء سواء من حيث الشكل أو المضمون... لذلك فالكلاسيكية الجديدة ليست تقليداً خالصاً لمن سبق من الكتاب والشعراء، وليست إبداعاً خالصاً وإنما هي تجمع بين الإبداع والتقليد. وللکلاسيكية الجديدة في الشعر العربي المعاصر رواد في كل قطر. والزبيري رائد هذا الاتجاه في شعرنا اليمني الحديث لا ينازعه في ريادته هذه واحد من الشعراء الذين رافقوه أو الذين جاؤوا من بعده، فقد توزع إنتاج هؤلاء بين الكلاسيكية بمفهومها التقليدي والرومانسية ثم الواقعية الاشتراكية. وكان كثير من الكلاسيكيين الجدد ممن جاؤوا بعد الزبيري نسخاً مكررة منه في النهج الشعري وإن أضيف إلى إنتاج البعض منهم قدر من الجودة يفرضها تطور الزمن وتجدد الأساليب الشعرية بما فيها أسلوب الكلاسيكية الجديدة.

وكل الذين كتبوا عن الزبيري ينسبونه - بالإجماع - إلى الكلاسيكية الجديدة ويضعونه بمثابة الرائد للشعر المعاصر في اليمن، وهو جدير بتلك المكانة فقد كان شعره - بحق - شعر الصحوة الوطنية والفنية، وقد وصفته ذات مرة في مقابلة أدبية بأنه الشاعر التاريخي، والشاعر التاريخي يتحدى بمكانته الشعراء الكبار لأن اسمه يرتبط بتغيير جوهر في تاريخ الشعر وإليه يُنسب هذا التغيير ويستطيع الشعراء الذين يأتون من بعده أن يستفيدوا من كشفه الأدبي وأن يسيروا على هدايته وقد يتجاوزونه لكن بعد أن مهّد لهم الطريق.

وليس من شك في أن الزبيري شاعر اليمن المطلق قد مهّد الطريق

أمام الشعراء في وطنه، وبالإضافة إلى ذلك - وهذا هو الأهم - فإنه جعل الشعر في خدمة الوطن والإنسان بعد أن كان الشعر والوطن والإنسان في خدمة الحاكم الطاغية، وإليه - أي إلى الزبيري - يعود الفضل في انتشار هذا القدر من شعر الوطنية في شعر اليمن الحديث. ولعله من الهام أن نشير إلى أن الزبيري كان قد تغلت من قبضة الكلاسيكية الجديدة فترة من حياته، ربما كانت الفترة التي أعقبت سقوط انقلاب ١٩٤٨ وما تلاها من شعور بالإحباط وإحساس بالضيق، وقد كتب في هذه المرحلة قصيدتين رومانسيّتيّ المتزع كانتا - وما تزالان - تمثّلان طليعة الشعر الرومانسي في اليمن. وقد تحدث في الأولى عن البلبل:

بعثت الصبابة يا بلبل

كأنك خالقها الأول

غناؤك يملأ مجرى دمي

ويفعل في القلب ما يفعل

سكبت الحياة إلى مهجتي

كأنك فوق الربى منهل

ترتل فن الهوى والصبأ

شجياً وإن كنت لا تعقل

وما الحب إلا جنون الحياة

وجانبها الغامض المشكل

غزتك إلى الوكر مأساته
 ومسك من خطبه المعضل
 فضاق بك الروض في رحبه
 وأنت بأجوائه مرسل
 نكبت بما نكب العاشقون
 وهملت في الحب ما حملوا
 هدوؤك في طيه مرجل
 وريشك من تحته مشعل
 خفيف على الغصن لكنما
 فؤادك من لوعه مثقل
 أنينك ينساب بين الغصو
 ن كما انساب من نبعه الجدول
 ويسري إلى القلب مسرى الحياة
 وفيه من الوجد ما يقتل^(١)

كما تحدث في القصيدة الأخرى عن حنين الطائر، وعند هذه القصيدة
 يحسن بنا التوقف قليلاً لتتابع معاً الناحية الجمالية والفنية، وأول ما يلفت

(١) انظر كتابنا: «الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن»، ص ٩٣.

النظر إلى حد الدهشة هي هذه اللوحة الفنية التي تنعكس على معمار هذه القصيدة فتجعل منها تعبيراً شديداً الترابط والتماسك، والقصيدة تجسد غربة الشاعر وحنينه الدائم إلى وطنه المستباح بعد سقوط حركة التغيير الأولى، وقد كان صادقاً مع نفسه حين لم يجد سوى الطائر يجسد فيه حنينه وتشرده، فالطائر من أضعف ذوات الأجنحة:

أمل غير متاح وفؤاد غير صاح
أنا طير حطم المقدور عشي وجناحي
ورماني في نثار من دموعي ونواحي
وحطام من بقايا وطن غير صحاح
ذهبت آهاتي السوداء أدراج الريح
فتطامنت على همي وخبئت سلاحي
لم أجد سمعاً فأفرغت أنيني في جراحي^(١)

إن الشاعر ينجح هنا في المطابقة بين نفسه والطائر، وبفضل ما في هذه المطابقة من بعد رمزي تتحول القصيدة إلى قيمة فنية عالية المستوى شديدة التأثير وهذا التلاحم والترابط العضوي والنفسي في القصيدة والتداخل والتطابق بين الشاعر والطائر يجعلهما شيئاً واحداً يجمعهما التشرد والضياع.

أما الصور الشعرية في هذا المقطع وفي بقية المقاطع من نفس

(١) "ثورة الشعر"، ص ١٥٣.

القصيدة فهي شديدة الإيجاز بعيدة عن الخطابية والصراخ (نثار الدموع)،
(حطام من بقايا وطن)، (آمال سوداء)، (فراغ الأنين في الجراح) إلى آخر
هذه الصور المترابطة المتنامية المرسومة باقتدار وبساطة كبيرين.

في سوى عشي لا تنزل أضواء الصباح
كنت أرويهها بمنقاري من شعر قراح
كنت أعجوبة دهري في نشاطي ومراحي
بين أطيّار بليغات وأفراخ فصاح
لم أميّز في لغاها بين صفو وتلاح^(١)

إنها أول محاولة رمزية ناجحة ودالة على خصوبة القصيدة اليمنية،
ومن خلال صورته المتنامية ندرك أبعاد التجربة الإنسانية وملاءمة الصيغ
المستخدمة للتعبير عن الشوق إلى الوطن. ويكون استرجاع أيام الطفولة
بمثابة (الفلاش باك) المستخدم في الأفلام السينمائية الناضجة. كيف كان
طفلاً يستقبل أضواء الصباح في وطنه، كيف كان يرى هذه الأضواء
بشعره، ثم كيف كان أعجوبة دهره بين زملائه من الأطيّار يلهو ويعبث
ويمزح ثم إذا بالصورة فجأة تتغير وتصير إلى ما كانت عليه في المقطع
السابق محض حطام، آمال سوداء تعبث بها الرياح وغابات فسيحة
مخيفة... إلى آخره:

آه لو اجتذب العش بحبل الانتياح
آه لو يمحو مسافات النوى والبعد ماح^(٢)

(١) «ثورة الشعر»، ص ١٥٥.

(٢) «ثورة الشعر»، ص ١٥٦.

وتظل القصيدة مسترسلة على هذا النحو من الإيقاع الحزين والموسيقى النائحة، وهنا لا يملك المرء إلا أن يرسل دموعه تعبيراً عن المشاركة الوجدانية المطلقة بعد أن يصل به التوتر إلى غايته ويصل المقطع الأخير من القصيدة إلى القمة في تداع بالغ الدقة والإرهاق.

— ٤ —

الزبيري السياسي، هو الزبيري الوطني، الشاعر، المتصوّف، الزاهد في الحياة ومناصبها، عند التضحية يريد أن يكون دوره الأول، وعند اقتسام المغنمات أو المناصب يأبى إلا أن يكون الأخير، وعلى الرغم من أنه كان الناطق الأول باسم القضية الوطنية، والرجل الذي تهتز لكلماته جبال اليمن، فقد كان يرتضي الأدوار الثانوية ويجعل شؤون المال والرياسة والإدارة من اختصاص غيره.

وكان بعضهم يرى - خطأ - أن مهارة الزبيري تقتصر على شاعريته لكنه فاشل كسياسي، والحقيقة أنه كان سياسياً شديداً الذكاء بيد أنه في سياسته لا يعرف الكيد ولا يجيد الالتواء، وكان يعيش - في كل الظروف - بوجه واحد - ولسان واحد، لم يحاول يوماً أن يتخفى وراء الأقنعة أو المساحيق، وبعبارة مختصرة كان سياسياً وطنياً ولم يكن سياسياً مصلحياً يقول (لا) في موضع (نعم)، ويقول (نعم) في موضع (لا) على حد تعبير الساسة الحواة، أو الساسة الماكرين اللاعبين على الحبال في مواقفهم اليومية من خصومهم ومن أنصارهم على السواء.

ونحن عندما نقول: إن الزبيري كان سياسياً لمأحاً شديداً الذكاء فنحن نعتمد في حيثيات هذا الحكم على مواقفه النظرية والعملية، ومواقفه النظرية مسجلة كلها في كتاباته الكثيرة وأساليبه الأدبية، في مواجهة الحكم المباد التي فضح بها الألاعيب الإمامية، وفي مقدمتها كتابه (الخدعة الكبرى) الذي يظهر فيه الزبيري كاتباً سياسياً من الطراز الفريد. لقد استطاع هذا الكتاب أن يظهر إلى أي مدى كان النظام الإمامي يخدع شعبه، وبعد أن يشن ذلك النظام من خداع الشعب نرى كذلك كيف برع

في منافقة السياسة الدولية والعربية: (إنهم متحللون من العصر الذي يعيشون فيه، فهم يعيشون صباحاً في القرن العشرين ومساءً في القرن الخامس عشر... يتكلمون مع الزائر بلغة عبد الناصر ومع الشعب بلغة الحاكم بأمر الله)^(١). وفي مكان آخر يقول: (لقد أثبتنا فيما سلف أن للحكام المتوكلين مشيئة ثابتة، تستهدف الاحتفاظ بأوضاع الشعب في اليمن كما هي، وإن هذه المشيئة ليست نتيجة جهل أو آراء دينية أو جمود، وإنما هي ثمرة للإصرار الواعي والنزعة الأنانية الاستعلائية، التي لا تلين ولا تتراجع)^(٢). وفي حديثه عن ينبوع «السياسة المتوكلية» يرد الزيري على السؤال التالي: لماذا ينخدع الناس بحكامنا في الخارج؟.. فيقول: (لأنه منذ فجر النهضة الحديثة في بلاد العرب... كانت المشكلة الكبرى في الأقطار العربية الناهضة هي الاستعمار الذي شغل كل مشاعر الجيل العربي الحديث، حتى سادت فكرة عامة عند العرب، أن جميع آلامهم ومحنتهم ومشاكلهم الصغيرة والكبيرة، إنما هي من خلق الاستعمار. وهذه تعبئة روحية ضد الاستعمار تستحق الإعجاب، لولا أنها بلغت في التركيز حتى انحرفت عن المنطق السليم وأغفلت الأصول والعلل التي جلبت الاستعمار وكانت سبباً في تسلطه علينا!.. وقد كان الاستعمار وهو الذي كانت في يده مصائر العرب يشجعهم على هذا التركيز الشديد ضده، وذلك ليصرفهم عن النظر إلى الأسباب والقواعد التي يقوم عليها وجوده في بلادنا)^(٣).

إنها نظرات حكيمة وسديدة فقد كان التركيز على الأجنبي يجعل

(١) «الخدعة الكبرى»، ص ٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٣) «الخدعة الكبرى»، ص ٦٥.

الطغيان المحلي على بشاعته مقبولاً، أو هكذا ينبغي أن يكون، فثمن الاستقلال ليس الحرية والعدل والبناء والتنظيم بل الجُلْد والسجن والقتل، وسلب الحقوق وتقييد الحريات، وهذه هي محنة اليمن أو بالأصح محنة نصفه المستقل حينذاك: (وحينما كان العرب يكابرون مظالم الاستعمار، ويرونه المحنة الوحيدة في الحياة، كان هناك قطر عربي واحد يتمتع - كما يظن العرب - بالاستقلال التام. . . وقد أضفى الخيال العربي المنكوب بالاستعمار، على الأرض اليمنية المستقلة في زعمهم زخرفاً من الأحلام وسعادة من الأوهام، ويطولة لقادتها الحكام، وجنة تجري من فوقها ومن تحتها بركات الأصنام. . . ومن هنا كان من اليسير على حكام اليمن أن يواصلوا خداع الرأي العام العربي، ويؤكدون نظرياته الخاطئة عن اليمن^(١)، ولم يكن الزبيري لذلك في نظره السياسي يفرق بين مأساة جنوب اليمن المحتل وشماله المستقل صورياً، وقد لخص موقفه هذا في بيت واحد من الشعر كان شعار وحدة الوطنيين في شمال البلاد وجنوبها:

شطرنا يستغيث من غاصبٍ فضٍّ

وشطر من مستبِدٍّ عنيد^(٢)

ويتحلى ذكاؤه السياسي اللماح وسداد رأيه كذلك في مواقفه العملية من خلال ممارساته الوطنية، ولعل أبرز هذه المواقف وأكثرها جلاء موقفه بعد ثورة ٢٦ سبتمبر حينما نبذ الكراسي والمناصب وخرج إلى الشعب يواجه الرجعية الخائنة بصدره المفتوح وقلبه الطيب. لقد عزَّ عليه - وهو الذي أفنى زهرة شبابه وأحلى سنوات العمر في الكفاح ومنازلة الرجعية في

(١) «الخدعة الكبرى»، ص ٦٦.

(٢) «ثورة الشعر»، ص ١٤٠.

قصورها - عزّ عليه أن تعسكر الرجعية في الكهوف وعلى رؤوس الجبال لتضلّل الشعب وتخدعه عن مصيره في الوقت الذي ينال فيه الثوار أصحاب الحق في مخادعهم المعطّرة، وفي حماية من جيش الجمهورية العربية المتحدة. كان يرى تناقضاً سافراً بين الطرفين، بين الذين وُلدوا وملاّعق الذهب في أفواههم من أبناء الأسرة المباداة، وكيف يحاولون الاندماج في القبائل المخدوعة والحياة في صفوفها، وبين أبناء الثورة الفقراء الذين يتمون إلى هذه القبائل المخدوعة الفقيرة حيث كان يحتمي بعضهم إلى المدن ويناضلون من المقاهي والمكاتب. صحيح أن الزبيري قد دفع حياته ثمناً لهذا الموقف السياسي الواضح لكنه لا يعني أنه كان موقفاً سياسياً فاشلاً أو مبهماً. ومهما قيل فيه بعد ذلك من أقوال، ومهما حاولت الرجعية المرتدية أثواب النظام الجديد أن توجه إليه من سهام الحقد والنقد لعجزها عن القيام بما قام به وخوفها من الاحتكام - مثل الزبيري - إلى الشعب صاحب المصلحة الأولى في الثورة بدلاً من الحديث إليه من خلف الأسوار.

— ٥ —

لم يقترب الزبيري من الطبيعة، ولم يعرف ما عرفه الشعراء
الكلاسيكيون من وصف حسي للطبيعة، ولم يعرف كذلك سوى القليل
جداً مما عرفه الشعراء الرومانسيون من مشاركة وجدانية للطبيعة في
أحزانها وأفراحها، وذلك في حالة كونها - أي الطبيعة - عنده خلفية
لوطنياته، سواء كانت هذه الوطنيات صرخات داوية أو حنيناً خافتاً.
يتحدث الزبيري عن ماضي اليمنيين فيقول:

لهم الجبال الراسيات
وأنفس مثل الجبال الراسيات عظام
أتراهمو صنعوا الذرى أم أنها
صنعتهم، أم أنهم أتوام
وُلدوا عمالقة محنطة كما
ولدت فراعنة لها الأهرام
أين (السعيدة) أن فيها جنّة
خضراء نماها الدهر وهو غلام؟
أين القصور الشم أين بناتها
الأقيال، أين ملوكها الأعلام؟

أين البحار أين السدود، يرى لها

بين الشواهد زخرة وزحام^(١)؟

ولم يقترب الزبيري من المرأة، المرأة الحبيبة، أو المرأة الأم، أو المرأة الرمز حيث تتعاقب المرأة والوطن. وحين اقترب الزبيري من المرأة - وكانت المرة الوحيدة التي لم تتكرر - وفي أبيات محدودة العدد، عادت إليه روح الصوفي الذي لا يرى في المرأة جسداً لكنه يرى فيها عظمة الله ووحدته الوجود، إنه لم ينظر إليها نظرة سلفية فيهملها من حسابه، ولم ينظر إليها نظرة جنسية شأن معظم الشعراء الكلاسيكيين والجدد منهم بصفة خاصة، لكنه نظر إليها من خلال تصوّره الخاص للمرأة وللشعر. إن الشاعر كان يعرف أن الطبيعة ومن ثمة المرأة تعطي للواقع خصوصيته، لكنه مع ذلك كان يتصوّر أي شيء غير الوطن المباشر شريكاً له ينبغي تنحيته عن طريق شعره، فالطبيعة شريك للوطن ينبغي الإفلات منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والمرأة شريك ثانٍ ينبغي أن يتجنّبها كذلك. وقد استطاع إلا من هذه الأبيات:

اغفري لي إذا تطلّعت مأخو

ذاً إلى وجهك الطهور السّني

ما على الشمس لو غسلت بومض

من سناها ظلام قلب شقي

(١) «صلاة في الجحيم»، ص ٦٤.

لمسة من هواك تشعل أعما
 قي وتضفي عليّ حسّ نبي
 أنتِ لستِ المها يصول عليها
 كل ذئب على المها وحشي
 لم يصغك الإله صيغته المثلى
 لنسل أومأرب همجي
 أنت من ناظريك روح إله
 خالق كل خالق عبقرى^(١)

فيما عدا هذه الأبيات فقد أدار الزبيري ظهره للمرأة لا بوصفه شاعراً كلاسيكياً أو رومانسياً، بل باعتباره شاعر الوطن، وكان هذا خطأ من قِبل الشاعر مكّنت له طبيعته وتربيته المتصوّفة، فالحديث عن المرأة الحبيبة أو المرأة الرمز يمنح لعناصر الطبيعة معنى خاصاً، ويجعل للوطن في النفس تأثيراً مميزاً. إن الوطن من خلال منظوره الشعري ليس سوى اليماني البائس النظرات، الحزين الكلمات، وليس الوطن عنده سوى الظهور المحنية، والسجن والجوع، والإرهاب والإمام، لقد احتلّ الإنسان والإنسان اليماني المعذب كل تجربة الشاعر، وأصبح الشعب بجماهيره يشكل في رؤية الشاعر النهائية الطبيعة بأسرها، بل وصانع الطبيعة الذي إرادته عدل، ومشيتته حق:

(١) «الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن»، ص ٩١.

هو الشعب حق مشيئاته
صواب ورشد خطيئاته
له نبضنا وأحاسيسنا
فما نحن إلا نباتاته^(١)

وللإنصاف فإن المرأة ظلت غائبة تقريباً عن التجربة الشعرية المعاصرة في اليمن ربما لغياب دورها عن مسرح الحياة الاجتماعية، فهي حبيسة المنزل، لا تشارك الرجل معاناته النضالية والحضارية، بل إن الرجل نفسه يعيش في مجتمع متغلق خامد لا يقوم بدوره الحضاري والاجتماعي والسياسي، ولا يمارس أي نشاط إيجابي، لذلك فإن من افتعال القول، الحديث عن المرأة في الشعر والتمثل لدورها حتى لو كان دوراً رمزياً، لأن الرمز لا بد أن ينبع في البداية من الواقع، وما يزال دور المرأة اليمنية وتمثل همومها الاجتماعية والفنية والنضالية في انتظار الشاعر الذي لا تنقصه الحساسية الفنية الناضجة ووضوح الرؤيا.

(١) «ثورة الشعر»، ص ٥٠.

— ٦ —

في بداية حياته الشعرية - أو في سن الطفولة الأدبية والوطنية على حد تعبير الزبيري نفسه - كتب الشاعر مجموعة من القصائد توسم بالمدح وتقدّم بها إلى الإمام يحيى وقبل مرحلة الصحوة التي انتهت، أو ابتدأت بانقلاب ١٩٤٨، وقد وجد فيها بعض المغرضين مجالاً خصباً لغمز قناة الزبيري والعدوان على ذكراه. فهل مدح الزبيري حقاً هذين الطاغيتين؟؟.

أنا أزعم - أولاً - أنه لم يمدح وأنه كان تارة يسيّس الشعر فيجعله - كما يقول - رائداً يستكشف به أغوار الإمام الطاغية... (لقد كان شعر المدح في هذه الفترة البدائية هو الرائد المكتشف الأول وهو المعجس العميق الدقيق الذي يتغلغل إلى أغوار الإمام وأعطانا المقاييس والمعايير لتقدير الحد البعيد الذي ذهب إليه الطاغية من التألّه والقسوة والاستعلاء والإصرار. وبالنتيجة كان الشعر هو الذي أعطانا القدرة على الانتقال النفسي من مرحلة إلى مرحلة، وهز مشاعرنا ورواسبنا وملكاتنا ومخضها مخضاً وأشعلها وصهرها، وحولها إلى يقين ثوري عميق أصيل^(١).

وأزعم - ثانياً - أنه - أي الزبيري - كتب هذه القصائد أو بعضها مستعطفاً وشاكياً من هول ما يلاقيه المناضل في سجون الإمام من بطش وتنكيل... (وأنا أذكر أن قصيدي في استعطاف الإمام والشكوى من أهوال السجن انتشرت في أوساط الشعب انتشاراً سريعاً قبل أن تصل النسخة المرسلة إلى الإمام، وأنها أحدثت أثراً عاطفياً في صالح الأحرار المعتقلين وحسّنت نظرة الشعب إليهم، وهيأت الشعب لنقد تصرفات

(١) «ثورة الشعر»، ص ٢٤.

الإمام، ورغم أنه كان بها استعطف ومدح للإمام يحيى فقد كانت تنطوي على وصف لآلام السجن قصدت به تسجيل هذه الحقيقة تاريخياً في صورة ضراعة واسترحام على قدر ما كانت تلهمنا الظروف يومئذ^(١).

وأزعم - ثالثاً - أن هذه المدائح - إن كانت كذلك - قد كانت الوسيلة الوحيدة والصوت المسموع... (وقد ولدت القضية الوطنية هناك في تعز في صورة قصائد كنا نلقبها على الجماهير في محافل الأعياد الضخمة لولي العهد. لقد كان عملنا يُعتبر تقدمة ونهضة وجرأة على تطور الأساليب القديمة في الأدب والشعر، وجرأة على الظهور والطموح والتبشير بوجود عصر حديث لم يكن للناس به علم في بلادنا)^(٢).

وفي ظل هذه الاعتبارات والحيثيات لا يكون شاعرنا مادحاً بل سياسياً ماهراً يرى أن الكلمة خدعة، فالشعر أحياناً سلاح من أسلحة الحرب، ولا بأس في ميدان الصراع أن تكون الخدعة سلاحاً شاعراً^(٣)، وقد تحول ذلك النوع من الشعر كما يقول الزبيري نفسه: (تحول بطبيعته إلى لون رمزي من ألوان الهجاء). وقد وقف الزبيري عند بيت واحد من شعره الموسوم بالمديح ليفند آراء بعض الأدعياء الذين كانوا يرون في قصائد الاستعطف مدحاً، لقد قال من ضمن مرافعة بليغة طويلة: (لندع أمر الشاعر الذي قال هذا البيت ولنضرب صفحاً عما كان يعنيه من مدح أو ذم ولنفترض - وهذا فرض واقعي معقول - أن أدبياً في مصر أو العراق أو غيرهما قرأ هذه القصيدة أو قرأ تاريخها والظروف التي قيلت فيها وعرف أن قائلها كان مسجوناً متفياً مكبلاً بالحديد ثم وقف عند هذا حيثئذ مأخوذاً

(١) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) "ثورة الشعر"، ص ٩.

ذاهلاً... ماذا؟... سجين منفي، جاثم تحت وطأة الحديد، ينادي
 ويصرخ في هذا البيت... لا أنت يا مَنْ عَذَّبْتَنِي ونفيتني، وروّعت أهلي
 وحملتني أنقال الحديد، وسلبتني الحريات، وهددتني بالإعدام، وأنزلت
 عليّ أفظع العقوبات بلا ذنب ولا جريرة إلا أنني أمرت بالمعروف ونهيت
 عن المنكر... يا مَنْ أَنْتَ هذا كله، ويا مَنْ تعتقد أنك خليفة الله وأنت
 وكيل رسول الله والمهيمن على عباد الله حتى لو حاد امرؤ عن أمرك ما كان
 إلا يهودياً أو نصرانياً، يا مَنْ أَنْتَ هذا كله:

هب لي بقية مهجة أحيأ بها

إني لأرضى بالحياة وأقنع

ويا مَنْ تستحسن أن تكون الناس عبيداً لجلالتك:

دعني لساناً عن جنابك ذائداً

أو لا فعبيداً من عبيدك طيع

وإني لأنشد أدباء العربية جميعاً: هل يفهمون في هذا مدحاً أو ذماً؟
 وهل يرون الشاعر مسرفاً في المدح أم قديراً على التهكم الموجه والهجاء
 المرير؟... (١).

وهنا تبدو الحجة واضحة والافتتان ثابتاً بين الحيثيات والقضية، كما
 أن إرهاب الشاعر نفسه وإرهاب قارئه بالتأكيد على براءته أمر يثير الإعجاب
 بالشاعر، ويثير الازدراء بالذين يغمزونه أو يلمزونه ومنهم مَنْ ينطبق عليه
 المثل الشائع (رمتني بدائها وانسلت).

(١) صوت اليمن، ٤٦، عدد ٢٥، سبتمبر ١٩٤٧.

وقد يكون من باب التذكير، التذكير فقط، الإشارة إلى قصيدة الزبيري في الملك عبد العزيز آل سعود (في أواخر الثلاثينات وقبل أن يتفجر البترول) فتلك القصيدة كما نرى من نوع المدح الكيدي أو المدح السياسي الذي يكيد فيه الشاعر للإمام يحيى ويتشفى بموقفه المهزوم، فقد كانت أول ضربة قاصمة يتلقاها نظامه العتيق من خصمه العنيد ابن سعود، وكان في مدح ذلك الخصم سخرية من الإمام وإذلال له، ومنها كذلك ما جاء في قصيدته الشهيرة: «ناشدتك الإحساس يا أعلام»:

ما كان ضرّهم وهم من هاشم

لو أنهم كابن السعود كرام
إنه لا يمدح حكام السعودية بقدر ما يستثير في حكام اليمن النخوة
التاريخية، يوقظ في نفوسهم روح الهزيمة المرة، فربما انصاعوا إلى الحق
وتعطفوا على شعبهم المستعبد لكن هيهات... لذلك فقد قرر الشاعر ألا
يمدح غير شعبه وألا يكتب إلا له:

وقفت لساني في هواك غنائها

فإذا تغتت في سواك قطعتها^(١)

(١) «صلاة في الجحيم»، ص ١.

— ٧ —

وبعد، فإنه من الصعب تقديم شاعر كبير كالزبيري بمثل هذه الكلمات القلائل، ومع ذلك فيكفي هذا التقديم أنه استطاع أن يضيء بعض الجوانب الصغيرة من تجربة الزبيري السياسي والشاعر. وما أصدق أستاذنا الدكتور عز الدين إسماعيل حين قال: (إن الشعر كالقصر المتعدد الشرفات والنوافذ والأبواب، نراه في كل مرة من زاوية بعينها فنستجلي جزءاً من حقيقته، ويبقى استجلاء حقيقته الكلية رهناً بأن ننظر إليه بمائة عين في وقت واحد، وهو ما ليس في مقدورنا، ولهذا يتحتم علينا دائماً أن نتحرك من موضعنا، ونحاول الدوران حوله المرة بعد المرة، علّنا نُبصر فيه شيئاً فاتناً من قبل إدراكه)^(١)، وهذا ما بدأت أدركه تمام الإدراك وما أرجو أن يلقاه شعر الزبيري في الحاضر وفي المستقبل القريب والبعيد. ولست أرى ضرراً في اختلاف الدارسين من حول شعره فإنما يرجع ذلك إلى اختلاف المراحل التي مرّ بها تفكير الشاعر خلال ثلاثين عاماً وإلى رهافة الحس وصدق التجربة اللتين رصد بهما تغيرات الواقع في عصره.

ولقد قال والت وإيمان: «إن دليل شاعرية الشاعر أن تتشبع بلاده بحبه تشبّعه بحبها»، وأجزم أن هذا الوصف لا يصدق على شاعر في اليمن - ولا حتى في الوطن العربي بأسره - كما يصدق على شاعرنا الشهيد محمد محمود الزبيري، فقد ارتبطت حياة هذا الشاعر المناضل بحياة شعبه المناضل وكوّنا خلال ثلاثين عاماً (من أواسط الثلاثينات إلى أواسط الستينات) توأماً روحياً وعاطفياً يتبادل الحب والتضحية:

(١) «روح العصر» ص ٨٥، دار العربي - بيروت، ١٩٧٢.

وطني أنت نفحة الله ما تبرح
 لا عن قلبي ولا عن لِسَانِي
 صَوْرَ الله منك طينة قلبي
 وبرى من شذاك روح بياني
 شعلة القلب لو أذيعت لقالوا
 مرّ عبر الأثير نصل يمانى^(١)
 والشاعر الشهيد محمد محمود الزبيري يهدي ديوانه الأول
 إلى وطنه بهذه الأبيات:
 الشاعرية في روائع سحرها
 أنت الذي سوّيتها وصنعتها
 ما لي بها جهد فأنت سكبتها
 بدمي وأنت بمهجتي أودعتها
 أنت الذي بشذاك قد عطّرتها
 ونشرتها بين الورى وأذعتها

(١) «صلاة في الجحيم»، ص ٩١.

وقفت لساني في هواك غنائها

فإذا تغنت في سواك قطعته^(١)

إن عظمة الزبيري تتمثل في هذا التوحد الخلاق وفي الذوبان الكامل في الوطن، وعظمته كذلك تتمثل في قدرته الفائقة على ربط مشاعره بمشاعر شعبه حتى نال شعره من الذبوع والانتشار، وفي فترات الظلم والاضطهاد بصفة خاصة ما لم ينله شعر شاعر معاصر. وعلى الرغم من مضي عشر سنوات من استشهاده فما زال صوته يتردد عالياً، وكالنهر يشق طريقه في أعماق الأجيال الطالعة ويملاً شرايينها ببلازما الثورة، ويحصنها ضد أخطار التخلف والنكوص.

عبد العزيز المقالح

(١) "صلاة في الجحيم"، ص ٥ .

ثورة الشعر

قصتي مع الشعر

١ - قصتي مع الشعر، هي قصتي مع الحياة، وقد كان من الأدق، والأصح، من حيث الواقع، والمنطق، أن أجعل العنوان: «قصة الشعر معي»، وذلك لأن الشعر نبضة من نبضات الحياة يدور معها حيث تدور، وهو ظل يعبر عن ألوانها، وتقلباتها، وليس الأمر بالعكس. ولكن الشعر في هذه المقدمة هو سيد الموقف، فلا بد أن نضعه في مكانه ففسير معه أو ندور حوله.

على أننا سوف نرى أن النتيجة سوف تكون واحدة، فسواء كنت مع الشعر، أو كان الشعر معي، فإن الحقيقة الجوهرية في كلا الحالين هو أن هناك تلازماً، وتشابهاً، وتشابكاً بين أطوار الحياة، وأطوار الشعر، وإذا كان لا يجرح كبرياء الشعر أن يكون تابعاً للحياة، فنحن نعلم أنه لن يمس كبرياء الحياة لو جعلناها كائناً شاعرياً، لأننا نكون حينئذ قد رفعناها فوق مكانتها، وفوق ما تستطيع أن تكون.

٢ - طور واحد من أطوار حياتي لم يستطع الشعر أن يقترن به أو يعبر عنه، وهو طور التكوين الروحي، الذي انغلقت عليه أصول شخصيتي، وانغrust في أعماقه جذور نوازعي، واتجاهاتي، وتشكلت في قوالبه أطوال نفسي وألوانها، ومعاييرها، فلم تستطع منها فكاًكاً حقيقياً.

ولقد أغلقت على قوالب هذا التكوين العنيدة كما تغلق الكيسولة على رجل الفضاء، فبينما هو يزعم الانفلات من سلطان الأرض، وقوانينها إلى مجاهل الكون الأجنبي القصي، إذ هو يجد نفسه في الواقع سجين قوالبه، ونواميسه ومعايير الأرضية، أينما ذهب، وراح. وعند أن تستهويه طيوف

الفضاء، وألوانه، وأوهامه، وتغريه بالتمرد على الكيسولة، وعلى دروعها السميكة، أو يسمح بأن تتسرب إليه من خلالها ذرات من أنفاس الأشعة الكونية حينئذ تتعرض حياته للخطر، ويحس بعوامل التشويه، والتدمير تدب في أوصال كيانه.

٣ - فلماذا إذن لم يسجل الشعر هذا الطور الأول من أطوار حياتي . . ؟

الواقع أن الشعر هو الطيف الساحر الجذاب الذي استدرجني من الحياة المنغلقة في كبسولتي، حتى جعل قبضتي تراخي، وتسمح بتسرب العوامل الخارجية، فتحدث الارتباك في جو القلب المدرع العنيد، وأذهلني الشعر المتسلل إلى حياتي عن تصوير الطور الروحي من أطوارها، وجعلني أحلم بأنني قد أفلت منه، رغم أنني لا زلت في قبضته القوية.

تسلم الشعر زمام نفسي، وأخذ يوجهها داخل النطاق الروحي، دون أن يدري، ويغامر بها في تجارب الأحلام، ويطير بها عبر ضروب عديدة من المسارات، فشرق بها، وغرب، وشمال، وجنّب، وأقدم، وأحجم، وهادن، وحارب، واقتحم بها دنيا العصر الحديث قفزة ظافرة اجتازت القرون من سنين، وخاضت مع جيل العصر مختلف الأفكار، والتيارات، ومصطرع المذاهب الدينية، والسياسية، والأدبية والاجتماعية.

وتفاعلت نفسي مع الشعر، وتفاعل معها ونما خلال نموها، فكانت طفولتي طفولته، وشبابي شبابه، ونضجي نضجه، وكان يسير جنباً إلى جنب حيث أسير، فهو ساذج في سن المراهقة، وطائش عندما أطيّش، وحزين عندما أحزن، وحالم وقت ما أحلم، إذا لعبت لعب مثلي، وإذا جدّيت قلّد جدّي، وعندما كانت يدي تلعب بقطع الشطرنج للتدريب على

فنون الكَرّ والفَرّ، والهجوم، والدفاع، كان هو يعبث برؤوس الملوك
يقذفها جواً، ويطرحها أرضاً، ويزغرد بها فرحاً، ويشن منها جرعاً،
ويطاردها وتطارده، ويقتلها وتقتله، السن بالسن، والعين بالعين،
والحروب سجال.

وإذا كانت اللسان غير معصومة في ثرثرتها، وهذرها، وانطلاقها
خلال الغدو، والعشي، والجد، والهزل، والرضى، والغضب، فكذلك
يكون الشعر عندما يكون عملاً عادياً تلقائياً من أعمال القلب واللسان،
نتاجاً طبيعياً من نتاج الحياة وصدى من أصداؤها، ومظهراً من مظاهرها.
وأنا لست أدري لماذا يوضع الشعر وحده في قفص الإتهام، ولا
توضع اللسان كذلك من جراء هذرها اليومي.

المجرد أن الشعر تجمل وترين، وأدخل على نفسه فن اللذة، وسحر
الجمال...؟

أم لأنه من الكائنات الحية التي ترفض أن تموت، كما رفض الشيطان
فحُقَّت عليه لعنة المنظرين...؟

٥ - مهما يكن من أمر فإن الحقيقة الواقعة أن الشعر هو الذي أخرجني
من القمقم، وقادني إلى غمار الحياة الواسعة الزاخرة بالمفارقات
والتناقضات.

وإذا كانت مناكب الأرض ليست مهاداً مبعداً أملس يجري فيها
الإنسان كما يجري النغم في جو رهو صحو، فكذلك الحياة كلها
منحنيات، وعقاييل، وعراقيل، وكذلك فإن الشعر لا يجري إلا كما

تجري الحياة على ظهر الأرض، إذ هو صدى من أصدائها، ونتيجة من نتائجها.

وقد يكون الشعر كما أتصور يعني الصدق الذاتي، كما يعني الصدق الموضوعي، والذات منها الأعماق، ومنها السطح، ومنها القشور ومنها اللباب، فيها السوي والمعوج، وفيها الشر والخير، وفيها العدل والظلم، وفيها الحيلة والإلتواء، وفيها الإستقامة والوضوح.

وإذا كانت الحرب خدعة، فالشعر أحياناً سلاح من أسلحة الحرب، ولا بأس في ميدان الصراع أن تكون الخدعة سلاحاً شاعراً...

على أن المعيار الحق في وزن أقدار الرجال وآدابهم وأشعارهم لا يتجه إلى الاستثناءات والمواقف المؤقتة، والجانبية والسطحية، وإنما ينبغي أن يتجه إلى تقييم الاهتمامات الرئيسية ومظاهر السلوك، وأهدافه والطابع العام الأعمق، والنهايات الكبرى.

تلك هي ما ينبغي للمنصفين أن يضعوها في الميزان عندما يدرسون حياة الناس، وآثارهم كبشر، لا كمخلوقات خرافية، أو ملائكية سماوية وهذا التمييز بين ما هو رئيسي، وثنائوي وبين ما هو حقيقة جوهرية، وعملية تحايل في سبيل الحقيقة، هو الطريق الآمن السوي وسط الدروب المشبوهة الماكرة، والمتاهات المظلمة المضللة.

٦ - بدأت حياتي طالب علم ينحو منحى الصوفية في العزوف، والروحانية وتعشقت هذا اللون من الحياة رغم اليتيم والشطف والقلّة، ونعمت به كما لم أنعم بشيء آخر بعد ذلك.

ولم يستطع أن ينتزعي من هذه الأجواء غير نشدان الشعر والأدب، وتعشقت الحياة الأدبية، وهمت بها هياماً، ولم تستطع أن تصرفني عنها، وتصدني عن التفرغ لها إلا المعارك النضالية السياسية التي تمخضت عنها الحياة الأدبية.

فروحانيتي عليها جنى الأدب، وأدبي عوقب بالسياسة، فزجت به في المعارك المريرة الطويلة المدى، وانتقمته منه شر انتقام.

على أن هذه المراحل كلها إنما تتباين هكذا في مظاهرها السطحية، أما في أعماق الواقع، فإنها مراحل متداخلة تسودها روح واحدة، وتحوطها منها كما أسلفت بدروع كدروع الكبسولة التي تخوض غمار الفضاء الخارجي الرهيب وهي ترتعد.

وشعري أو معظمه تطفئ عليه السياسة سواء ما كان منه مدحاً، وما كان رثاء، وما كان ثورة، وما كان شكوى، أو كما كان شيئاً غير ذلك وهذا هو المنطق الواقع، فإن حياتي كلها ليست حياة شخصية منفكة عن الحياة العامة بأي حال من الأحوال.

كنتُ مفتوناً بشعري إلى أبعد حدود الفتنة؛ فلقد كنت أتناوله في جو روحاني يمنحني الغبطة مضاعفة، ويعطيني ثقة خيالية بالنفس، وأمناً غامضاً لا مبرر له من الواقع المحسوس، كما كان يشعرني بقوة الاستغناء عن كل ما في الحياة، وبزوع إلى الاستعلاء على الاهتمامات العادية، والإيمان بقدرة لا أمتلك في يدي شيئاً منها، كنت أحس إحساساً أسطورياً بأنني قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد، والظلم، والطغيان، لست أدري أذلك من تخريف الخيال الشعري الجامح، أم هو ومضة من ومضات الذخر الصوفي السجين في أعماقي.

مصدر اليقين في الثورة

١ - كانت طليعة الشباب الأحرار اليمينيين قبل الحرب العالمية، وأثناءها يقتحمون بأفكارهم الشابة المتفتحة عالماً ضخماً معقداً جديداً عليهم، مليئاً بالألغاز، والاحتمالات والمتاهات. هم يتمنون بيئتهم، وأسرهم، ومجتمعهم، وعواملهم الوراثية، ودولتهم إلى ما قبل خمسمائة عام أو تزيد؛ ولكن كُتب عليهم أن يفتحوا أعينهم على عصر آخر غير العصر الذي يتمنون إليه، وأن يكونوا جسراً يعبر الشعب عليه، ويقطع مسافة قرون طويلة، وتلك رسالة من أصعب الرسائل التي يتحملها جيل من الأجيال.

إن هذا الجيل المخضرم لا يستطيع أن ينهض بالعبء إلا إذا نجح في أمور ثلاثة:

الأول: أن ينضج فهمه، وانتماؤه لروح شعبه، وروح العصر القديم الذي ينتمي إليه شعبه نضجاً تاماً.

الثاني: أن يتغلغل فهمه إلى روح الحضارة الحديثة لا أن يعيش على السطح منها.

الثالث: أن تكون عنده نزعة روحية ترتفع به فوق مستوى أهوائه الذاتية، ومنافعه المادية، لكي تكون هذه النزعة بالنسبة إليه كمحطة للفضاء التي يُراد لها أن تكون مرحلة بين الأرض والقمر... فرغم أنها تنتمي إلى الأرض ونواميسها عموماً، وتضحى في سبيلها، فإنها تتسامى إلى فوق مستويات حياتها الروتينية الجامدة، كما هي لا تنحدر إلى جاذبية القمر، وإن كانت تدنو منها، وتراها كما لا يراها أهل الأرض؛ وبغير مثل

هذا التسامي لا يستطيع الجيل المخضرم أن يقاوم عوامل الضغط الهائلة من عالمين إثنين:

عالم شعبه المعرق في القدم الذي تسوده نواميس الموت والتحجر؛ وعالم الشعوب العصرية الحديثة التي تلوح له بسحر حياة لا يستطيع أن يحياها بطريقة طبيعية كما هي، مهما تكلف وتكيف ولو عاشها فإنه دون شك سيعيشها إنساناً غير متكامل لأنه سيكون مخلوقاً شائهاً ينقصه الضمير وينقصه الخلق أيضاً.

وبدون شك فإن فهمه لروح شعبه الذي ينتمي إليه يقتضي فهماً كاملاً لظروفه السياسية والاجتماعية، والدينية وإذا استثنينا شؤون الدين الذي توجد مراجعه في الكتب، فإن جميع الظروف الأخرى السياسية والاجتماعية ظروف غامضة منغلقة على نفسها، وعلى أهلها.

ولا يستطيع حل ألغازها، وفتح مغاليقها، واكتشاف نواميسها، إلا عن طريق التجربة، والتعامل مع القوى السياسية التي تمثل سلطان القديم كله إلى جانب دراسة روح الشعب عن طريق ممارسة الحياة التي تحياها الجماهير ممارسة صادقة عميقة، لا ممارسة مسرحية.

٢ - فمن خلال الحس الوطني العميق لمعنى المهمة، التي كُتب على الشباب قبل عشرين عاماً أن يضطلعوا بها، مارسنا التجربة الحية على الطبيعة، ونبشنا ركام شعبنا، وحطام تاريخنا، ورواسبنا إلى الأعماق.

لقد كانت التجربة الأولى هي تجربة الرعيل الأول من رفاقنا، نبع فريق منهم من الأرض اليمينية عن طريق المطالعات للكتب الحديثة، ووفد آخرون عائدین من بغداد، بعد أن أنهوا دراستهم العسكرية، كانت

تجربتهم التبشير بأفكار عصرية بحتة ونقلها إلى شعبهم كما هي، وهو شعب - كان - لم يعرف أي شيء عن العصر الحديث، وكان لهذا الأسلوب رد فعل شعبي ورسمي مضاد، وشاعت عنهم حكاية الاختصار للقرآن كذباً، وبهتاناً، ولكنها شاعت لأنهم لم يتخذوا الاحتياطات ضد قبول مثل هذه الإشاعات. وكان كل هذا شيئاً طبيعياً، لأنها التجربة الأولى، وسهل على الحكم الرجعي أن يلغي وجودهم بالسجن، وكان الشعب يطلب ما هو أكثر من السجن. ولم يستطع الشباب بمجرد هذه التجربة أن يكتشفوا معدن الحكام على حقيقته.

٣ - تدارسنا هذه التجربة بعد الرعيل الأول، فأدركنا أنه لا يتم عمل ولا تقدم ولا تنجح دعوة عن غير طريق الدين الذي يستمد الحكام منه سلطتهم وقلنا: إنه لا بد لنا من إحدى الحسينين، فإما أن يسمح الحكام للفكرة بالانتشار فهو النجاح السلمي على مستوى الحكومة والشعب معاً، وإما أن يرفضوها، ويقاوموها وهي دعامة حكمهم فسيضطرون لهدم هذه الدعامة ويصبح حكمهم بغير أساس.

ولكننا وجدنا أنفسنا في السجن رغم هذا التكتيك؛ ووجدنا الشعب يتخلى عنا، ورأينا أن تحجره، وانصياعه للحكام أبعد مما تصورناه.

ورأينا أن التاريخ سيحكم علينا بالتهور والتسرّع إذا لم نكرر التجارب بطرق أكثر لينا، فالعامل الإنساني يجب أن يراعى حتى بالنسبة إلى حكام يسيطرون على مقدرات الشعب بغير حق، والله سبحانه وتعالى يقول لموسى وهارون عليهما السلام. وهو يبعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَنِنُ﴾ [طه: الآية ٤٤].

ومن هنا نشأت فكرة التظامن للعاصفة بعد أن وجدنا أنفسنا سجناء «جبل الأهنوم». وظهرت الثقة بمقدرة الشعر على إقناع الحكام بأننا لسنا أعداء بل إننا أبناءهم البررة. وإننا على استعداد لأن نكون كسائر أفراد الشعب مستمعين مطيعين، نراهم كما يراهم الناس.

والهدف من ذلك إعادة التجربة بأسلوب يحفظ على الحكام كبرياءهم، حتى إذا كانت الكبرياء هي التي تحول دون تسامحهم مع نشاطنا المرجو، فإننا نكون بهذه المداراة قد ساعدناهم على أن يكونوا طيبين معنا.

وقد نجح الشعر هنا في إقناعهم بأننا لسنا لهم بالأعداء فأطلقوا سراح البعض بعد تسعة أشهر، ولكنهم ظنوا أننا سوف نرضى عنهم، ونتعاش معهم بمجرد أن يصدقوا علينا من أموال الدولة ومناصبها، فلم يتغيروا بعد إطلاقنا من السجن في شيء ما غير الاستعداد لمساومتنا من الناحية الشخصية.

٤ - وبذلك انتهت مدة تجربتي مع الإمام يحيى بالذات بعد أن أدركت بعمق وبيقين أنه يعادي كل تطور، وكل إصلاح وأنه لا ينفع معه رفق، ولا لين، ولا استعطاف ولا ثناء، إذا كان المطلوب منه أن يحقق إصلاحاً، ولو على الأسس الدينية.

لقد كانت تجربة خصبة عميقة كسبنا منها الأساس الأول للثورة، وهو اليقين باستحالة تغيير الإمام يحيى عن غير طريق القوة.

ولم يكن هذا اليقين الثوري ليحصل إلا بعد المرور على كل هذه التجارب، وأهمها في رأيي استعطاف الشعر بكل ما فيه من تأثير عاطفي شديد.

إن محاولة إقناع الإمام يحيى بواسطة الفكر الديني ثم المدائح الشعرية التي قدمت إليه في هذه المرحلة التجريبية كلها تُعتبر وثائق تاريخية، تدل على المحاولات الجادة لإقناع الإمام بالحكمة، وبأرق الوسائل الودية كي يسمح بالتطور الإصلاحي المنشود، ولا يستطيع أحد في المستقبل القريب أو البعيد أن يزعم بأن الإمام يحيى عارض الإصلاح خوفاً على الدين، فإن التجربة قدمت نفسها كدين، أو يزعم بأنه تشدد واستبد، وأصر على طغيانه لأنه صُدم شخصياً، أو جرح كبرياؤه، فالشعر شاهد حي سيبقى برهاناً تاريخياً على أن الإمام يحيى - الذي لقي مصرعه بعد سنوات قليلة من المدائح - كان قد أعطي أكثر مما يستحق من الشناء والاحترام، وأُتيحت له الفرصة، ووفرت له الكرامة، وقدمت إليه الأفكار، والنصائح في جو من الود، والاستعطاف، والإكبار، لا يدع له مجالاً للتعليل والاعتذار، وأنه بإصراره رغم كل ذلك وعناده، واستبداده، يُعتبر المسؤول الذي جعل الخلاص منه بالقوة هو الطريق الوحيد، الذي لا طريق سواه.

٥ - أنا أعرف أن الذين يعيشون في ثورة اليوم، ووعي اليوم من شباب اليمن بالذات يضيفون من محاولاتنا لتبرير الثورة على الإمام يحيى، فهي قد أصبحت من البديهيّات.

ولكن إذا كانت الأمور بعد عشرين عاماً تبدو لنا واضحة جلية، ويبدو فيها وجه الحق يتّناً ساطعاً. فهي لم تكن كذلك من قبل... كان كل ما في اليمن يبدو مشوشاً غامضاً مظلماً، بل كان عالماً من الألغاز، والطلاسم والمتاهات.

وكان إحساسنا المزدوج المضطرب بين العالم القديم، والجديد،

وكانت حيرتنا بين طقوس العبودية التي يعيشها جيلنا يومئذ، وبين مثل العصر الحديث الذي تسَلَّلنا إليه مبهورين ذاهلين، كل ذلك يفرض علينا مسؤولية التحقق بأنفسنا، وبالتجربة الحياتية الذاتية من الأمور الآتية:

١ - هل الإمام يحى بطل قومي، تزعم الثورة ضد الأتراك وترتفع على العرش لأهداف سامية كما كانت سمعته الخارجية والداخلية تزعم له ذلك^(١)...

٢ - هل الإمام يحى الذي تزعم الثورة ضد الأتراك صالح لتزعم ثورة تطورية؟ ولو مترفة بطيئة متزنة تجنب الشعب آلام المخاض الثوري العنيف؟

٣ - هل الإمام يحى رجل قابل للأخذ والرد والتفاهم مع الناصحين المتوددين، أم أنه عنيد مستبد، مثاله، يرفض أن يعطي أحداً حق النصح، والمشورة، وإبداء الرأي!

٤ - هل العزلة، والتأخر، والفساد في اليمن آتية تلقائياً لعوامل تاريخية، وجغرافية، دون أن يكون للحكام دور أساسي في تجميدها، وحماتها أم أن للحكام دوراً يتحملون جزاءه ومسؤولياته؟

٥ - هل عند الإمام يحى نزعة الاستبداد، والتسلط والإصرار على خنق الشعب، أم أن الشعب هو الذي يخنق نفسه، ويرفض الحياة والتطور؟

٦ - هل كان يمكن أن تتطور البلاد سلمياً، وبالتدريج وبالتفاهم مع الإمام يحى، والتودد إليه، أم لا بد أن يأخذ التطور طابعاً ثورياً لا هواده فيه؟

(١) كان كثيرون من قادة العرب الأحرار يرشحون الإمام يحى لقيادة الأمة العربية نحو الوحدة والتحرر. وكان ياسين الهاشمي من رؤساء الوزارة العراقية يرى أن تكون اليمن قاعدة النضال العربي ومنطلقه، لأنها أول دولة عربية استقلت.

٧ - ومن جهة أخرى، فهل كان الشعب مستعداً أن يجابه الإمام بمطالبه، ويقف مع الأحرار، دون أن يسلمهم إليه، ويتركهم تحت رحمته، ويربر كل تصرفاته الاستبدادية...؟

٦ - لا شك أننا لو أغمضنا أعيننا، وألغينا من تاريخ اليمن الحديث هذه الفترة البدائية من محاولات الشيبة اليمنية، واحتكاكها بالإمام توجيهاً، وتبشيراً واستعطافاً، ومدحاً وتطرفاً، واعتدالاً، وسجوناً، أو غللاً.

ثم بدأنا استعراض التاريخ فقط منذ أعلنت الحركة المعارضة العنيفة من عدن، والقاهرة، التي أدت أخيراً إلى مصرع الإمام يحيى، وبعض بنيه، ورجاله، ثم إلى فشل الحكم الثوري الدستوري، والمذابح البشعة، والفتن، والنهب، والسلب، والخراب، والدمار.

ثم ما أعقب ذلك كله من حكم الإمام أحمد الرهيب.

لو فعلنا ذلك لما استطعنا أن نفهم المبرر العادل للأعمال الثورية العنيفة، بل ولحكمنا على الأحرار بالتهور، والمجازفة بالأرواح والأموال والمصائر، وافتعال ثورة لا ضرورة لها، ولا يقين فيها.

ولقد كان شعر المدح في هذه الفترة البدائية هو الرائد والمستكشف الأول، وهو المجسّ العميق الدقيق الذي تغلغل إلى أغوار نفس الإمام، وأعطانا المقاييس، والمعايير لتقدير الحد البعيد الذي ذهب إليه الطاغية من التأله، والقسوة والاستعلاء، والإصرار.

وبالنتيجة الحتمية كان الشعر هو الذي أعطانا القدرة على الانتقال النفسي من مرحلة إلى مرحلة، وهزّ مشاعرنا، ورواسبنا، وتلكأتنا، ومخضها مخضاً وأشعلها وصهرها، وحولها إلى يقين ثوري عميق أصيل.

٧ - ولم تكن طليعة الأحرار وحدها هي التي تمارس هذه التجربة

الإنشائية الصادقة العاقلة، بل كان الشعب معها يتطور ويتنقل، ويرصد الخطوات، ويحكمها، ويحكم فيها طبقاً لما يراه ويشهده.

ولو كانت الأحداث التي يشهدها الشعب هي مجرد الاعتقالات، وضروب البطش، والتنكيل لكانت عناصر المشهد التاريخي ناقصة بالنسبة إلى الشعب أفدح النقص. إذ لا يستطيع أن يجزم، ويحكم على الإمام يحيى بالقوة والعناد دون أن يشهد ضراعة الأحرار إليه، وترفقهم بسنه ومكانته، ولم يكن هذا كله ليتم، أو يعرف للشعب إلا عن طريق الشعر السيار الذي يقرؤه الصغار والكبار.

وقد بقي سؤال آخر في الصميم وهو: -

هل الشعب كان يقبل من الشباب أن يتهوؤوا ويتناولوا أو يتحدوا شعور الإمام يحيى من بداية التجربة...؟ أم كان الشعب يريد الإصرار على الترفق والتأدب مع السلطة الروحية، والزمنية...؟

الذي أجزم به أن الشعب لم يكن يطبق أية قسوة على الإمام بقول أو عمل، وكان يعتبرها طيشاً، وينفر منها أشد النفور بل ولم يكن يرى لها في حياته مبرراً، في حين كان شعر المدائح والاستعطاف، والتشجيع يلقي استحساناً عاماً من المواطنين.

ونحن فلم نكن إلا جزءاً من الشعب، وصدى من أصداؤه، ومحاولة من محاولاته البدائية في سبيل النمو والتطور.

وأنا أذكر أن قصيدتي في استعطاف الإمام والشكوى من أهوال السجن انتشرت في صفوف الشعب انتشاراً سريعاً، قبل أن تصل النسخة المرسلة إلى الإمام، وأنها أحدثت أثراً عاطفياً في صالح الأحرار المعتقلين، وحسنت نظرة الشعب إليهم وهيأت الشعب لنقد تصرفات الإمام، ورغم

أنه كان فيها استعطف ومدح للإمام يحيى، فقد كانت تنطوي على وصف لآلام السجن قصدت به تسجيل هذه الحقيقة تاريخياً في صورة ضراعة واسترحام، على قدر ما كانت تلهمنا الظروف يومئذ.

وكنت أرى أنني بذلك الوصف الرقيق الحزين، وإن جعلته موجهاً إلى الإمام فهو يستدر عطف الشعب كنتيجة طبيعية للوصف الشعري المؤثر، كما كنت أرى أن الشعب في هذه المرحلة من حياته يمكن التأثير عليه من الناحية العاطفية البسيطة دون الجانب العقلي الذي لم يبلغ فيه رشد يومئذ.

ومن جهة أخرى فإن المبالغات في المدح، والشكوى، والاستعطف يقدم إلى الأجيال صورة رمزية لبشاعة العلاقة بين الحاكم والمحكومين الذين أوقعتهم الأقدار تحت رحمته فاضطرهم بقسوته، واستبداده ومنطقه المتأله إلى أن يمدحوه ذلك المدح الذي يتحول بطبيعته إلى لون رمزي من ألوان الهجاء.

٨ - ووراء ذلك كله فتلك هي سن الطفولة الأدبية، والوطنية وذلك هو منطقها الذي عشناه.

وإذا كان في الناس اليوم من قد تطورا، واجتازوا هذه المرحلة بعيداً فلا يستطيع أحد أن يدعي بأن الشاعر متأخر عنهم في هذا التطور، وهو من التواضع، والخجل الشديد مضطر في سبيل تبرير المراحل الأدبية الماضية، أن يذكر من لم يتذكر بأنه والله الحمد ممن ساهموا في صنع التطور الثوري، وفي ابتداء المعايير الثورية التي يوزن بها الرجال، والحق أن هذا الشاعر عرضة لأن يتهم بالتطرف، أكثر مما يتهم بأنه صانع الحكام في طفولته قبل أن توجد معارضة أو معارضون.

٩ - وإذا كانت مرحلة التجربة مع الإمام يحيى قد أعطتنا اليقين الثوري بالنسبة إليه، وتأكدنا بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة للخلاص من حكمه، فقد بقي أنه وإن كان رأس الدولة، فهو قد كان الرأس اليانع للموت بحكم سنه؛ وهو مع ذلك شطر الدولة، أما الشطر الثاني فهو ابنه أحمد وهو الأهم، والأخطر.

ومن هنا نرى أن التجربة لن تتم صورتها إلا بالانتقال إلى ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى الرجل المؤمل للمستقبل.

في شهر ذي القعدة سنة ١٣٨١ هـ، مايو سنة ١٩٦٢ كلنا قد أصبحنا أحراراً أبطالاً حتى نفايات حاشية الإمام، وأهله، وذووه، وكلنا يستطيع أن يكتب حكم التاريخ بشجاعة على أحمد بن يحيى حميد الدين، ويكتب المقالات الطوال، عن أعاجيب أطواره، وجرائر حكمه. والشيء الوحيد الذي يعجزنا جميعاً، هو الإتيان بالجديد المجهول في هذا الشأن.

ولكننا في عام ١٣٦١ هـ كنا نرى في هذا الرجل بطلاً، في وقت كنا نحن وشعبنا في أشد العجز عن خلق الأبطال، وصنع البطولات.

كان ولي العهد أحمد رمز الأمل، ومناطق الرجاء في القضاء على أسباب الفساد المعروف عن حاشية الإمام يحيى. وكان رجال هذه الحاشية يرتعدون من المستقبل كلما تذكروا «أحمد» حتى لقد أرسل عصابة من رجاله وحرسه، فأحرقوا قصر أحد رجال الحاشية، بعدما اشتد تذمر الناس منه، وهو «السيد علي لطفي».

ومن جهة أخرى فهو البطل الأسطوري. فيما كانت تزعم له البلاد كلها من مواقف بطولية خيالية في حروب عديدة. ومن ثم كانت الأنظار تتجه

إلى بطولته كلما تذكر الناس الجنوب اليمني المحتل وحاجتهم إلى بطل يحرره من الاحتلال الانجليزي.

بل كان يرشح أكثر من ذلك لقهر الحكام السعوديين ليس من أجل استرداد الأرض اليمنية التي استولوا عليها فحسب بل ولطردهم من الجزيرة العربية، وإنهاء سلطانهم البدوي، المتوحش على الحرمين الشريفين.

وهذا كله عدا تعلق الفئات الواعية بالمستقبل الذي تنتظره البلاد على يده من تطور، وتحرر وإصلاح.

١٠ - في هذا الجو بالذات، انتقلت بعد خيبة الأمل من صنعاء الإمام يحيى إلى تعز ابنه أحمد ولي العهد، البطل المؤمل المرموق.

ولقد وجدنا في هذا الرجل العجيب فعلاً ما يخدع، وما يغش، وما يُذهل، وتعاطمت في أنظارنا ظواهر تصرفاته ومطامح شخصيته، وألغاز تصريحاته الرمزية، التي توحى بالتذمر من رجعية أبيه، وفساد حكمه.

لقد استطاع هذا الرجل، الممثل الداهية، أن يجعل البلاد تعيش - من ألامه - في مسرحية مبرمة فصولها، محكمة أدوارها. فهو يغضب من أبيه، ويثور، ويكي أحياناً، ويتوعد أحياناً، وأنه ليتأوه على سجناء الشباب حتى كأنه أخ لهم حميم! وكان يقوم بدور إطلاق سراحهم، وتأمين ساحتهم، ومطارحتهم الأفكار، والأشعار في مجالسه في تواضع وإنطلاق وتحرر.

كنت فعلاً في سن النوازع الروحية معجباً بشخصيته مأخوذاً بها، وكنا ننتظر أن تكون تجربتنا معه ناجحة، وأن يكون هو العوض للشعب عن خيبة الأمل، في أبيه، وأن يكون هو المرحلة الآمنة، التي يتطور فيها

مصير بلادنا في سهولة، وأمن من الأخطار.

وعلى هذا الأساس قدّمت إليه عصارة غالية من شعري، أنفخ فيه روح الطموح، والبطولة وأمنحه حماس الثقة، وأحرّكه بأحلام الشعر، وأشواق المجد، بل وأحلم بأنه قد أصبح بطلاً في دنيا فني، وعالم خيالي ولم يكن ذلك لأنني أطلب منصّباً، أو مغنماً شخصياً، فلم أتقلد منصّباً، ولم أقبل وظيفة، ولم أكسب منه مالاً، وإنما أتلمس لبلادي منطلقاً لمجد، وسبيلاً لتطور وإصلاح.

هذا شأن الإنسان في بداياته، وتطلعاته، وبحثه عن وجوه الحق، ومعالم الطريق. وهكذا كان الشأن، والموقف لشباب جيلنا كله في ذلك الحين: ﴿وَمَا كَأَنَّ اسْتِغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّدِهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١١٤].

دور الشعر في خلق اليقين الثوري

ولرُبِّ سائل يسأل: أكان شعر المدح هذا محتوماً؟
وأنا أستطيع أن أقول: نعم بكل تأكيد، ويقين أن إصدار قرار بالثورة
الصادقة، المصممة، المستميتة، مع ضعف الحال، وقلة النصير، وجهل
الشعب ليس بالأمر السهل، وليس من الشؤون التي يقضى فيها بالظنون
والأوهام، وتجيء نتيجة فورة عاطفية عابرة.
إن اليقين الثوري هو الأساس للثورة العميقة الصادقة، وهو العامل
الأول لصمودها، واستمرارها.
ولن يكون اليقين يقيناً، إلا بعد جهد يبذل لدراسة الموقف وسبر
أغوار الدولة، وقواها، ورجالها، وتجربة كل الوسائل غير الثورية، علّها
تنجح في إحداث التطور المطلوب.
والثورة، لا تكون حقاً، ولا عدلاً، ولا وطنية، كما لا تكون ناجحة،
إلا يوم تكون ضرورة محتومة، لا مفر منها.
إن الثورة عنف، وقتال، ومذابح، والمؤمنون بالتطور والإصلاح، لا
يقررون العنف، والقتال إلا بمبررات عادلة تبلغ حدّاً ليقين، وإلا كانوا
مجرد سفاكين متهوِّرين.
وقد كان يمكن أن يُقال لها، إنكم تسرّعتم فنفرتم هؤلاء الحكام،
وزرعتم الريبة في أنفسهم، ولم تقدّروا ما ورثوه من أجيال الخوف،
والشك والغرور، والشعور بالتملك المطلق.

ولو أنكم ترفقتم بهم، وأرضيتهم غرورهم لتطورت البلاد على أيديهم
في سرعة ويسر، ولجئتم اليمن كل ما أصابها من الآلام والأحزان،
والخراب، والموت من جراء الحركات الثورية التي تابعت وراء
دعوتكم.

ولن يكون بأيدينا مستند للرد على هذا الكلام يثبت مبلغ الجهد
المترقق لولا وثائقنا في شعر المدح الذي صنعناه بأسلوب لو توجهنا به إلى
الشياطين والأبالسة، لربما حولناهم إلى سبيل آخر، أو جعلنا منهم ملائكة
وأبطالاً.

صَوْر من المحاولة

وهذه بعض نماذج لعواطف الأمل،
والتعطش الذي كنا نتجه به إلى
الإمام أحمد أيام كان ولياً للعهد.

تبدو لنا فتهيم فيك عيوننا
وذكاء في آفاقها لا ترمق
وكأنما صوّرت من أبصارنا
فتكاد تخطف بالجبون وتسرق
وترى العيون تسيع نورك لهفة
وتضم محجرها عليك وتطبق
وتكاد تبلعك النواظر خلصة
وتشد أهداباً عليك، وتغلق
عجلت بها نظراتها فتفتحت
حيرى، ونورك زاخر يتدفق
فكأنها صاد يقبل كوثرأ
فتهيج لوعته عليه، ويشرق

عَبَّثَ وما رويت، وأتَى يرتوي
 من طلعة الفردوس طرف شيق
 خذ بالقلوب ففي يديك زمامها
 والقلب يقرن بالولاء ويوثق
 وانشر ضياءك في سبيل حياتنا
 فمسيرنا في غير نورك موبق
 طُرْ حَيْثُ شِئْتَ بنا فإنّا معشر
 سنطير إثرك في العلى ونحلّق
 كن كيف شئت لنا، فإن مصيرنا
 بيديك والدنيا إليك تحدق
 يا حامل الشعب الكبير بقلبه
 الشعب في طيات قلبك يخفق
 جدد له عصر الجدود بعزمه
 لو مست الماضي لجاءك يشرق
 لا تبنه حجراً ولكن فيلقاً
 ينساب فيه للمنايا فيلق

ولكننا، وبعد العصارات الروحية
 من الشعر والمحاولات المخلصة
 الصادقة من التوجيه والإقناع
 لهذا الرجل، لم نجد من بطولته
 المسرحية، إلا أحلاماً خداعة
 تحولت إلى كابوس يخنق
 الأنفاس، ويشل الحياة.

"وكم جاس شعري غاب ليل تحيط بي
 مضرجة أدغاله، ومساربه"
 "وصور زهراً، ربما كان زخرفاً
 «على حية، أو عين وحش تراقبه"
 "وكم كان ذعري عندما أشرق الضحى
 عليّ واذا فتشت، ما أنا حاطبه
 "وإذ أسفر الوجه الذي يتّ هائماً
 به فرمتني بالدواهي عواقبه"
 "وماذا على من صور الشيء ظاهراً
 إذا اختبأت ملء الطوايا مثالبه"
 "ولكنه قد يقتل المرء نفسه
 إذا اختار صلاً في الظلام يداعبه"

”أحق بناب الوحش من بات عنده

وأحمق من ذي جنة مَن يصاحبه”

١٣ - ومع كل الذي أسلفته من مبررات لشعر المدح فإني أذكر الناس جميعاً أن هذا الشعر إنما قلناه قبل عشرين عاماً في ظروف لم تكن القضية الوطنية فيها قضية محددة، ولم تكن هناك معارضة ولا معركة.

بل لقد كان لهذا الموقف الأخير الذي وقفناه مع أحمد بن يحيى الفضل الرئيسي لتطورنا الناضج العميق.

إن القضية ولدت هناك في تعز في صورة قصائد طنانة، كنا نلقيناها على الجماهير في محافل الأعياد الضخمة لولي العهد. لقد كان عملنا يومئذ يُعتبر تقدمة ونهضة، وجرأة على تطوير الأساليب القديمة في الأدب والشعر، وجرأة على الظهور والطموح، والتبشير بوجود عصر حديث لم يكن للناس به في بلادنا علم، وقد فطن ولي العهد أحمد إلى هذا المغزى العميق لحركتنا.

هناك كنا ندرك أننا نهز طموح هذا الرجل ساعات من الوقت، ولكنه عندما يعود إلى عنصره المستبد، ورواسب طغيانه كان يجزع ويتألم لأن الجماهير عرفتنا ولأن الأدباء، قدموا إلينا التهاني شعراً ونثراً وأظهروا إعجابهم بملامح الأدب الحديث.

وانقلب ولي العهد على مَرِّ الأيام إلى طبيعته وخلع أزياءه المسرحية، وصرح على الملأ بأنه سيلقى الله ويده مخضبة بدماء الأدباء، وأن مَن يقرأون كتب طه حسين، والعقاد، والرافعي، سيلقون الموت، وقد تعاظم

علينا هول المفاجأة عندما تأكد لنا أن هؤلاء الحكام يكرهون النور والتجديد حتى ولو كان في صورة شعر يمدحهم ويُمجِّدُهم، ويتغنى بآمال الشعب فيهم.

عرفنا أنهم لا يقاومون النشاط الوطني فحسب بل يقاومون حتى الحركة التي تبدو لهم وكأنها تنسج لهم من عالم الغيب أمجاداً. هناك ولدت الثورة، ومن يومئذ وُجدت الموازين الثورية التي يُنتقد المواطنون، ويُحاسبون على أساس منها.

ومرت بعد ذلك عشرون عاماً نستطيع أن نقدمها إلى الشعب دون أن نذكر ماذا كنا خلالها، وماذا عملنا لا لأننا نتواضع فأنا في موقع دفاع يرر أن نقول كل شيء بل لأن الشعب يعرفنا ويعرف موضعنا في الميدان العصيب مع الشرفاء الأحرار خلال هذه الفترة الطويلة.

إن الشعب كله كان يقدر هؤلاء الحكام، وكان كل من يملك شعراً أو نثراً لا يكاد يقدمه إلا مدحاً للإمام أو نجله، وليس هناك فرق بيننا، وبين الكثيرين إلا أننا تغيّرنا ولم يتغيروا، وثرنا ولم يثوروا، وقدمنا حياتنا، وشبابنا قرباناً في سبيل الحق، ومن أجل الشعب مع نفر قليل من زملائنا وشهادتنا، فإن كنا لم نلاقِ مصيرهم فلم يكن ذلك لأننا أحرص على الحياة أو أبعد عن خطوة الموت أو أقل حظاً من الوفاء للشعب ولكنه سر الأجل العجيب، الذي جنبنا مصيراً كمصير الشهداء ربما لكي نستطيع أن نتصف لهم، أو نتمم رسالتهم ونحيا في سبيل الله وسبيل الشعب الذي ماتوا من أجله، فنرثيه لمصرعه ونبعثه من مرقده.

ما كنت أحسب أنني سوف أرثيه
 وأن شعري إلى الدنيا سينعيه
 وأنني سوف أبقى بعد نكبته
 حياً أمزق روحي في مراثيه
 فإن سلمت فإنني قد وهبت له
 خلاصة العمر، ماضيه، وآتيه
 وكنت أحرص، لو أنني أموت له
 وحدي فداء ويبقى كل من فيه
 لكنه أجلُّ يأتي لموعده
 ما كل من يتمناه ملاقيه
 وليس لي بعده عمر، وإن بقيت
 أنفاس روحي، تفديته، وترثيه
 فلست أسكن إلا في مقابره
 ولست أقف إلا من مآسيه
 وما أنا منه إلا زفرة بقيت
 تهيم بين رُفاتٍ من بواقيه

نهاية التجربة

وانتهت تجربتنا مع السيف أحمد ولي العهد إلى النهاية التي انتهت إليها تجربتنا مع أبيه الإمام يحيى . وبذلك تمت عناصر اليقين الثوري، الذي يفرض علينا أن ننفض أيدينا من كل أمل في الوصول إلى تغيير الأوضاع تغييراً سلمياً بأيدي الحكام.

وقد أسلمتنا هذه التجربة إلى أمرين لا ثالث لهما:

فإما أن نرضخ وندفن رؤوسنا في المقبرة الموحشة التي دُفن فيها الشعب، وندخل فيما دخل فيه الكثيرون... فنأكل الجيف، ونمتص الدماء، ونعيش كما تعيش الدود... في القبور... أو نشور... وآثرنا الأشق الأصب... ولكنه الأشرف... وتمردنا... وأنشدنا...

خرجنا من السجن شم الأنوف
كما تخرج الأسد من غابها
نمر على شفرات السيوف
ونأتي المنية من بابها
ونأبى الحياة، إذا دتست
بعسف الطغاة، وإرهابها
ونحتقر الحادثات الكبار
إذا اعترضتنا بأعابها

ونعلم أن القضا واقع
 وأن الأمور بأسبابها
 ستعلم أمتنا، أننا
 ركبتا الخطوب حناناً بها
 فإن نحن فزنا فيا طالما
 تُذلُّ الصعاب لطلابها
 وأن نلقَ حتفاً فيا حبذا
 المنايا.... تجيء لخطابها...!
 أنفنا الإقامة في أمة
 تُداس بأقدام أربابها
 وسرنا لنفلت من خزيها
 كراماً، ونخلص من عابها
 وكم حية تنطوي حولنا
 فنسلُّ من بين أنيابها

هل من مزيد؟

أيها البائس الخميصُ! متى تنهض
 من كبوة الشقاء المديد؟
 قد غَدَوْنَاكَ من دماء البهاليلِ
 ... ومن أكْبُدِ الملوك الصيدِ
 فلماذا نراك يَضُوءاً كما كنتَ؟
 ... فهل أنت طامعٌ في المزيد؟

كفر وإيمان

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج: الآية ١١].

كَفَرْتُ بِعِزَّتِي الصَّامِدِ
وَقُدْسِيَةِ الْغَضَبِ الْخَاقِدِ
وَأَنَاتِ قَلْبِي تَحْتَ الْخَطُوبِ!
وَأَحْلَامِهِ الْحَيَّةِ الصَّاعِدِ
وَعُمْرِ شَبَابٍ نَذَرْتُ بِهِ
لِشَعْبِي وَأَهْدَافِهِ الْخَالِدِ
وَبِالشَّهْدَاءِ، وَأَرْوَاحِهِمْ
تَرَاقِبُنِي مِنْ عَلِ شَاهِدِ
إِذَا أَنَا أُيِّدْتُ حُكْمَ الطُّغَاةِ
وَهَادَنْتُهُمْ سَاعَةَ وَاحِدِ

هِيَ الشَّأَةُ تَتَّبِعُ جَزَارَهَا،
وَتَنْسَى بِبِرْسِيهِ ثَارَهَا

ثَبَاعٌ وَتُثْرَى... من الذابحين
 وَتَجْهَلُ فِي الْبَيْعِ أَسْعَارَهَا
 يُجَزِّجُهَا الْحَبْلُ فِي عُنُقِهَا..
 الذَّلِيلُ فَتَحْسِبُهُ غَارَهَا
 تَرَى مِذْيَةَ الذَّبْحِ مَصْقُولَةً
 تُضِيءُ فَتُكْبِرُ أَنْوَارَهَا
 هِيَ الشَّاةُ لَكُنْتِ الْآدَمِي
 ... أَكْبَرُ نَفْسِي عَنِ السَّائِمَةِ
 تَمَرَّدَ قَلْبِي عَلَى الظَّالِمِينَ
 وَدَنِيَاهُمْ الْقَطْطَةُ الْغَاشِمَةُ
 وَعَشْتُ مَعَ الشَّعْبِ فِي خُطْبِهِ..
 الْمُرِيرُ وَآلَامُهُ الْحَاطِمَةُ
 أُثِيرُ كَوَامِنُ أَعْمَاقِهِ
 وَأُوقِظُ عَزَّتِهِ النَّائِمَةَ
 وَأُعْزِزُ دِيَاجِيرَ أَغْوَارِهِ
 فَأَشْعِلُهَا بِالزُّرُوعِ الْحَالِمَةِ

وأطرُدُ أشباحَ كابوسه...
 الرهيب وأهواله الجائمه

كفرتُ بعهدِ الطغاةِ البغاةِ
 وما زخرفوه وما زَيَّفوه
 وأكبرتُ نفسي عن أن أكون
 عبداً لطاغيةٍ تَوَّجوه
 وعن أن يراني شَعبِي الذي
 يُعَذِّبُ عَوْناً لمن عَذَّبوه
 أأَجْثُو على رُكْبِي خاشعاً
 لِحُتَّةٍ طناغيةٍ حنَّطوه
 أَلْعَقُهُ خَنْجَراً... قَاتِلاً
 لشَعبِي وأُكْرِيرُ فيه الوُلُوه
 أنا ابنُ لشَعبِي أنا حَقْدُه..
 الرَّهيب أنا شعره أنا فُوه
 أَتَغْنُو لطاغيةٍ جبهتي؟
 فمن هو؟ مَنْ أصله؟ مَنْ أبوه؟

وَأَقْسِمَ بِاللّٰهِ خَيْرَ الْقَسَمِ
 وَمَا صَنَعْتُهُ مِنْ كَرِيمِ الشِّيمِ
 وَمَا خَبَأْتُ مُهْجَتِي مِنْ هِمَمِ
 وَمَا حَمَلْتَهُ يَدِي مِنْ قَلَمِ
 وَمَا هَزَّنِّي مِنْ إِبَاءٍ وَدَمِ
 وَمَا اجْتَنَّاخَنِي مِنْ عَمِيقِ الْأَلَمِ
 وَمَا اكْتَسَحَحْتُ عِزْمَتِي مِنْ قِمَمِ
 لِأُرْمِي بِقَلْبِي فِي الْمُرْدَحَمِ
 وَأَمْحُو عَنْ الشَّعْبِ عَارَ الصَّنَمِ
 وَأَجْعَلْهُ عِبْرَةً لِلْأُمَمِ

سَأَمْضِي... عَنِيداً فَلَا أَنْثَنِي
 وَأَحْيَا كَرِيماً فَلَا أَنْحَنِي
 وَأَرْفَعُ نَحْوَ السَّمَاءِ جَبْهَتِي
 كَمَا ارْتَفَعَتْ جَبْهَةُ الْمُؤْمِنِ
 أَمُوتْ خَمِيصاً! وَلَا أَقْبِلُ الْقُتَاتِ
 ... مِنَ الْقَاتِلِ الْحَسَنِ

أَطْعَمُ مَنْ قَاتِلِ أُمَّتِي
 أَرَى الدَّمِ فِي كَفِّهِ الْمُنْتِنِ؟
 يُقَدِّمُ لِي طُعْمَ شِلْوٍ شَهِيدٍ
 مِنْ إِخْوَتِي لَحْمَهُ أَوْ بَنِي
 تَكَادُ اللَّقِيمَاتُ مِنْ لَحْمِهِ
 تَقُولُ لَأَكْلَهَا خُنْتِي!
 فَلَا نَبْضَتْ نَخْوَةٌ فِي دَمِي
 وَلَا عِزَّتِي شَرَفَ الْوَطَنِ
 إِذَا جِدتُ عَنْ مَبْدئِي أَوْ رَضِيتُ
 بَعِيشٍ مِنَ الْعَارِ مَسْتَهْجَنٍ

وَأَمْنْتُ بِالشَّعْبِ حَتَّى وَقَدْ
 رَأَى الْوَرَى جَنَّةً هَامِدَةً
 تَدَاعَى حَوَالِيهِ أَعْدَاؤُهُ
 لِيَقْتَسِمُوهُ عَلَى الْمَائِدَةِ
 فَهَذَا بِشِلْوٍ شَهِيدٍ يَعِثُ
 وَذَاكَ يَسَاوِمُ فِي الْفَائِدَةِ
 وَذَا لِلْيَتَامَى يَهْزُ السَّيَاطُ
 لَتَعَبَثَ بِالْجَنَّتِ الرَّاqِدَةُ

وكم من وليد حذار الحمام
رأى نفسه صافعاً والده^(١)

وأمنت بالشعب يوم جثا
أمّ الطغاة على ركبتيه
ويوم أنبرى في ذهول الهوان
يؤمي مكاسبه من يديه
ويوم مددنا شعاع الصباح
له، فأنزوى... وحمى مقلتيه
ويوم عصّنا رقاب الطغاة
وشقناهم كالجوارى إليه
فأطلقهم من هوان الإسار
ذئاباً علينا صلاباً عليه

(١) كان يؤتى أحياناً باليتامى الذين ذبح آباؤهم، فيرغمهم الجلادون على البصق في وجهه آبائهم وهم جثث مطروحة على الأرض، وأحياناً يرغمونهم على أن يدوسوا هذه الجثث. ولو اجتمع شعراء الدنيا لكي يصوّروا مشاعر الطفل التيس وهو يكلف بممارسة هذه الوحشية لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

هو الشعب..! حق مَشِيَّاتِهِ
صوابٌ ورُشدٌ خطِيَّاتِهِ
له نَبْضُنا وأحاسيسُنا
فما نحن إلا نَبَاتَاتِهِ
له دَمُنَا وله دَمْعُنَا
يُقَدِّى عليه وَيَقْتَاتِهِ
يُحَطِّمُ بالموتِ زهر الحياة
مِنَّا لِتَضْلُبَ شوَكَاتِهِ
ويَقْصِفُ عمر الحمامِ الوديع
لتَحْيَا وتَكْبُرَ حَيَّاتِهِ
ولكنه في المَجَالِ البعيد
... تَعْلُو عَلَى الظُّلَمِ رَايَاتِهِ
وتَقْتَلِعُ الشرَّ خَيْرَاتِهِ
وتَبْتَلِعُ الكُلَّ غَايَاتِهِ

وكم جاهلٍ لحقوقِ الوَطَنِ
يُرِيدُ عَلَى كُلِّ خَطْوِ ثَمَنِ

إِذَا وَخَرَّتْ رَجُلَهُ شَوْكَةً
تَقَاضَى جِزَاءً عَلَيْهَا وَمَنْ
فَإِنْ لَمْ يُحَقِّقْ هَوَاهُ النَّضَالُ
تَارَ عَلَى شَعْبِهِ وَاضْطَغْنَ
وَرَاغَ يُلُوثُ طُهْرُ الْكِفَاحِ
وَيُبْذَى الْعَيُوبُ وَيُذْكَى الْفِتْنُ

وَقَدَّمَ شَكْوَى بَنَى لِلْإِمَامِ
بِمَنْ وَيَحْهَ يَشْتَكِي وَلِمَنْ؟
وَبَاعَ السَّمَاءَ لَهُ وَالنَّجْمُ
وَمَا جَالَ فِي رَحْبِهَا أَوْ سَكَنَ
فَلَمْ يَبْقَ اللَّهُ فِيهَا مَلَكَ
وَلَمْ يَبْقَ اللَّهُ فِيهَا سَكَنَ
وَعَوَّذَهُ ضِدًّا بِطَشِ الْإِلَهِ
وَوَعَى الشُّعُوبَ وَسَيَّرَ الزَّمَانَ
وَبَشَّرَهُ بِانْتِهَاءِ الْكِفَاحِ
وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَمَوْتَ الْيَمَنِ

وَأَنْ الْمَلَائِكِينَ لَا تَرْتَجِيهِ
غَيْرَ الدُّعَاءِ وَغَيْرِ الْكُفَنِ
وَغَيْرِ الصَّلَاةِ عَلَى نَعَشِهَا!
وَبُقْيَا خَلِيفَتِهَا الْمُؤْتَمَنِ

بوادر ثورة

من وحي انتفاضة خولان القبيلة
اليمينية الباسلة.

الملايين العطاش المشرئبه
بدأت تفتلح الطاغى وصحبته
سامها الحرمان دهرأ لا يرى..
الغيث إلا غيثة والسحب سحبته
لم تنل جرعة ماء دون أن
تتقاضاه بحرب أو بغضبه
ظمئت في قيده... وهي ترى
أكله من دمها الغالى وشربه
ليت شعري أي شيء كان يخشاه
... في دُنياه لو هادن شعبه
ها هو الشعبُ صحا من خطبه
بينما الطغيان يستقيل خطبه

لا تحرقونا بنارككم

شعار من شعارات العبيد، كانوا يطاردون به
الأحرار، ويحاولون به إبعادهم عن المجتمع
اليمني في عدن، إبان ظهور الحركة الوطنية
هناك.

دَعُونَا وَلَا تَقْرِبُوا جَمْعَنَا
وَلَا تُحْرِقُونَا بِنِيرَانِكُمْ
رَضِينَا بِأَنَا عَبِيدُ الْإِمَامِ
وَأَنَا كَمَا شَاءَ عَمِّي وَضَمِّ
نُكَبَلُ أَقْدَامِنَا بِالْقُيُودِ
وَنَعْقِلُ أَفْوَاهِنَا بِاللَّجْمِ
وَنَفْرَشُ مَضْجَعِنَا بِالْغَبَاءِ
وَنَقْنَعُ مِنْ عَيْشِنَا بِالْحُلْمِ
فَمَاذَا عَلَيْنَا لَوْ أَنَا نَعِيشُ
أَعْمَارَنَا فِي الدُّجَى الْمَدْلَهْمِ

وَهَبْنَا الْحَيَاةَ لِأَوْلَادِنَا
وَنَبْضَ الْقُلُوبِ وَنُورَ الْبَصَرِ
فَمَا نَبْتَغِي مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ
وَمَا نَرْتَجِي فِي ضِيَاءِ الْقَمَرِ؟

وفي الحشرات.. لنا أسوءُ
 تُزهِدنا في حياة البشر
 وفي عالم الدود عَيْشٌ هنيء
 هَبَطنا إلى مُستواه الأغر
 ولو نَسْتَطيع التُّزول البعيد
 نَزَلنا لِمُستويات الحجر
 تريدون ويَحْكُمُو... أن نثور
 وما نحن إلاَّ كدود القبور
 نَعِيشُ على جُثث الهالكين
 أمثالكم من هُواة الشرور
 نَمُصُّ دماء مغاويركم
 ونَسَخَر من ويلها والثبور
 نُعَشِّشُ في هامة عَشَّشَت
 بها قبلنا كبرياء الغرور
 سَنَرُقُبُ مَضْرَعُ أبطالكم
 طويلاً وإنا لشعب صبور

نكسة الثورة اليمنية

تصور هذه المقطوعة دهشة الأحرار المثاليين عندما
فُجِعوا بانبعاث روح الطغيان بعد مصرع الطاغية،
وتحوّل الجماهير إلى وحوش تفترس منقذيهـا.
ولو عرف المكافحون أن الطغاة سلالة طبيعية لأخلاق
الشعب لما عجبوا ولا تعثّروا.

رَبِّ هَذَا الْإِمَامِ أَشْلَاءَ مَقْتُول
... وَهَذَا قَبْرٌ وَهَذَا رِغَام
وَرِحَابُ الْجَحِيمِ يُصْنَعُ فِيهَا...
كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِهِ وَيُقَامُ
وَيُحَى، مَا لَهُ غَبِيٌّ عَنِيد
لَيْسَ يَدْرِي أَنَّ الْحَمَامَ حَمَام
يَعْجِبُ الْمَوْتَ أَنَّهُ لَمْ يُمِثَّ مِنْهُ
.... وَلَمْ يَنْجُ مِنْ أَذَاهِ الْأَنَامِ
وَزَعَتْ رَوْحَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَرْتَا
...عُ الْيَمَانُونَ مِنْهُ حَيْثُ أَقَامُوا
فَإِذَا بِالْحَيَاةِ شَنْعَاءَ فِيهَا...
كُلُّ شَخْصٍ وَكُلُّ شَيْءٍ إِمَام

أنا راقبت دَفَنَ قَرْحَتِنَا الكبرى
 ... وشاهدتُ مصرعَ الإبتسامة
 ورأيتُ الشَّعْبَ الَّذِي نَزَعَ القَيْدَ
 ... وأبقى جذوره في الإمامه
 وإذا بالطبول عادت طبولاً
 وإذا بالفطيم يلغي فطامه
 وإذا بالدستور يصرِّعه البغي
 ... ويلقى كصانعيه جِمامه
 وإذا الشعبُ بعدما حطَّم الأُضفاد
 ... عنه لم نَلَقْ إلا حطامه
 نحن شِئْنَا قِيَامَهُ لِفَخَّارٍ
 فأراه الطغاةَ هَوَّلَ القِيَامِ

شعب متربّص

في أعقاب ثورة ١٩٤٨ اكسحت اليمن موجة من
اليأس، وركع الشعب أمام الطغاة وتكاثرت التهاني
والمبايعات للجلادين، وكانت روح الشعر من يومئذ
تستشف الواقع وتلمح ما وراءه.

مِنْ وراءِ الأَكْذوبَةِ المَعْبُودَةِ
والتَّهَانِي الذَّلِيلَةِ الرُّعْدِيَّةِ
والهَتَافَاتِ والضَّرَاعَاتِ لِلأَصْنَامِ
... فِي ضَجَّةِ الطُّبُولِ البَلِيدِ
والمَزَادِ الَّذِي يُجَدِّدُ بَيْعَ الشَّعْبِ
.... فِيهِ بِالبَيْعَةِ المُنْكَودِ
وَالْعُهُودِ اللَّاتِي يُكْرِزُهَا الطَّاعِي
.... كَأَبَائِهِ لِيَشْرِي عَبِيدَهُ
وَرُؤُوسَ الأَبْطَالِ يَلْهَوُ وَلِيدُ القَصْرِ
... لَهْوَاً بِهَاءَ، وَتَلْهَوُ وَلِيدُهُ
والمَحَادِيرَ والمَخَافَ تَغْتَالِ
... الضَّحَايَا المَفْجُوعَةَ المَفْؤُودِ

والْقُنُوطُ الْوُخْشِيُّ يَفْتَرَسُ الْأَحْرَارَ
 ... فِي ظُلْمَةِ الشُّجُونِ الْبَعِيدَةِ
 أَلْمَحَ الشَّعْبِ قَابِعاً يَدْرُسُ الثَّوْرَةَ
 ... كَيْمَا يَأْتِي بِأُخْرَى جَدِيدِهِ
 يَتَحَرَّى الْأَخْطَاءَ وَيَغْفِرُ لِلْأَخْرَارِ
 ... أَخْطَاءَهُمْ لِيَبْقُوا جُنُودَهُ

الأمن الزائف

إنها وثنية لا شعورية مضحكة.. مبكية، تلك التي تجعل من فرد عاجز مريض علة وجود الشعب وأمنه وسلامته، وتزعم بأن الشعب العربي في اليمن بدون جلاّدين وسفّاكين، شعب فاسد التكوين عاجز عن الطمأنينة والسلام.

إنه منطق فريقين من الشعب: فريق الجهلة الأميين من سكان المدن وهم أولئك الذين لا يزالون يعيشون بعقولهم في عهد ما بعد الأتراك، وفريق أصحاب المصالح المحرّمة الذين يحسّون بأن وجودهم حيث هم وجود غير شرعي وغير طبعي، وأن أكثرية الشعب تترّص بهم الدوائر. وقد تجلّى منطق هذين الفريقين بصورة خاصة عند غياب الإمام أحمد حميد الدين في روما وانفجار طلائع الثورة الشعبية انفجاراً تلقائياً هنا وهناك.

فإلى هذه العقلية المشلولة المفلولة تقدم هذه المجموعة من الخواطر السياسية في قالبها الشاعرعي ولسنا نريد بها إلا تنبيهاً وتبصيراً، وإنارة للعبرة، وإشعاراً لهذا الفريق وذاك بضرورة التفكير في حلول شعبية تضمن السلام والأمان في اليمن ضماناً حقيقياً، ولن تكون هذه الحلول إلا في القضاء على كل أسباب حقد الشعب المكبوت، لا مضاعفة وسائل كبته واضطهاده، تلك الوسائل التي ستؤدي حتماً - إن هي استمرت - إلى الانفجار الرهيب في يوم غير بعيد.

إصرخوا في الآذان: اللّهُ أحمد^(١)
 واجعلوه ربّاً سوى اللّهِ يُعبّد
 وإزعموا أنّه الحفيظُ على الأرواح
 ... والمستعان في كلّ مقصد
 والخبيرُ العليم عَيْناه في كلّ مكان
 ... ترى الخفايا وتشهد!
 والمنيع المسحور.. لا ينفذ الخنجر فيه
 ... ولا الرّصاصُ المُسدّد
 والشّجاع الرّهيب، ينهزمُ الجيشُ
 ... بلحظ من ناظرَيْه ويَرْتد
 في يديه الأرزاق يَمْنَحُها مَنْ
 شاء من شعبه فيغنى ويَسعد
 وهو إن شاء يَمْنَعُ الرّزق عن عبدٍ
 ... فيعيّا عن حيلةٍ ويشرّذُ
 يتحدّى نجماً فيمسخه فَحْماً
 ... ويُعلّي صخراً فيصبح فرَقْدُ

(١) (أحمد الله) هو التوقيع الملكي الرسمي، ولا ريب أن المقصود به «التورية» وهي في حقيقتها المعروفة: أن يُقصد بالعبارة الواحدة معنيين اثنين، والمعنيان المقصودان في هذا التوقيع الأحدي صريحان واضحيان: أحدهما جملة فعلية تعني حمد الله.. والثاني جملة إسمية معناها: أن أحد هو الله...!

وهو رُوح في الشعب، لو تَهْجُرُ الشَّعْبَ
 ... تَلَاشَى كجيفةٍ وتبدد
 وهو الدين.. والشرِعةُ، لو فارقه
 شَعْبنا لألحد وارْتد
 وهو الأمن وَخْده، والملايين
 ... من الشعب أَذْؤب تترصّد
 نحن من دونه وحوش سَنَقْنَى
 بمخاليننا... ونُحْى ونُحصد
 مُقْلَتَاه الكيَرتان تَحْوَطُ الشَّعْبَ
 ... من كل طارق يتهدد
 وهما القُوَّةُ المُسلَّحةُ الكبرى
 ... بها يُقْهر العدو ويُطرَد

وَلُنُسَلِّم.. بَأْنِه كُلُّ شَيْءٍ!
 ولننقل: إِنَّه إِلَه تَجَسَّد
 غَيْرَ أَنَّا نراه يمرضُ كالنَّاسِ
 ... ويحيى حَيَاةً مَنْ لَا يخلد

ونحسُ المنون تدنو إليه
ونراه يَنْهَار منها وَيَنْهَدُ
يجتدي من يد الفِرْج سويعات
... من العمرِ عندهم قد تجدد
والنأيا أمضى من الطب إقداماً
... وأهدى إلى الضحايا وأقصد

أيها الواضعون كل مَصير
لهمو في أحضان شيخ مسود
أيها الجاعلوه في وسط دنيا العصر
... يَشْوِء إعصارها وهو مُقَعَد
إمْنَحُوهُ الخلود كي تضمنوا الأمن
... وتلقوا به السَّلام المؤكَّد
واجعلوه حيّاً مدى الدهر قِيُوماً
... وجوداً له بعرش مُؤَبَّد
وهبوه أرواحكم وانفُخُوهُ
نفخ طفل بالونه يوم عِيْد

قَدِّمُوا مِنْ رُؤُوسِكُمْ قِطْعَ التَّغْيِيرِ
 ... إِنْ شُلَّ رَأْسُهُ أَوْ تَبْلَدَ
 فَإِذَا مَا اسْتَطَعْتُمْ ذَاكَ فُزْتُمْ
 بِأَمَانٍ ضِدَّ الْمَخَاطِرِ سَرْمَدَ
 وَإِذَا مَا عَجِزْتُمْ وَعَرَفْتُمْ
 أَنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ يَمُوتُ أَوْ الْعَدُوُّ
 فَاظْلُبُوا أَمْنَكُمْ مِنَ الشَّعْبِ...
 إِنْ الشَّعْبُ بَاقٍ... وَقَادِرٌ إِنْ تَعَهَّدَ
 لَا تَغُرَّكُمْ أَمَانٌ يَمْنِيكُمْ
 ... بِهَا عَاجِزٌ مَرِيضٌ مَهْدَدٌ
 لَيْسَ أَمْنًا إِلَّا الَّذِي وَهَبَ الشَّعْبُ
 ... وَلَا ذِمَّةٌ سِوَى مَا تَقْلُدُ
 لَيْسَ مَالًا تِلْكَ الدِّمَاءُ الَّتِي امْتَضَتْ
 ... وَقُلْتُمْ عَنْهَا نُضَازٌ وَعَشَجَدُ
 كُلُّ قِرْشٍ نَهَبْتُمْ لَيْسَ إِلَّا
 قَاتِلًا... غَالٌ جَائِعًا وَتَعَمَّدَ

أَيُّهَا الْآمَنُونَ أَخْطَرُ أَمِّنٍ
أَيُّهَا النَّائِمُونَ فِي شَرِّ مَرَقَدٍ
أَيُّهَا التَّائِهُونَ عُجْباً لَأَنَّ الشَّعْبَ
... فِي مِخْنَةِ الظَّلَامِ... مُقَيَّدٌ
أَيُّهَا الْآخِذُونَ بِالْأَمْسِ دَرْساً
قَاسِياً لَا تُرِيدُهُ يَتَجَدَّدُ
أَيُّهَا الرَّاqصُونَ فَوْقَ حَطَامِ الشَّعْبِ
... وَالشَّعْبِ صَابِرٌ يَتَجَلَّدُ
أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ وَالشَّعْبَ يَبْكِي
أَيُّهَا الرِّافِهُونَ... وَالشَّعْبَ يُجَلَّدُ
أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِالْحَقِّ.. إِنَّ الْحَقَّ
... رَغِمَ الْكَفْرَانُ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ
كَلَّكُمْ قَدْ نَيْسْتُمُ الْأَمْسَ...
وَالْأَمْسَ قَرُبْتُ مِنْكُمْ يَرَاكُمْ وَيَشْهَدُ
لَوْ رَأَاهُ فَرَعُونَ فِي صَحْوَةِ الْمَوْتِ
... جثا من خشوعه وتشهّد
وَسَكَنْتُمْ مَسَاكِناً لَوْ تَعَقَّلْتُمْ
... فَرَرْتُمْ مِنْهَا فِرَارَ الْمَشْرِدِ

كم لَكُمْ عِبْرَةٌ وَلَكِنهَا مَرَّتْ
 ... عَلَيْكُمْ كَمَا تَمُرُّ بِجَلَمَدٍ
 لَمْ تَكَادُوا تَصْحُونُ حَتَّى رَجَعْتُمْ
 حَيْثُ كُنْتُمْ... وَالْمَرْءُ حَيْثُ تَعَوَّدَ
 وَرَبَطْتُمْ مَصِيرَكُمْ بِطَغَاةٍ
 يَسْتَنْزِلُونَكُمْ لِهَوْلِ مُؤَكَّدٍ
 وَجَلَبْتُمْ^(١) لِلشَّعْبِ غُولًا يُعِيدُ الشَّعْبَ
 ... لِلْقَهْقَرَى عَصُورًا وَيَرْتَدِ
 وَظَنَنْتُمْ بِأَنْ سَتَنْطَفِئَ الشَّمْسُ
 ... إِذَا مَا أَرغَى عَلَيْهَا وَأَزْبَدَ
 وَحَسِبْتُمْ بِأَنْ رُوحَ الْمَلَائِكِينَ
 ... بِأَنْفَاسِهِ الْعَلِيلَةِ تُخَمَدُ
 وَبِأَنْ الْجِيَاعَ تَشْبَعُ إِنْ أُمْسَتْ
 ... طَعَامًا، فِي لَهْوَةِ الْوَحْشِ تُزْرَدُ
 وَبِأَنْ الْحُمْلَانَ تَسْعُدُ فِي عَهْدٍ
 ... تَرَى الذِّئْبَ فِيهِ يَقْوَى وَيَسْعَدُ

(١) عندما كان الإمام أحمد حيد الدين في روما لجأ إليه الخائفون من بطش الشعب ودفعوه للعودة إلى اليمن لكي يحميهم... ولم يخطر في بالهم أن يبحثوا عن وسائل لحمايتهم أشرف وأبقى..

وبأنَّ الجراح تُخَدِّعُ حتى
تتغنى بِخَنْجَرٍ أوْ مُهْنَدٍ
كانَ أُحرى أنْ تطلبوا الشَّعبَ
كي يضيفي رضاه عنكم وكي يتغمَّد
لا يَغْرُنْكُمْ سكونٌ من المارد
... يُبدي الخنوع وهو مُصقَّد
يومه قادم... فويلٌ لمن واجهه
... يوم الحساب غير مُزَوَّد
عجباً للجبانِ يستمنح الظلم
... أماناً وللشَّعبِ أبقي وأخلد
وينسى شعباً صحا وتمرَّد

هل يخاف الشعب من نفسه؟!

يقولون غاب الأمنُ إذا غِبْتُ عنهمو
 فما خطبهم يا ليت شعري... ومن همو
 أَشْعَبُ يخاف الشعب..؟ فليهبوا إذا
 جهنّم أو تهبط عليهم جهنّم
 ألا يستطيع السّيرَ إلا مُقَيَّدٌ؟
 ألا يستطيع العيشَ إلا مُنَوَّمٌ؟
 ألا يَمْنَحُ الناسَ الأمانَ بأرضنا..
 الأبيّة إلا السجنُ والصلبُ والدم
 ألا تَنُثِقُ الأنفاسَ إلا خياشِمُ
 بقبضة سجانٍ تُجَرُّ وتُحَرَّمُ؟
 أيأبى فراق الدّلّ شعبٌ..؟ فهلُّوا
 إذا يا طغاةً وابطشوا وتحكّموا

يقولون: هذا الشعب.. عبدٌ تلهذه
 السياط ويعطيه الهناءة علقم
 فإنّ كنته... يا شعب فافرح بعهدك..
 الذي أنتَ فيه مُستَضامٌ ومُزغمٌ

وِطِبْ بالكُرى عِيناً فَإِنَّكَ مَوْثِقٌ
وَعِشْ صَامِتاً وَاهِناً فَإِنَّكَ مُلْجَمٌ
وَلَا تَخْشَ مِنْ زَلْزَالِ شَعْرِ أَصُوغِهِ
فَإِنَّكَ - قَدْ قَالُوا - أَصَمٌ وَأَبْكَمٌ
وَلَا تَتَحَرَّكَ لَوْ تَحَرَّكَ جَنْدَلٌ...!
وَلَا تَتَكَلَّمْ لَوْ تَكَلَّمْ أَعْجَمٌ
وَلَا تَتَخَوَّفْ مِنْ أَشْعَةِ أَنْجُمٍ
فَلَيْسَ لِأَعْمَى فِي السَّمَوَاتِ أَنْجَمٌ
وَلَا تَرْتَقِبْ فَجْراً فَحَوْلِكَ ظُلْمَةٌ
تَغْوِضُ بِهَا كُلَّ النُّجُومِ وَتُظْلِمُ
وَكُنْ آمِناً مِنْ لَسَعَةِ التَّحْلِ إِيَّاهُ
سِيحْمِكَ ذِئْبٌ.. أَوْ يُدَاوِيكَ أَرْقَمُ!

هراء.. يقول الكافرون بشعبهم
فسحقاً لما فاهوا به وتكلموا

خطبة الموت

عندما كان الإمام أحمد حميد الدين غائباً في روما، اندلعت أحداث ثورية في أنحاء اليمن، وانطلق الشعب يتحسّس سواعد نفسه، ويتلمّس كرامة محتده، ويخطئ أحياناً فيمارس التعبير عن آدميته بأساليب تلقائية مرتجلة، لا تتمّ عن تدبير سديد وإن كانت توحى بسخط عميق. وكان هناك إلى جانب الأحداث تجمعات على مستوى الزعامات القبليّة لم يسبق لها نظير.

وتلك كانت تجربة تاريخية قصيرة اكتشف الشعب فيها وجوده فجزع الطغاة الرجعيون واستعادوا الإمام أحمد من روما باعتباره رمز الرعب وباعتباره وسيلة لإلغاء الوجود الشعبي. فما كاد يصل إلى الحديدة، حتى ألقى على الشعب خطاباً متوحشاً هدّد فيه بقطع الرؤوس، والأيدي، والأرجل، وطالب الشعب أن يبارزه إن أراد.

وتلك كانت هي التحية على طريقة الطغاة.

وإذا كان الشعر لا يستطيع إلا أن يهز روح الشعب ويحركه إلى الكرامة كما نجده يحاول ذلك في هذه القصيدة، فإن هناك الأبطال الثلاثة «محمد عبد الله العلفي» و«عبد الله اللقي» و«محسن الهندوانة» الذين صوّبوا مسدساتهم الباسلة إلى صدر الطاغية، وأذّلّوه، وصرخوا في وجهه:

هذا الفرس، وهذا الميدان.

ووقف «اللقي» مواقف بطولية ردت العزة إلى كل يمني، وصنعت

مثلاً أعلى، وأحدثت انقلاباً روحياً في الأعماق وغيّرت مجرى الحياة النفسية في اليمن تغييراً عجيباً.

خطبة الموت فاسمعوها وطيروا
فرحاً وارقصوا للصوت المنّيّه
انتمو في إستقبال موكب جزّارٍ
.. فمدوا رقابكم للتحية
صدت مدية الإمامة فاستمنح
.. إيطاليا مُدَى بابويّه
أنهك الذّبح سيفه فأتانا
بسيوف معارة أجنبّيّه

روح نيرون مازجت روح حجاج
... فجاءت أعجوبة في البليّه
إن نيرون دبّر الحرق والقتل
.. ليرمي خصومه في القضيّه
أصدر الحكم ثم ألقى أعاديه
... ضحايا في حفلةٍ وُخشيّه
وصحّا شعبه فأصدر حكم الله
فيه بثورة شعبيّه

واحتذى حذوه الملوّث فاروق
 ... فأروى الحرائق القاهرة
 فإذا بالأقدار تجمع فاروق
 ... بنيرون عبرة للبرية
 دَفَنَتْهُ فِي أَرْضِ نِيرونَ حَيًّا
 ثورةً ناصريةً عبقريةً
 ويدور الزّمان دَوْرَتَه الغضبي
 ... على العايشين بالبشريّة
 وتدور الرّحى على شرّ جبار
 ... فتُطغيه لَوْنَةُ عُنْتَرِيّه
 ويُلاقى فاروق في قبره الحيّ
 ... ونبيرون في دُجى الأبدية
 لَقَّنَاهُ فَنًّا خبيثاً من الغدر
 ... وما حذرّاه شؤم الخطيّة
 ألْهَمَتْهُ روما الحريق ولم تلهمه
 ... عقبى الجريمة الهَمْجِيّه

وَأَتَى شَعْبَهُ يُهْدِّدُهُ جَهْلًا
 ... بَبْعَثِ الرَّجْعِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ
 يَتَّبَاكِي عَلَى الضَّحَايَا كَمَا يَبْكِي
 ... كِبَارُ الْأَبْطَالِ فِي الْمَسْرَحِيَّةِ
 يَتَرَاءَى سِرُّ الْحَرِيقِ بِعَيْنِيهِ
 ... وَتَشْكُو يَدِيهِ رُوحَ الضُّجْحَةِ
 يَتَبَاهَى بِأَنَّهُ الْهَوْلُ وَالْوَيْلُ
 وَرَمَزَ الطَّغْيَانَ وَالْعَنْجَهِيَّةَ
 لَمْ يَسَلْ نَفْسَهُ عَنِ الشَّعْبِ كَمْ كَابَدَ
 ... فِي ظِلِّ حُكْمِهِ مِنْ رِزْيَةٍ
 لَا يَبَالِي مِجَاعَةَ الشَّعْبِ مَا دَامَتْ
 ... تَفِيدُ التَّجَارَةَ الْجَبَلِيَّةَ
 يَتَّبَاكِي تَسْوَلًا بِاسْمِ شَعْبِ
 أَرْضِهِ بِالْكَنُوزِ مَلَأَى غَنِيَّةَ
 يَجْمَعُ الْمَالَ لِلْجِياعِ فَلَا يُشْبِعُ
 ... إِلَّا الْخَزَائِنَ الْمَصْرِفِيَّةَ

وهبات^(١) تَصَدَّقَ الغربُ والشرقُ
 ... بها في الجماعةِ الشعبيه
 باعها لليهودِ تجارُهُ الأشرار
 ويسوقونها إليه بروما
 في رشاوى تفيده أو هديّه
 يقتل الجوعُ شعبه وهو لاهٍ
 يشتكي للطلّيان ضعفَ الشهيه

ينسب الناس للفرنج كما قد
 تنسب السُّمَّ للحمامة حيّه
 أين كانت نساؤه وبنوه
 ومصابيحُ الأسرة اليحيويّه
 أين ألقى بروحه يوم دبّت
 في شرايينه سُمووم المنّيّه
 كاد يلقى الإله وهو طريحُ
 بين إفرنجي وإفرنجيّه

(١) أصيت اليمن بمجاعة، وتبرّع الشرق والغرب لها بالحبوب، فكانت وسيلة للتجارة والتلاعب حتى مع اليهود.

أَفْهَلْ كَانَ يَرْجِي دَعْوَةَ الْبَابَا
 ... لَهُ أَمْ يَنْوِي إِلَيْهِ الْوَصِيَّةَ
 أَمْ يَرَى فِي الطَّلِيَانِ أَكْرَمَ مَنْ يَوْصِي
 إِلَيْهِمْ بِالْأُسْرَةِ الْمَلَكِيَّةِ
 أَمْ يَبِيعُ الْبِلَادَ حَتَّى يَلَاقِيَ
 رَبَّهُ سَمْسَاراً بَكَفِّ ثَرِيَّةِ
 مِثْلَ شَمَشُونِ حِينَما قَالَ: يَا رَبُّ
 ... وَعَلَى أَعْدَائِي الرَّدَى وَعَلَيْهِ
 عَاشَ فِي رُومَةِ شَهُوراً..
 وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ سَاعَةً مِنْ عَشِيَّتِهِ
 وَائْتَقاً بِالْإِفْرَاجِ لَكِنَّهُ سَيِّءُ ظَنٍّ
 بِالْدَوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 وَهُوَ قَدْ أَعْلَنَ إِتْحَاداً مِنَ الزُّورِ
 ... وَمَادَى بِالْوَحْدَةِ الْمَسْرُوحِيَّةِ

يَسْتَغِلُّ الْإِسْلَامَ حَتَّى كَأَنَّ الدِّينَ
 ... يَبْدُو كَسَلْعَةٍ أَحْمَدِيَّةِ

وكأن الشرع الشريف كما شاءت
 ... أمانيه للمخازي مَطِيَّه
 وكأن الإله — حاشاه — في صالة
 عُكْفِيَّة^(١) بلا ماهِيَه
 وكأن الطغيان والقَتْل والسَلْب
 ... فنون من العُلَى قُدسيَه
 وكأنَّ السما (مقام^(٢) شريف)
 تنحني للأوامر الفوضويَه
 ويُنادي: — شريعة الله — والله
 ... بَريء من الغُرش العَوِيَه
 لو رأى الله قلبه لَتَهَاوَى
 وَتَخَلَّى عن كل مسؤولِيَه
 ولألقي للشعب بالتَّاج يَبْنِي
 بيديه الحكومة الوطنِيَه
 وأراح البلاد من همِّه العَاتي
 وأمراض عَرِشِهِ الأبدِيَه

(١) «المكفي»: حارس الإمام.
 (٢) «المقام الشريف»: بلاط الإمام.

وتواری عن شعبه خَجَلًا منه
 ... وأحنى جبينه للرَّعِيَّةِ
 وأبى أن تُمَحَى بلاد ويفنى
 ... الشعب من أجل نزوة شخصيَّة

ليس في الدين أن نقيم على الضَّيم
 ... ونُحْنِي جِبَاهَنَا لِلدَّنِيَّةِ
 ليس في الدِّينِ أن نُؤَلِّه طُغْيَانًا
 ... ونَعْنُو لِلسُّلْطَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ
 ليس في الدين أن تُقَدَّسَ جَلَادًا
 ... وَنُيْمِنَاهُ مِنْ دِمَانَا رَوِيَّةِ
 لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ ظُلْمٍ وَجَوْرِ
 لَعْنَةً فِي كِتَابِهِ سَرْمَدِيَّةِ
 فَلْيَمُتْ مَنْ يُضْفِي عَلَى الظَّالِمِ الطَّاغِي
 ... رداءَ الجلالِ والقدسيَّةِ
 الركوعُ الذَّلِيلُ في غير وجه الله
 ... رَجَعَى بِنَا إِلَى الْوُثْنِيَّةِ

وَعَبِيدُ الْأَحْجَارِ أَشْرَفُ مِمَّنْ
يَجْعَلُ السِّيفُ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ

نحن نستكُرُّ الحريق^(١) ولا نقبل
... عَنَفَ الْحَوَادِثِ الدَّمَوِيَّةِ
غير أَنَا نطالب الشعب أن يكشفَ
... فيها دور الأيادي الخفية
وَيَسِيرَ التَّحْقِيقَ حُرّاً وَيَجْلُو
كُلَّ سَرٍّ فِي الْعِلَّةِ الْأَصْلِيَّةِ
إِسْأَلُوا الْجِيْشَ عَنْ مَآسٍ كَبَارِ
بعثت فيه رُوحه الثَّوْرِيَّةِ
واسألوا عن تَمَرُّدِ قَوَضَوِيِّ
خارج عن قواعد الجُنْدِيَّةِ
إِسْأَلُوا الْفِرْدَ هَلْ لَهُ ضَابِطٌ يَمْلِكُ
... فَرَضَ الْأَوَامِرِ الْعَسْكَرِيَّةِ
اكتشفوا الواقع الزَّهِيْبَ تَرَوْا جِيْشاً
... بلا ضابط ولا آمريَّة

(١) إشارة إلى بعض أحداث الحائز إلى رتبة فارس، أثناء غاراته...

يملك النارَ والحديد ولا يملك
 ... قوتاً أو لقمةً أدميّه
 ويقود المصفحات ويمشي
 أتريدونه على ذاك يستخذي
 ... ويرضى عن الحياة الشقية
 لا يُغزّنكم خنوع له يبدو
 ... ولا طول صبره في البليّه
 إن يكن مات من هوانٍ فما مات
 ... رصاص له ولا مدفعيّه
 إنّه بارودٌ تُحيط به النارُ
 ... فمَنْ يا ثرى يكون الشويه
 مَنْ سيطفي الحريق والشعب لا يملك
 ... في الأمر حيلةً أو مشيّه
 ليس قطعُ الرؤوسِ مُطفئ نارٍ
 من جنونٍ تحت الرّماد خبيّه
 وسجون الإرهاب والبطش والرقّ
 ... عقاقير باليات غبيّه

أطلق الشعب من إसार ومكّنه
 من الحكم في الخطوب العصيّة
 وأعطيه حقّه ورُدّ إليه
 دون بُطء حياته المَلْغِيّة

ليس في الدين أن نكون بلا رأي
 ... ولا عِزّة ولا حُرّيّة
 طبع الله في جوانحنا البأس
 وسوّى لنا الأنوف الحميّة
 وجرى روح الله عبْرَ خلايانا
 ... مزيجاً بروحنا الوطنيّة
 نحن شعبٌ من النبي مبادينا
 .. ومن جَمير دمانا الزكّيّة
 ملء أعرافنا إباء مَجْد
 وطموح إلى العُلَى وحميّة
 أرضنا تَلْعَن الطغاة الأولى
 .. سادوا علينا بالفرقة المذهبيّة

أَرْضُنَا جَمِيرَةُ الْعَرَقِ، لَيْسَتْ
أَرْضُ زَيْدِيَّةٍ وَلَا شَافِعِيَّةٍ
وَبَنُو هَاشِمٍ عَرُوقُ كَرِيْمَاتٍ
... لَنَا مِنْ جُذُورِنَا الْيَعْرُبِيَّةِ
إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ لَنَا غَيْرَ أَسْيَادٍ
... عَلَيْنَا فِي عُنْصَرٍ أَوْ مَزِيَّةٍ
أَرْضُنَا أَرْضُهُمْ تَقَاسَمُنَا نَحْنُ
... وَإِيَاهُمْ الْعُلَى بِالسَّوِيَّةِ
وَالْمَزَايَا فِي الشَّعْبِ لِلْبَعْضِ دُونَ...
الْبَعْضِ سُمُّ الْأَخَوَةِ الْقَوْمِيَّةِ
وَعَدُوُّ الْجَمِيعِ مَنْ يَحْكُمُ الشَّعْبَ
... بِإِسْمِ الْقِدَاسَةِ الْعَائِلِيَّةِ
بَرِئْتُ مِنْهُ هَاشِمٍ وَاقْشَعَرَّتْ
... فِي خَلَايَاهِ النُّطْفَةُ الْعَرَبِيَّةِ
نَحْنُ أَدْنَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ
وَأُولَى بِالشَّرْعَةِ النَّبَوِيَّةِ

نحن شعب مشيئة الله أن تفرض
... منا على الطغاة المشيئة
لا سيوفٌ تذلُّنا، لا سجون
تصنعُ الرقَّ في دمانا الأبيَّة
فتأله... ونُخذ مكانك فوق الشمس
... فوقَ العلِّاء فوقَ البريَّة
واتخذ سُلماً من الأنجم الزهر
... ونُعلا من أكبيد بشرية
وتنمر وابعث لنا هول عينيك
... خلال الأشعة الكونية
ابتعد واحتجب وكن أنت لغزاً
طيّ لغز المائلة اليمنية
حيثما تختبئ سيدرُكك الشعب
... ولو في الكواكب الروسية
وتفجر صواعقاً وتحوّل
طبقاً طائراً أو أرق رقيّة
وتوعّد ما شئت واقتل ودمر
واستعن بالبحافل الدوليّة

لن يُوقِيكَ غَضَبَةُ الشَّعْبِ إِلَّا الشَّعْبُ
 ... إِنْ سِرْتَ فِي الطَّرِيقِ السَّوِيَّةِ
 وَتَعَقَّلْتَ وَاسْتَجَبْتَ إِلَى الشَّعْبِ
 وَأَسْلَمْتَ فِي يَدِهِ الْقَضِيَّةِ
 نَحْنُ قَوْمٌ لَا تَحْمِلُ السِّيفَ أَيْدِينَا
 ... وَلَا خَنْجَرًا وَلَا بُنْدُقِيهِ
 غَيْرَ أَنَا عَزَمَ.. نَسِيرُ كَعَزَمَ اللَّهُ
 ... فِي دَرِينَا وَنَمْضِي مُضِيَّهِ
 نَتَحَدَّى الْأَسْطُولَ فِي الْبَحْرِ وَالْجَحْفَلِ
 ... فِي الْبَرِّ بِالْحَقْوِقِ الْجَلِيَّةِ
 وَنَهْزُ الْمَعَاقِلَ الشَّمَّ بِالْأَيْدِي
 ... الْعَرَايَا وَالْدَرَّةَ الْعَمْرِيَّةِ
 ضَرْبَةً مِنْ إِرَادَةِ الشَّعْبِ بِالسُّوْطِ
 ... تَذِلُ الْقَنَابِلَ الذَّرِّيَّةِ

مغفرة الشعب

مساكين وتعساء... أولئك الذين وجدوا أنفسهم في
محراب الوثنية الإمامية.. يقدمون فروض التقديس
والتمجيد والطاعة الذليلة والانقياد المطلق الأحق
لأبشع ضروب الكائنات البشرية رجعية وانحلالاً
وفساداً وطغياناً بعد أن قطع الشعب شوطاً بعيداً في
كشف مخبأاتهم، وتمزيق أقنعتهم، وبذل في سبيل ذلك
زهاء عشرين عاماً من الصراع والآلام والدماء، وقدم
أطهر أنفاسه وأصدق مشاعره، وأعظم أفكاره الثورية،
وأعنف غضباته الحرة، متحدياً بها سلطة قاهرة متأهبة
وهي في عنفوان قوتها ونفوذها الرهيب.

فإلى هؤلاء المساكين التعساء..
أعلنوا في الأرض أنَّ الشعب
... قد أصبح عبداً
لم يجده من وثنٍ (يُعبدُ
... دونَ الله) بُـدّاً
قدموا منه القرايين
... إلى الطغيان تُهدى
وانثروا فوق خطى الشقاق
... أزهِـراً وورداً

حَوَّلُوا الْأَهَاتِ وَالْأَنَاتِ
 ... أَشْوَاقاً وَوَدَّاعاً
 ضَوَّروا العَلَقَمَ. من سلطته
 ... مَتَّعاً وَشُهَدَاءَ
 وَاذْعَمُوا الْمُنْتَيْنِ من شُمُعَتِهِ
 ... مِسْكاً وَنَدَاءَ
 وَاجْعَلُوا كُلَّ دَمٍ يَسْفِكُهُ
 ... فَخْراً وَمَجْداً
 وَاصْنَعُوا من لعنةِ الشعبِ
 ... لَهُ شُكْراً وَحَمْداً
 وَاشْدُلُوا من حُجُبِ التَّضَلِيلِ
 ... فِي عَيْنَيْهِ شُكْراً
 أَوْهَمُوهُ أَنْكُمْ مَتَمُّ
 ... تَبَارِيحِهَا وَوَجْدِهَا
 وَتَعَذَّبْتُمْ لَدَى غَيْبَتِهِ
 ... غَمّاً وَسَهْداً

وبأن الشعب ما جاع طوى
 ... بل جاع فقدا
 ما له من مطلب يَطْلُب
 ... أو غاي ومبدا
 إنما يرجوه أن يمنحه
 غللاً وقَيْدا
 ومزيداً ممن دواهيـه
 ... وتقتيلاً وجلدا
 وبأن يبقى على العرش
 ... الإله المستبدا
 شجعوه وادفعوه
 كي يسوس الحكم فردا
 ويصير الواحد القهار
 ... والرب المفضى
 لو رأى الله يقود الشعب..
 ... ولسى وتحدى
 وأبى أن يرتضى بالله
 ... فوق العرش نذا

ضلّلوا الطّاغى وكيدوه
 ... لأجل الشعب كيدا
 وأجعلوه لا يرى عيباً
 ... ولا يسمع نقداً
 وامنحوا شعبكم الفرصة
 ... حتّى يستعدّوا
 والعنوا الأحرار كي تشفى
 حُمَيّاه وتهبّدا
 وخذوا الأجرّة منه
 رُتباً غلياً ونقداً
 صوِّروا الهُـوّة عرشاً
 باذخاً والنار برداً
 وادفعوه في شباك الموت
 ... حتّى يتسرّدى
 لا تخافوا الشَّعْبَ.. إن الشعب

... لن يُضمَر حَقدا
 سِرى فيكم وإن لم
 تعرفوا للحق جُنُدا
 وسيغضي عن وُجُوهِ
 من حياءٍ ليس تَنُدا
 رُبُّ تغرير بطغيان
 من الثورة أجدى

إلى الغاضبين علينا

أيها الغاضبون من ثقة الشعب
 ... بنا والمؤلَّبون علينا
 أيها المرهقون يأساً وغماً
 وإنهماكا في هدم ما قد بنينا
 أيها الحاسدون من أجل عبء
 قد وئنا من ثقله وانحنينا
 لو حملتم من أمره ما حملنا
 لاشتكيتم من الأسى ما اشتكيننا

أيها الزاعمون أنا احتكرنا
 دعوة الحق وحدنا وانزويننا
 ما احتكرنا نضالنا بل دَعَونا
 فرفضتم أن تفهموا ما عنينا
 هالكم صَبْرنا على كلِّ خَطْبٍ
 فوقفتم من ذعركم...! ومضينا
 ساءكم أننا انفردنا بعزم
 وصمود... وأنا ما انثنينا

اتمّو... ليس نحن... غبتم ليقى
 شرفُ الحقّ كلّهُ في يدينا
 يعلمُ الله أننا نَتمنى
 لو رجعتُم بعد العقوقِ إلينا
 بل وندعو أن تسبقونا وتجنوا
 ثمرات الختام مما ابتدينا

أُيها الكارهون أن يُقبِل الشعب
 ... علينا بالله ماذا جنينا
 عرفتنا آهاتِهِ ومآسيهِ
 ... فنؤنا بنارها واصطلينا
 سقمه يَعْرِفُ العلاج بأيدينا
 ... ويدري بوعيه كم شفينا
 الأسارى في ظلمة السجن لا يرجون
 ... نور الصباح إلا لدينا
 والجراحات حالمات يرويا
 يومها الشامخ الذي أعلينا

والضحايا في قبضة الرعب يلقون
... العزاء الغالي بما ضحينا
والملايين هائمات إلى البعث
... وأنبائه التي قد رويها
والجوع الغرثي تحن إلى ما
قد غرسنا لأجلها وسقينا
يجد الصم في رُقى طبتنا سمعاً
... ويلقاه العمي.. نوراً وعينا
أئيّ ذنب لنا إذا عرف الشعب
.. لنا أننا له قد وفينا
جرحه دله على جرحنا الدامي
... فسوى ما بيننا واستوينا
دمعه شاهدٌ بأننا شربناه
... كؤوساً من الأسى واحتسينا
أهه شاعرٌ بأننا احترقنا
من لظى حرّه وأنا اكتبنا

خطبه عاش بيتنا فهو يدري
 كم جرينا لطبه وسعينا
 أذنه لا تكاد تسمع مرثاة
 ... تعزيه غير ما قد رثينا
 صهرتنا آلامه فامتزجنا
 واتحدنا بروحه والتقينا
 منحونا الدنيا لكي ننبذ الشعب
 ... ونغضي عن ظلمهم فأبينا
 ويبيعون ألف تاج... بأسمال
 ... فقير من شعبنا ما شرينا

أيها الظالمون هل ذي صخور
 ما هزّزنا منكم وما نادينا..؟
 ألسن النار حولكم تتحدّا
 ألسناً تُعطيكُم كذاباً ومينا
 إحدروا يوم الشعب يوم يلافيكم
 ... ويُعطي الدرس الذي أعطينا

يوم لن تلتقوا بمن يمنح النصيح
 ... إليكم ومَن يسير الهوينا
 ويقول الثَّوام: ها نحن أحرار
 سحقنا هول الدُّجى وصحونا
 ويقول الطغاة يا ليتنا كنّا
 ... سمعنا صوت الهدى وارعونا
 يوم ينقُضُ شعبنا كالبراكين
 ... يُريكم من أمره ما رأينا
 وترون الجمهور جُرٌّ فلا يَعْرِفُ
 ... ليناً ولا يخاطب هَوْناً
 من عبيد تخر ألّهة اليوم
 ... لهم سُجّداً وتطلّب عونا
 وحُفاةً يبغيون من جلد جنكيز
 ... حذاء.. يقضي لهم منه دينا
 وجياع تَضُجُّ كالرعد فيكم:
 أطعمونا من لحمكم ما اشتهينا
 وقبور تنشقُّ عمن قتلتم
 يُنادونكم: ألا قد أتينا

وكنوز من الحرام يراها
 مُقْتَنُّوها الطغاة هُلكاً وحيناً
 وقصور يَفِرُّ منها ذووها
 ويقولون ليتنا ما بنينا
 ومقامات سُودٍ يجد القاعد فيها
 ... عاراً مهيناً وشينا

مثاب وعتاب

الأستاذ السيد "عمر بهاء الدين الأميري" معروف عنه أنه من أعلام الأدباء، والشعراء، والسياسيين في الوطن العربي، ومعروف عنه قدرته على كسب الأصدقاء بأساليب فذة فريدة، لا يكاد يجاريه فيها أحد، ولكن هناك نواحي عظيمة خفية في هذا الرجل العجيب لا يُستطاع رؤياها إلا من خلال سكة يخرج بها المنكوب من دنيا الناس، ويشهدهم من مرّب معزول، ويتحول إلى معيار مبصر دقيق يتحسس جوانب الحياة المضيئة والمظلمة، كما تفعل الأقمار الصناعية التي تحاول أن تصوّر الأرض والأقمار والكواكب من شمس غير شمس الأرض، فترى ما لا يراه الناس في أنفسهم وكواكبهم ودنياهم، وتُبصر ما لا يُبصرون.

وكذلك فقد قُدّر لي أثناء محنة مريرة قاسية أن أنصهر وأذوب، وأنحوّل إلى جهاز إنساني دقيق حساس، وأن أخرج من دنيا الناس وأشهد صورهم وهياكلهم، وأطوالهم وأوزانهم، وحتى تحركاتهم الإنسانية في قوالبها الذاتية تلك التحركات التي تصوغ النفس الإنسانية في قوالبها الخفية الكامنة في الأغوار قبل أن تخرج إلى سطح الحياة في شكل أفعال، وأقوال، وفضائل، وردائل وحقائق وأكاذيب، وكذلك استطعتُ أن أرى السيد عمر الأميري، وأعرفه على الحق الأعظم الشامل لا على السطح الجانبي كما يراه الراؤون.

وإني لأتذكّر روعة الغبطة التي كانت تلم بي وأكاد أخرج من جمال ما أرى، كما فعل رواد الفضاء الخارجي وهم يشهدون من عالم الفضاء روعة الألوان السحرية التي تحيط بكوكبنا الجميل وتعيش بينا ولا نراها.

لقد كانت تجربتي الإنسانية قبل عشرة أعوام، فصلتني عنه أعوام طوال، وأحداث جسام واختلاف بعض الاتجاهات والمواقف السياسية، وظن أنني بهذا الاختلاف والانقطاع قد جفوته شخصياً ونسيته، وكتب قصيدة وعرض فيها بالعتب الأخوي... وأفزعني... فكتبْتُ الرد عليه في هذه القصيدة:

قلبي فداء المِخْلَب الغضبان
... في حرم العريـن
إن شاء أدميت الجفون
له ومزقت الوتين
وضَهَرَتْ رُوحِي في الصلاة
... له وأحنيت الجبين
أنا إن فقدت رضاه تُشْعُر
... عِزَّتِي أُنِي مَهِين
ولئن ذُلَلْتُ له فَذُلَّتِي
... للوفاء شرف ودين

إتني بما ملكت يداي
 ... من الحياة له مدين
 لو ادعى ملكاً لروحي
 ... كنتُ شرَّ الكاذبين
 وإن احتجرت عليه أنفاسي
 أكون كالغاصبين

هل لست تعرف عن فؤادي
 ... ما يكن وما يبين؟
 أو لست تشفق أن تحطمه؟!
 ... ألسنت به ضنين؟
 أو ليس ملكاً في يدك؟!
 ... ألسنت خير المالكين
 إن كنت ترفض ملكه
 فابحث له عن مُشترين
 أو كنت تبغي قتله
 فاجعل سيواك القاتلين

لَا تَنْتَبِذْهُ كَالْهَرَاءِ
فَإِنَّهُ قَلْبٌ ثَمِينٌ

أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ بَلَوْتُ
فَلَا تَظُنْ بِي لِلظُّنُونِ
أَنَا شَخْصُكَ الثَّانِي وَلَمْ
أُنْسَخْ إِلَى وَحْدٍ وَطِينِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَنَا أَنْتِ
... يَمْلِكُنِي هَوَاكَ فَمَنْ أَكُونُ..؟
أَنْتِ الَّذِي حَطَّمْتَ
... أَغْلَالِي وَكُنْتُ بِهَا رَهِينِ
أَطْلَقْتَ مِنْ رَوْحِي شَهَاباً
... فِي سَمَاءِ الثَّائِرِينَ
وَسَلَّلْتَنِي غَضَباً تَذِلُّ
... لِسِهِ رِقَابَ الظَّالِمِينَ
سَدَّدْتَنِي سَهْماً إِلَى
أَقْصَى مَجَالِ الطَّامِحِينَ

غَيَّبْتَنِي وَذَهَبْتَ تُنْكَرُ
 ... غَيَّبْتَنِي فِي النَّاكِرِينَ
 وَلَلْوَمْنِي إِذْ فَبْتُ بِالتَّحْلِيقِ
 لَمْ سَاعِدْ لَكَ إِذْ
 رَمَانِي خَلْفَ حُلْمِ الْحَالِمِينَ
 وَطَى حَيَاتِي فِي خُضْمِ
 ... ثَائِرٍ لَا يَسْتَكِينُ

أَنَا شَوْكَةٌ فِي خَلْقِ
 ... طَغْيَانٍ يَثْنُ لَهَا أَنْيْنَ
 أَنَا بِلَسَمِ أَبْدَأْ أَسِيرِ
 ... مِّنَ الْجَرِيخِ إِلَى الطَّعِينِ
 أَصْغِي إِلَى نَجْوَى جِرَاحِ
 ... ضُمِّ عَنْهَا الْبَنَسَلِينَ
 أَنَا شَمْعَةٌ كَدَحَتْ أَشْعَثُهَا
 ... وَرَاءَ الْكَادِحِينَ

مَدَّتْ بِشُغْلَتِهَا إِلَى
أَحْدَاقِهِمْ مَدَّ الْمُعِينِ
تَذَكُّو وَتُطْفِئُهَا دَمْعُ
... الْبُؤْسِ مِنْ حِينَ لَحِينِ
يَشْكُو سَنَاها جَهْلَ عَمِيَانِ
... وَغَدْرَ الْبَصْرِيِّينَ

أَتْلُومَنِي يَا سَيِّدَ الْأَبْرَارِ
... بَيْنَ اللَّائِمِينَ
وَتَظُنُّ أَنِّي قَسَدٌ تُغَيِّرُنِي
تَصَارِيْفُ السَّنِينَ
أَوْ أَنَّ لِي جَاهًا يَحِيلُ
... الْقَلْبَ مِنْ دِينَ لِدِينِ
وَزَلَمْتَنِي مِنْ دُونِ أَنْ
تَدْرِي كَظُلْمِ الظَّالِمِينَ
خَطَا وَأَشْرَاطُ الْقِيَمَةِ
... أَنْ تُرَى فِي الْمَخْطِئِينَ

أنا مَسْتَمِدٌّ مِنْكَ عَزْماً
 ... فِي الْمَعَارِكِ لَا يَلِينُ
 وَفِاءٌ حُرٌّ لَا يَحِيدُ
 ... عَنِ الْوَفَاءِ وَلَا يَمِينُ

أنا عَشْتُ فِي شَعْبِي طَوَالِ
 ... الْعَمْرِ تَحْكُمَنِي يَمِينُ..
 أَعْطَيْتُهَا فِي عَنَفْوَانِ
 ... السَّنِ لِلْوَطَنِ الْأَمِينِ
 سَنُ الْحَدَاثَةِ مَدَّهَا
 قِيداً وَرَاءُ الْأَرْبَعِينَ
 فَأَنَا بِهِذَا الْقَيْدِ أَنْتِ
 ... سِرْتُ مَوْثُوقٌ رَهِينُ
 مَا إِنْ أَنْزِلْتُ إِلَى الشَّمَالِ
 ... وَلَا أَشْزِلُ إِلَى الْيَمِينِ
 رَوْحِي وَإِنْ حَلَقْتُ عَبْرَ
 ... الْكَوْنِ فِي وَطَنِي سَجِينِ

بين الجراحات الوجيعة
 ... والضحايا الموجعين
 بين العبيد... وإن بعثتُ
 ... الرعب للمستعبدين
 بين الرقيق وإن فُضحتُ
 ... خرافة المتألهين
 أحياء مع الشُّهداء في
 سبيلٍ هناك وفي معين
 وأعيش بينهم كَأَنِّي
 .. صاحبٌ فيهم قَرِين
 يَكِيهُمُ شعري ويجري
 إثرهم دمعي الهتون
 وأروع قَاتِلَهُمِ وأجعل
 ... سجنه العرش المصون
 وأذيقه من ملكه
 ونعميه طغم المَنون

هَـذِي شَفَاعَاتِي إِلَيْكَ
وَأَنْتَ خَيْرَ الشَّافِعِينَ
حَقُّ الْأَخْـسَـوَةِ أَنْ أَدُلَّ
... عَلَيْكَ دَلًّا أَخْ ضَنِينِ
وَأَغِيبْ عَنْكَ بَدُونِ أَنْ
أُدْلِي بِعَذْرِ أَوْ أَبِينِ
أَوْ لَشْتَ رَوْحاً فِي دَمِي
يَجْرِي كَجَزِي الْأَكْسَجِينِ؟
أَوْ لَسْتَ نَبْضاً جَارِفاً
قَلْبِي وَوَمُضاً فِي الْعُيُونِ
كَشَفَ الْبَدِيعَاتِ إِهْدَاژَ
... لِفَقْهَمِ الْمَدْرَكِينَ
إِثْبَاتِ نَوْرِ الشَّمْسِ أَشْخَفُ
... مِنْ جَحْـوَدِ الْجَاهِدِينَ
وَلَعَلَّ قَلْبِكَ أَنْ يَحْسُ
... بِمَا أَحْسُ مِنْ الشَّجُونِ
وَلَسَرَبَ لَمَّاحٍ يَرَى
الْأَعْمَاقَ رَأَى الْخَالِفِينَ

إني لأحيَا بالمعزَّة
 ... في بلاد الأكرمين
 الرافعي علم العروبة
 ... فوق هام العالمين
 الصادمين أمام تيار
 .. الأعادي الطامعين
 الواقفين مواقف الآساد
 .. في قلب العرين
 الساحقين بعزيمة الأبطال
 .. همام المعتدين
 الحاملين على عواتق
 .. حكمهم عبء القُرون
 الصاعدين إلى النُدى
 متضامنين مصممين
 الطالعين على الظلام
 كطليعة الصبح المبين
 الصانعين نواة وحدتنا
 ... تراث الأولين

المنقذين قناتنا
 من قبضة المتلصصين
 المنصفين الفقرر من
 شطط الغواة المترفين
 الباعثين من التراب
 جلال ماضينا الدفين
 يكفيهم حرب الشيو
 عيين والمستعمرين
 كره العدى لهم دليل
 .. أن حكمهمو أمين
 بشرى لنا أننا نُؤازر
 .. عهدهم متجمعين
 ندع الخلافات الصغيرة
 نتمحي بيد السنين
 يطغى عليها حسنا
 بخططورة المتربصين
 الواضعين لشعبنا
 في كل مُنْعَرَج كمين

فِي دَرَسِ خَالِدٍ مَا يُؤْهِلُنَا
 .. لِمَجْدِ الْخَالِدِيِّنِ
 مَا كَانَ يَحْدُثُ لَوْ عَصَى
 عَمراً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
 وَاقْتَادَ جَيْشاً ضِدَّ جَيْشِ
 .. الزَّاحِفِينَ الظَّافِرِينَ؟
 عُذْنَا إِذَا رَعِيَانِ شَاةَ
 .. فِي الرَّمَالِ مُمَزَّقِينَ
 وَارْتَدَّ خَالِدٌ عَنْ بَطُولِيهِ
 .. إِرْتَادَ النَّاكِصِينَ
 وَهَوَتْ عَرُوبُنَا ضَحِيَّةَ
 .. قِسَادَةِ مُتَنَافِسِينَ
 حَرْبِ الْمَصَائِرِ لَوْ خَسَرْنَاهَا
 .. هَلَكُنَا أَجْمَعِينَ

تحية الخروج من العزلة

سأُنشر في هذه المجموعة القصيدة التالية التي كانت قد نُشرت في جريدة «صوت اليمن» مبتورة ومحزفة.. إنها قِلت أصلاً تأييداً وتشجيعاً لسيف الإسلام عبد الله عندما أوفده والده الإمام يحيى إلى اجتماع للدول العربية على أثر العدوان الفرنسي على برلمان سوريا، ثم نشرناها باسم سيف الحق إبراهيم مبتورة لأننا لم نشأ أن ننشر دعاية للأمير عبد الله الذي خيب آمال الأحرار جميعاً.

ولكننا الآن بعد أن أُعِدِمَ الأمير ودفع حياته ثمناً للانسياق مع التيار ثوري الذي تزعمه البطل «الثلايا» لا نجد حرجاً في نشر القصيدة باسم لسيف عبد الله الذي أصبح في ذمة الله.

وليس الباعث على إثبات هذه القصيدة في هذه المجموعة مجرد لحرص على استكمالها فقد كان يمكن إهدارها كغيرها من القصائد الوثنية لتي قلناها في دور الطفولة الوطنية.

وإنما الباعث على ذلك هو الحرص على أن نضع بين أيدي المواطنين صورة واقعية بارزة لمعالم التطور في حركتنا لتكون درساً نافعاً يساعد على خلق فهم سليم لطبيعة النضال من حيث هو عمل وتطبيق ومجابهة لحقائق الحياة لا من حيث هو نظريات مجردة.

إن السلحفاة القابعة تحت أنقال درعها الصلب تستطيع لو منحتها لفطرة قدرة على التخيل أن تسابق الصواريخ الكونية في مجال التغلغل إلى عماق المجزات، كما تستطيع أن تنتقد الصواريخ وتلومها على تلكؤها بن غزو الزهرة والمريخ، وترميها بالخيانة بتهمة العجز عن وضع مخطط سليم لتحرير الشمس والقمر.

وتلك هي ضريبة محتومة لقدسية الحرية المطلقة في التخيل التي قد يتمتع بها السلاحف .

ولكن النظريات شيء، ونواميس الواقع شيء آخر، وتلك هي سنة الله حتى بالنسبة للأنبياء والمرسلين .

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِضُ إِلَيَّ بَرِيًّا وَمَا أَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَبِيرًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُفْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام: الآيات ٧٥ - ٧٩] .

والقصيدة لا أراها نافعة للآخرين فحسب، بل إنها مثيرة وملهمة حتى لقائلها، وإنني لأستعرض فيها عقلي يومئذ، وتأخذني الدهشة ولو استسلمت للنتائج الملهمة فيها لوضعت كتاباً بدلاً من مقدمة كهذه .
ولكنني مضطر أن أوجز أشد الإيجاز:

(١) كانت تسود عقلية الطليعة المفكرة من أحرار اليمن مثالية مطلقة في كل شيء لا سيما فيما يتعلق بالنظرة إلى البلاد العربية .

ذلك لأن صلة هؤلاء المفكرين بالخارج كانت صلة نظرية بحتة، رغم أن فريقاً قليلاً منهم عرفوا الخارج في بعثات دراسية .

ونعني بالصلة النظرية أنهم كانوا يدرسون الواقع من خلال المبادئ والمثل التي يطلعون عليها في الصحف والكتب ويؤمنون بها. وكانت النتيجة أنهم ظلوا ينظرون إلى كل شيء خارج اليمن على أنه مثل أعلى حتى «فاروق» وحتى «عبد العزيز آل سعود» ولولا أننا لا نريد إيذاء المرحلة الراهنة من شعور القراء عام ١٩٦٢ لأثبتنا ما يتعلق من أبيات القصيدة بتمجيد هذين الملكين استكمالاً للدراسة والعبرة.

(٢) وكنتيجة طبيعية لهذه المثالية فقد ظلت حركة الأحرار سنين طويلة تعتمد في الدرجة الأولى على البلاد العربية عموماً وتنتظر منها عوناً فعلاً يحرر اليمن من الأوضاع العتيقة المتعفنة، وقد دفع معظم الأحرار رؤوسهم ثمناً لهذا الوهم الفاحش.

(٣) والأدهى من ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى خروج أمير كسيف الإسلام عبد الله إلى الخارج على أنه يساوي انقلاباً كاملاً، وأن نظرة عابرة منه إلى دنيا الحضارة كفيلة أن تطرد من مجرى دمه كل رواسب الرجعية الملكية وتحوله رجلاً ثائراً.

بل كانوا يرون أن موافقة الإمام يحيى لابنه على زيارة البلاد العربية خارج الستار المتوكلي خطوة حاسمة أو تمهيد لخطوة حاسمة.

(٤) كان الأحرار على عكس ما يظن الكثيرون متساهلين إلى أبعد الحدود مع الحكام، وكانوا أتين عريكة، وأرحب صدوراً عند الأخذ والرد مع الرجعية الحاكمة، بل وقد بدأوا التعامل معها بالمدارة والتشجيع وإثارة روح الطموح في رجالها وخلق مثل من الأبحاد في صورة مدح، وثناء، وكانوا يؤيدون أية خطوة سليمة ولو متواضعة يحاول الإمام أن يخطوها. ولكن عناد الحكم المتوكلي وتصلبه، وإصراره على الاستعلاء

والاستبداد، وتمسكه بالحق المطلق في التسلّط، واستخدام هذا الحق في تحطيم عجلة التطور أعطى تجربة المناضلين يقيناً لا يعتره الشك في أن كل محاولة لقبول أنصاف الحلول وأرباعها لن تكون إلا من قبيل خداع النفس لأن الحكام مصممون على رفض أية خطوة في سبيل تقدم حقيقي.

ولكن هذا اليقين كان مثلاً عسراً فلم تأت به إلا أحداث هائلة، وأعمار غالية، وتجارب، ومذابح وآلام يعجز عنها الوصف.

فالذين يحاولون إعادة التجارب من جديد مع الحكام هؤلاء أو الرضى بأنصاف الحلول إنما يعملون على إهدار تجربة ربع قرن من النضال ونصف قرن من تجارب العبودية قبله، وهم كذلك يستأنفون المجازفة بمصير الجيل الوطني الذي بلغ أشده من الرشد والوعي عندما يحاولون إقناعه بمعاودة التجربة من جديد وإلغاء تجارب الرعيل الأول.

(٥) وكذلك الشأن فيما يتعلق بموقف الأحرار من الرجعية العربية الحاكمة، إن كثيرين ينادون بأن تكون حركة الأحرار اليمنيين كحركة الجزائر وغيرها من القضايا العربية محل عطف الجميع، وهؤلاء يطلقون الرأي من على، وبمعزل عن ظروف وتجارب الحركة اليمنية، فهم لا يعرفون أن الأحرار كانوا يتخذون الرجعية العربية ملاذاً ومفرجاً، لم يكونوا يتوددون إليها على سبيل المجاملة أو طبقاً لتكتيك سياسي، بل كانوا يرونها فعلاً جذيرة بهذا الأمل والرجاء، وظلّوا كذلك أعواماً طوالاً يعصبون عيونهم بأوهام، ويقدمون المذكرات تلو المذكرات ولم يكونوا يدركون بأنهم إنما يشكون إليهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم.

وكانت المذكرات البريئة الساذجة الصادقة المخلصة التي يبعثها أحرار اليمن إلى حكام الجامعة العربية لا تلبث إلا قليلاً حتى يقدمها بعض ملوك الجامعة العربية إلى الإمام يحى مشفوعة بتوصيات رجعية تنصح الإمام بالصمود في وجه المطالب الوطنية والاستخفاف بها، والضرب بيد من حديد ضد الحركة التحريرية.

وحكاية الحرص على عطف عام من كل التيارات العربية تمثل أملاً جميلاً برآقاً، ولكن البحث عنه لا يكون إلا من قبيل البحث عن المستحيل بالنسبة إلى القضية اليمنية، ذلك لأن نضال الأحرار اليمنيين منذ اليوم الأول اتسم بطابع ثوري ضد حكم محلي رجعي فاسد، وظهر الأحرار بشعارهم المعروف، وهو أن التحرر من الرجعية الداخلية هو الأساس الأول للتحرر من الاستعمار.

وهذا شعار وإن طبّقه بالفعل ثورة ٢٣ يوليو المصرية في مصر بطرد فاروق أولاً، ثم طرد الاستعمار، إلا أنه لم يكن الطابع البارز للثورة العربية الكبرى في مراحلها الأولى، فقد استطاعت هذه الثورة بطرقها الدبلوماسية سنوات عديدة إقناع الحكام العرب الرجعيين بإمكان التعايش معهم، ولم تضطر إلى كشف ثورتها المطلقة ضد الرجعية من حيث هي إلا بعد قيام الحركة الانفصالية في «دمشق»، ومن يومئذ أصبح الصراع مع الرجعية وجهاً لوجه بعد أن انكمش الاستعمار واختبأ وراء القصور الرجعية الحاكمة.

وإذا كان من المتعذر أن تضع الرجعية العربية يدها في يد «جمال عبد الناصر» في هذه المرحلة الثورية الراهنة، أو تطمئن إليه، وهو يحمل المعول لاستئصال جذورها وقصورها، فكذلك الأمر فيما يتعلق بحركة

الأحرار اليمنيين التي ظهرت منذ اليوم الأول بطابعها الصريح ضد نظام حكم ملكي رجعي، مع ملاحظة الفرق الهائل بين القوة الضخمة التي يمثلها قائد الثورة «جمال»، وبين الضعف الذي يمثله نفر قليل من اليمنيين الذي يرفعون أخطر شعارات الثورة وهم لا يملكون حولاً ولا طولاً، بل ولا شبراً على وجه الأرض يستقرون فيه بأمان قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو.

من هذه الاعتبارات كلها نستطيع أن نتصور مبلغ السذاجة التي كانت تسود قلوب الأحرار اليمنيين وهم يأملون أن تأتي النجدة التحررية لسحق الإمام يحيى من حكومات وجامعة دول يمثلها فاروق وعبد العزيز آل سعود.

ولكن سن الثورة سنة ١٩٦٢ لا ينجل من سن الطفولة الثورية التي كنا نحياها عام ١٩٤٥، فقريباً جداً كانت الطيبة وحسن النية يسودان قلب الثورة العربية الجبارة التي وضعت يدها طاهرة في يد حاكم عربي كان يدفع الملايين لنسف الطائرة التي تحمل جمال عبد الناصر.

(٦) وفي القصيدة ناحية تستحق وقفة قصيرة من التأمل تلك هي ناحية العتاب الموجه إلى العرب عموماً على إهمالهم قضية اليمن، وتلك نزعة أخرى لأحرار اليمن بل لشعب اليمن كله، وهي نزعة الاعتماد على نجدة من الخارج منذ عهد «سيف بن ذي يزن» حتى اليوم.

وقد عاجلنا هذه العقدة في مناسبات، ومقالات وكتب عديدة من أبرزها كتاب «الخدعة الكبرى»، وكتاب «مأساة واق الواق»، ولكن ذلك كان أثناء قيام الاتحاد بين اليمن والجمهورية العربية، وقد يظن اليمنيون أن الرأي يجب أن يتغير بعد حل الاتحاد، ويجب أن تُسرّع

الجمهورية فتبعث للشعب بثورة جاهزة ناجزة مطبوخة مطهية في طبق طائر، وتعفيه من مصاعب البذل الذاتي، والتضحيات الشاقة. لذلك نسرع فنذكر أبناء الشعب، أنه من العار عليهم أن يستنجدوا، ويطلبوا المعجزات والخوارق، في سبيل الخلاص من جثة طاغية محتضرة.

فالشعب هو الذي ينشد الحرية، وهو الذي يجب عليه أن يدفع ثمنها كاملاً غير منقوص، وإذا كان الله سبحانه خالق الشعوب، وخالق الطغاة معاً قد فرض على الناس حتى الأنبياء منهم أن يناضلوا حتى الموت في سبيل مبادئهم، فكيف يجوز أن يظل شغل اليمينين الشاغل هو التطلع إلى ثورة تمنحها لهم وتصدرها الجمهورية العربية المتحدة. لنفرض جدلاً أن الثورة العربية في مصر تجاوزت عن ظروفها الدولية والمحلية وصنعت لليمنين ثورة وخلّصتهم من حكم الإمام الرجعي، وأوضاعه من جذورها، فهل يكون ذلك شرفاً لليمنين أم يكون عاراً وشناراً؟.

أما أنا فإني أضرع إلى الله أن يثبت سياسة الجمهورية العربية على الابتعاد عن التدخل الثوري في الشؤون الداخلية لليمن حتى لا تهزها العاطفة في يوم من الأيام فتتصدى للقيام بعمل ثوري ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشعب.

لأن ذلك يعني أن يُدمغ الشعب بوصمة في جبينه إلى الأبد. بل إني لأضرع إلى الله أن لا يتولى هو جلّ وعلا إزهاق روح الطغيان بصاعقة تنزل من السماء، أو بركان ينفجر من الأرض، أو ملك من الملائكة يهبط من عليائه بسكّنة قلبية أو صدمة عصبية أو لومة

عقلية... ولكنني في الوقت نفسه أسأل الله عز وجل بدلاً من أن يبعث الملائكة، أو يرسل الصواعق، أو يفجر البراكين أن يبعث الكرامة النائمة في نفس الشعب وأن يفجر الثورة من أعماقه، وأن يمنحه الإيمان بنفسه لتحرير نفسه وأن يعطيه القدرة المؤمنة على الاستماع إلى كلمة الله الثورية الصارمة في الآية الكريمة: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُحَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُضَوِّفُهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: الآية ٢٤].

وبعد، فهذه هي القصيدة التي قدمت بين يديها كل هذا الكلام، وقد لا يرى القارئ أنها تستحق هذه المقدمة الطويلة غير أنني أرى أنها تثير عدداً من أمهات المشاكل، وتضع علامة استفهام عليها، وهي لأجل ذلك جديرة بالتعليق والاهتمام.

هَبْ بِرُخِي لِلْسَّافِيَاتِ عِنَانَهُ
وَيُجَلِّي لِلنِّيرَاتِ مَكَانَهُ
مَرٌّ كَالْخَاطِرِ السَّرِيعِ إِذَا مَا..
اسْتَيْقَظَتْ عَنْهُ مَقْلَةٌ وَشَنَانَهُ
أَمَلٌ فِي جَوَانِحِ الْيَمَنِ الْمَغْمُورِ
.. أَلْقَى مَلَأَ الْفَضَاءَ بَيَانَهُ
وَضَمِيرٌ مُجَنِّحٌ شَهِدَ الْعَالَمَ
فِي الْأَفْقِ غَطْفَهُ وَخَنَاتَهُ

وشعور لآل قحطان فؤار
 أجدت ناز الوغى فورانه
 لا يُبالي من المسافات في عصر
 ... يربي صرح الهوى فرسانه
 أكلت نازه الحواجز والأسوار
 .. أكلأ وهشمت قضبانه
 وتلقّت فيه الكنانة شعباً
 مقبلاً من ماضيه يلقي جِرانه
 ودّع العزلة التي نسج الدهر
 .. له من ظلامها أكفانه
 خلّع الأعصر القديمة إلا
 مَجْدُهُ التاريخي أو إيمانه
 والتقى بعد بالعروبة ظمناً
 .. إليها يَبُثُّها أشجانه
 أب من عهد البعيد إلى مصر
 .. يلاقي في رحبها إخوانه
 بعد أن حالت الطُروف وعاقته

.. اللَّيَالِي وَبَلَبَلْتُ أَذْهَانَهُ
 غَلَبْتُ رُوحَهُ الزَّمَانَ فَرَدَّتْهُ
 .. حَسِيرًا وَذَلَّلْتُ طَغْيَانَهُ
 سَلَكْتُ فَوْقَهُ طَرِيقًا إِلَى الْأَفْلَاكِ
 .. حَتَّى تَجَاوَزْتَ سُلْطَانَهُ

يَا سَمُوَ الْأَمِيرَ خَطَوْتُكَ الْكِبْرَى
 .. تَعَزَّى قُلُوبُنَا الْأَسْوَانَهُ
 أَنْتَ صَوْتُ الشَّعْبِ الْيَمَانِيِّ الْمَدْوِيِّ
 أَنْتَ أَقْوَى أَحْدَاثِهِ الرَّئَانَهُ
 أَنْتَ فِي قَلْبِهِ الشُّعُورَ الَّذِي أَيْقَظُ
 .. أَعْصَابَهُ وَهَزُّ كِيَانَهُ
 أَنْتَ يُمْنَاهُ فِي يَدِ الْمَجْمَعِ الْأَعْلَى
 .. تُحْيِي أَقْطَابَهُ وَلِجَانَهُ
 أَنْتَ مِيثَاقَهُ الْعَظِيمَ، وَأَنْتَ السِّرُّ
 .. فِي نَفْسِهِ، وَأَنْتَ الْأَمَانَهُ
 أَنْتَ بَابُ الْعَصْرِ الَّذِي يَرْقُبُ التَّارِيخُ
 .. مِنْ ضَوْءِ فَجْرِهِ مَهْرَجَانَهُ

أَنْتَ نَبْعُ الْحَيَاةِ فَجَرَّهُ اللَّهُ
 .. لِإِسْعَافِ أُمَّةٍ ظَمَأَنَهُ
 تَبَخَّيْرَ لَهَا الطَّرِيقِ فَإِنْ اللَّيْلُ
 .. دَاجٍ وَعَيْئُهَا حِيرَانَهُ
 وَتَحَدَّثَ عَنْ شَعْبِكَ الصَّامِتِ الْمَكْبُوتِ
 .. إِذْ لَيْسَ يَسْتَطِيعُ الْإِبَانَهُ
 ظَلَّ فِي الْعِزْلَةِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى
 كَادَ أَنْ يَدَّعِيَ الْوَرَى فَقَدَانَهُ
 وَتَنَاسَى ذُو الْوَشِيحَةِ قُرْبَاهُ
 .. كَأَنَّ مَا كَانُوا هُمُ جِيرَانَهُ
 كَيْفَ لَمْ يَنْقُذُوا غَرِيقَ أُتَيٍّ^(١)
 مَرْقُ الْمَوْجِ رَوْحَهُ اللَّهْفَانَهُ
 مُسْتَغِيثًا يئنُّ فِي لَهَوَاتِ السَّيْلِ
 ... لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا بَنَانَهُ
 زَعَمُوا أَنَّهُ بَعِيدٌ وَلَوْ مَاتَ
 ... لَدَيْهِمْ مَا شَيَّعُوا جُثْمَانَهُ

(١) الآتي: السيل.

أَنْقِذُوا كُلَّ أُمَّةٍ مِنْ عَدُوِّ
 ... وَتَدَاعُوا فَكُفُّوا عِدْوَانَهُ
 وَدَعَاهُمْ قَحْطَانٍ يَصْرُخُ مِنْ هَوْلٍ
 ... الْأَفَاعِي فَشَجَّعُوا أَفْعَوَانَهُ
 لَيْتَ شِغْرِي مَا بِالْهَمِّ أَعْرَضُوا عَنْهُ
 ... وَدَاسُوا دُمُوعَهُ الْهَيْئَانَهُ
 أَتَوَاصُوا بِمَحْوِهِ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ
 ... أَمْ اسْتَصْغَرُوا عَلَى الْأَرْضِ شَانَهُ؟
 إِنْ يَكُنْ هَاكَ قِيَمَةٌ شَعْبُهُ الْفَانِي
 ... فَهَلَا تَسَلَّمُوا بُلْدَانَهُ
 فَعَسَاهُمْ أَنْ يَذْكُرُوهُ إِذَا مَا
 نَظَرُوا فِي خَرِيطَةِ أَلْوَانِهِ
 وَعَسَى أَنْ يَهْمَّهُمْ أَمْرُهُ إِنْ
 دَرَسُوا فِي طَبِيعَةِ صَوَّانِهِ
 وَلَعَلَّ التَّارِيخَ فِي مَتَحَفِ الْأَثَارِ
 ... يُهْدِي إِلَيْهِمْ عَنَوَانَهُ

سأل جرح بالشام فاضطررت نجد
 ... وسحت له عيون الكنانة
 وتنزى العراق غضبان كالليث
 إذا سامه الغبي مهانه
 واستفز الشعب اليماني حفاظاً
 فانتضى سيفه، وهز لدانه
 وشجى الأردن المصاب كأن قد
 دمر المعتدي له عمّانه
 وفلسطين خبأت جرحها الدامي
 ... وهبت لجارها غضبانة
 نكبة الشام وطدت برلمان الشام
 ... رغم العدى وأغلّت مكانه
 نكبة الشام وخذتنا فما من
 عربي إلا بكى برلماناه
 صار قلباً يُحرك العرب العربا
 ... ويجري في أرضهم شرياناه
 جهلت سرّه فرنسا فراححت
 تتحدّى أسودّه اليقظاناه

وأرادت تمزيقه يدي كانت
 .. إلى الأمس تجتديه الإعانه
 لم تُدمر بنيانه الحر لكن
 دمّرت سمعة لها طنانه
 أين أبطالها الأولى عبدوا (هتلر)
 ... ذلاً وَقَدَّسُوا صولجانه
 نكصوا عن قِراعِهِ في حمى السين
 ... وهابوا قِتاله وطعانه
 لَثَمُوا منصلية في قاع باريس
 ... ركوعاً وألّهُوا نيرانه
 أفيمحون عارهم يَدما شعب
 .. كريم كانوا همو ضيفانه؟

لنُمت أو نعش على الأرض أحراراً
 .. ولا عاش مَنْ يستسيغ الإهانه
 إن شعباً يرضى الحياة سجيناً
 لا يساوي في قيمة سِجانه

وحياءٌ تُصانُ بالهونِ والإذلالِ
 ... ليست خليقةً بالصيانة
 ودماء تنمو على الضيمِ رجسٌ
 نجساتٌ كُرأثها خَوَّانُه
 كل شعبٍ محي أساطيره السّود
 .. ووَارى تحت الثرى أوثانُه
 قد تلاشت كل العصور الذليلات
 ... وبادت كلّ الشعوب المَهانِه
 واستحالت عبادة الناس للناس
 ... وأمسى حملُ القيود خيانِه

من أحرار اليمن إلى أحرار العراق

صيحة الشعب.. في بلاد الرشيد
 أشعلتها ناراً وثوري وزيدي
 إزحف كالطوفان يا ثورة الشعب
 إلينا ودمدمي كالرعود
 طهري جوّنا من الموت والصمت
 ... وهزّي لنا بقايا الحود
 إخوة نحن في القيود فهيا
 لنكن إخوة بخلع القيود
 فالطغاة الأولى أغصوكم الریق
 ... بقايا همونا في الوريد
 هم حبال للشنق تُرعب بغداد
 ... وتبدو عريانة... للشهود
 وهم عندنا أرقام... تُخفي السم
 ... في لونها الجميل الودود
 تتشكى العدا وتبني لهم طرقاً
 إلينا مفروشة بالورود

دَمَرْتَنَا لَهُمْ كَالَاتِ حَرْبٍ
 أَطْلَقَتْهَا يَدَا عَدُوٍّ لِدُودِ
 حَقَّقْتَ لِلْغُزَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا
 يَتَمَنُّونَ مِنْ خَرَابٍ مَبِيدِ
 حَمَلْتَ عَنْهُمْ الْعَنَاءَ فَاسْتَرَا حُوا
 فِي جِمَاهَا وَأَثْمَعَنُوا فِي الْهَجُودِ
 نَصَفَ قَرْنٍ عِشْنَا يَنَامُ بِهَا الْمُحْتَلِّ
 ... فِي أَرْضِنَا كَنُومِ الْوَلِيدِ
 هَجَّعًا كَالْفِرَاغِ لَا يَزْعَجُ الْمُحْتَلِّ
 ... مَنَا غَيْرُ السَّرَابِ الْبَعِيدِ
 أَوْ شَكَوَى كَشْهَقَةِ الطِّفْلِ الْيَبْكِي
 مِنْ دَلَالٍ لِأُمِّهِ يَوْمَ عِيدِ
 شَطَرُنَا يَسْتَغِيثُ مِنْ غَاصِبٍ فَظًّا
 وَشَطَرُهُ مِنْ مُسْتَبَدٍّ عَنِيدِ
 وَكِلَا الْقَاتِلِينَ يَنْهَشُ فِي جِثَّةِ شَعْبِ
 نَهَشَ النَّهْمِ الْحَقُودِ...

فإذا ما تصايحا فكقطّين
 ... إستباحا أشلاء جسم بديد

فاحذري يا بغداد، إن أفاعينا
 ... لشرّ من ألف نوري السعيد
 إسألوا (إسماعيل صفوت) عن صنعا
 ... وماذا قاسى بها من جحود
 إسألوا عنهم الموائيق في جدة
 ... والاتحاد غير الوحيد
 وسلّوهم كم طبّقوا من عهود
 قطعوها ونقّذوا من وعود
 وسلّوهم كم مرة خجلوا فيها
 ... من الدجل والتّفاق البليد
 وسلّوهم كم من دم سفكوه
 دون حكمٍ أو حجّةٍ أو شهود
 وسلّوهم كم قَطّعوا من رؤوس
 غاليات، ومزّقوا من جلود

وَسَلُّوْهُمْ عَنِ الْعُرُوبَةِ مِنْ قَحْطَانَ
 ... فِي مَجْدِهَا الْعَرِيقِ التَّلِيدِ
 أَيْنَ فَرَّوْا بِهَاءٍ وَأَيَّ سُجُونِ
 بَلَّغْتُهُمُ الْهَمَّ وَأَيَّ لُحُودِ
 ذَبَحُوْهَا ذَبْحًا فَإِنْ أَرَهَقْتَهُمْ
 كَنَسُوْهَا فِي الْبَحْرِ كَنَسَ الدُّودِ

تلك مأسأتنا الأليمة يا أحرار
 ... بَعْدَادِ يَا كَمَاةَ الْجَنُودِ
 سَجَلْتُمْهَا أَهَاتُ شَعْبٍ شَقِيقِ
 عَرَبِيٍّ مَكْبَلٍ بِالْحَدِيدِ
 هُوَ فِي عَصْرِكُمْ وَيُرْغِمُهُ الْقَيْدُ
 ... عَلَى الْعَيْشِ فِي عُصُورِ الْجَلِيدِ
 يَتَقَضَاكُمْ الْأُخُوَّةَ فِي الْإِحْسَاسِ
 ... وَالْجَرِحِ وَالنِّضَالِ الْمَجِيدِ
 كَمْ دَفَعْنَا مِنَ الدِّمَاءِ لَغَايَاتِ
 ... كَغَايَاتِكُمْ وَقَصْدِ رَشِيدِ

حَذَلْتَنَا ظُرُوفُنَا وَأَعَادِينَا
 ... وفزتم أنتم بنجح أكيد
 كان تاج لَدَيْكُمْ يدعم التَّاج
 ... لدينا بالنصر والتأييد
 إِنَّ خبا للطغاة فينا حريقُ
 أشعفتهم طغاتهم بالوقود
 كم دُبِخْنَا وكم جُلِدْنَا (بصنعاء)
 ... لَكَيْمًا يَرْضَى بلاط الرشيد
 إنهم يؤمنون بالهدف الجامع
 ... والعرش والمصير الوحيد
 فاحذروا يا أحرار «بغداد» أن يشعَى
 ... إليكم طغائنا من جديد
 لا تَغْرُنْكُمْ مواعيدُ قالوها
 ... قديماً مِنْ غَضْرِ عبد الحميد
 إنها فِزِيَّةٌ يَكِيلُونَهَا كَيْلاً
 ... إلى النَّاسِ في سخاءٍ وجود
 إنهم يمنحونكم ألف وجه!
 إِنَّ أَرَدْتُمْ وألف وجهٍ مزيد

سوفَ يَبْكونَ إنَّ أَرْدُئِمَّ بَكَاءَ
كَدَلِيلٍ عَلَى وِفَاءِ العُهودِ
سوفَ يَجْتُنُونَ فِي الهَوَا كُلَّ مَشروعِ
... جَلِيلٍ وَكُلَّ صَرِيحِ مَشِيدِ
يُعلنُونَ الحَيَاةَ خَوْفًا فَإِنَّ لاقوا
أَمَانًا تَراجعوا لِلحُدودِ
إِنَّهم يَرْقصُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ
إِنَّهم يَخبطُونَ فِي كُلِّ بَيدِ
إِنَّهم يَندبُونَ فِي كُلِّ قَبرِ
إِنَّهم يَضْحَكُونَ فِي كُلِّ عَيدِ
يَبْهرونَ الدُنْيَا بِزُورَةٍ (موسكو)
وَعَلَيْهِم غُبارُ دُنْيَا ثُمودِ
رَدُّوا مَنطِيقَ التَّحَرُّرِ كَالْبَبْغَاءِ
... تَزْهَوُ بِالنُّطْقِ بَيْنَ القُرودِ
يَتَّسوا مِن رِضى الِيمانينَ عَنْهمِ
فاسْتَمَاحوا الرِّضى وَراءَ الحُدودِ

غَيْرَ أَنْ الْأَبْطَالِ مِنْ عَرَبِ الْأَحْرَارِ
 ... لَنْ يُخْذَعُوا بِزَيْفِ الْوَعْدِ
 لَنْ يَمْدُوا الْأَيْدِي لِمَنْ يَخْكُمُ الشَّعْبُ
 ... بِسَيْفِ مُلُوثٍ وَقِيُودِ
 لَنْ يَزِيحُوا نِيْرُونَهُمْ لِيَذِيقُونَا
 ... مَزِيداً مِنْ سَطْوَةِ النَّمْرُودِ
 هُمْ أَزَالُوا عَرْشاً أَرَادَهُمْوْ جُنْداً
 ... (لشمعون) ضِدَّ شَعْبٍ مُجِيدِ
 ثَوْرَةَ الشَّعْبِ فِي الْعِرَاقِ تَبَارَكْتَ
 وَخُيِّتِ مِنْ ضَمِيرِ الْوُجُودِ
 كُلُّ نَبْضٍ فِي شَعْبِنَا كَانَ شِعْراً
 يَتَغَنَّى بِيَوْمِكَ الْمَعْبُودِ
 فَجَرَّتْكَ السَّمَاءُ رِيحاً مِنَ الْمَوْتِ
 ... عَلَى كُلِّ مُسْتَبَدٍّ عَنِيدِ
 عَصَفْتَ بِالْأَصْنَامِ آلِهَةَ الْأُمْسِ
 ... وَدُكَّتْ مِنْ كُلِّ رَكْنٍ وَطِيدِ
 وَأَذَلَّتْ مِنْ كَبْرِيَاءِ جَبَاهِ
 كَانَ يُعْنَى لَشَأْوِهَا بِالسَّجُودِ

كم إله مُزَيَّف تَرَكَّثُهُ
هَيْبَةُ الشَّعْبِ فِي عَدَاةِ الْعَبِيد

يا حياة هَبَّتْ لَنَا مِنْ قُبُورِ
يا سَعِيرًا فَارَتْ لَنَا مِنْ جَلِيدِ
يا آمَانِيْنَا وَنَجَوَى هَوَانَا
يا أَنَاشِيدَنَا لِيَوْمِ الْخُلُودِ
كُنْتَ بِالْأَمْسِ لَيْلَنَا الْبَائِسِ الْبَاكِ
... وَرُعْبَ الْكُرَى وَذُلَّ الْقَيُودِ
كُنْتَ جِلْفَ الْعَدُوِّ يَرْهَبُنَا مِنْهُ
وَيَحْظِي فِيهِ بَرْكِنِ شَدِيدِ
كُنْتَ عَضْوًا لَمْ نَدْرِ كَيْفَ نَدَاوِيهِ
... وَنَقْضِي فِيهِ بَرَأِي سَدِيدِ
إِنْ عَقَوْنَا سَرَى لَنَا الدَّاءُ مِنْهُ
أَوْ بَتَرْنَا عَشْنَا بِجَسْمِ قَعِيدِ
(فِيصَل) وَ(الْحُسَيْنِ) أَشَامَ طِفْلَيْنِ
... أَسَاءَ لَأُمَّةٍ فِي الْوُجُودِ

صَنَعَا لِلْعَدَى مِنْ الْخِدْمَاتِ النِّكَرَ
 ... مَا لَمْ يَصْنَعَهُ شَعْبُ الْيَهُودِ
 شَرُّ مَا يَقْتُلُ الْعُرُوبَةَ أَوْثَانُ
 ... نُرَبِّي طَغْيَانَهَا فِي الْمَهُودِ
 وَنَغْذِي فِيهَا أَلْهِيَّةَ الْإِفْكَ
 ... وَنَعْنُو لَشُخْفِهَا بِالسَّجُودِ
 وَنُريهَا بِأَنَّهَا الرَّمْزُ لِلْعِيَا
 ... بِلَا عَلِيَاءٍ وَلَا مَجْهُودِ
 تَقْتُلُ الشَّعْبَ أَوْ تَخُونُ فَلَا تَسْمَعُ
 ... غَيْرَ التَّقْدِيسِ وَالتَّمَجِيدِ

وَأَزْدَدْنَا الْعَدَى فَأَضَافُوا عَلَيَّ أَضْمَانِيَا
 ... الْبَلَاءُ خَافِقَاتِ الْبَنُودِ
 جَعَلُوا مِنْهُمْ حُمَىً لِلْخِيَانَاتِ
 ... وَجَسْرًا لِلْعَزْوِ وَالتَّهْدِيدِ
 وَسِلَاحًا لِقَتْلِ كُلِّ شَرِيفٍ
 وَأَدَاةَ لِهَدْمِ كُلِّ مَشِيدٍ

لَا يُسَلِّمُ الْأَطْفَالُ إِنْ حَسَبُونَا
 سِلْعَةً لِّلْمَلْهَةِ وَالتَّبْدِيدِ
 قَدْ عِبَدْنَاهُمْ صَغَاراً وَهَيْهَاتَ
 ... لَنَا أَنْ نَكُونَ غَيْرَ الْعَبِيدِ
 مِنْذُ كَانُوا أَجَنَّةً فَهْمُ إِمَّا
 مَلُوكٌ أَوْ أَوْلِيَاءُ عَهْدٍ
 يَرِثُونَ الشُّعُوبَ إِرْثاً رَخِيصاً
 دُونَ كَدٍّ وَدُونَ بَذْلِ جُهِودٍ
 كَيْفَ يَأْتِيهِمُ الشُّعُورُ بِأَنَّا
 آدَمِيُونَ مِثْلَهُمْ فِي الْوُجُودِ
 نَحْنُ لَسْنَا فِي وَعِيهِمْ غَيْرُ مِيرَاثٍ
 ... تَلَقَّوْهُ مِنْ كِرَامِ الْجُدُودِ

حَاشَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا لَطْهَ
 بَلْ وَحَاشَا أَنْ يَنْتَمُوا لِيَزِيدَ
 لَوْ يَصْخَرُ انْتِسَابُهُمْ لِعَلِيٍّ

كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي الْخُلُودِ
 لَاقْشَعَرَتْ دِمَاؤُهُمْ مِنْ حَيَاءٍ
 وَأَبَتْ أَنْ تَجْرِيَ لَهُمْ فِي وَرِيدِ
 فَرِحُوا أَنَّهُمْ قَدْ اعْتَقَلُوا الشَّعْبَ
 ... وَشَلُّوا حَيَاتَهُ بِالْقَيْدِ
 وَأَبَاحُواهُ لِلْأَعْدَادِ وَبَاعُواهُ
 ... إِلَيْهِمْ بِحَفْنَةٍ مِنْ نَقُودِ

فَتَصَدَّيْتُ أَنْتِ يَا ثَوْرَةَ الشَّعْبِ
 ... بَعِزِّ مَاضٍ وَرَأْيٍ سَدِيدِ
 وَنَقَضْتِ التَّرَابَ عَنْ مَعْدِنِ الشَّعْبِ
 ... وَعَنْ عِرْقِهِ الْأَصِيلِ الْعَتِيدِ
 وَغَسَلْتِ الْعَارَ الَّذِي كَانَ يُؤْذِي
 مَنْ يَرَاهُ عَلَى جَبَاهِ الْأَسْوَدِ
 وَاقْتَلَعْتِ الطَّغْيَانَ مِنْ جِذْرِهِ الْعَاتِي
 ... وَمَنْ أُسِّهِ الْقَوِيُّ الْوَطِيدِ
 وَجَدَعْتَ أَنْفًا مِنَ الْغَرْبِ ذَرِيًّا
 ... وَشَوَّيْتِهِ عَلَى السَّفُودِ

ضربةً من مشيئة الشعب بالسوط
 ... أزالَت شواهِقاً من حديد
 غَضَبُهُ عِبْقَرِيَّةٌ ذَهَلَ الْعَالَمُ
 ... من حسمها الرُّهيب الشديد
 كَتَبَتِ لِلتَّارِيخِ دَرَساً يَعْجِبُ الصِّمَّ
 ... وَالْبُكْمُ مِنْ طَغَاةِ الْعُهُودِ
 وَمَنْ الْيَوْمِ سَوْفَ يَرْتَجِفُ الطُّغْيَانُ
 ... مِنْ أُنَّةِ الْحَزِينِ الشَّرِيدِ
 وَمَنْ الْيَوْمِ سَوْفَ تَرْتَعِدُ الذَّرَّةُ
 ... فِي كَفِّ كُلِّ عَاتٍ مَرِيدِ
 جَزَعاً أَنْ تَمَسَّهَا غَضَبُهُ الشَّعْبِ
 فَتَخْبُو نَارَ السَّلَاحِ الْمُبِيدِ

سَوْفَ لَا تُشْتَرَى شُعُوبٌ وَلَا تُبْتَاعُ
 ... مِنْ مَا جِنِّ وَلَا عَرَبِيدِ
 لَنْ يَبِيعَ الطُّغَاةُ ظُفُراً لِإِنْسَانِ

... ولو كان جُئَّةَ المؤد
 فقدَ الأجنبيَّ آمالُهُ فيهم
 ... فلم يَبْقَ عندهم من رَصِيد

١٧ يوليو سنة ١٩٥٨

حنين الطائر

أَمِلُّ غِيْرُ مَتَاحِ
وَقُوَادُّ غِيْرُ صَاحِ
أَنَا طَيْرٌ... حَطَّ السَّمْعُ الْمَقْدُورُ
... عُمَّي وَجَنَاحِي
وَرَمَانِي فِي نِثَارِ
مِنْ دُمُوعِي وَنُوحِي
وَحُطَامِ مَسْنِ بَقَايَا
وَطَنٍ غِيْرُ صِحَاحِ
ذَهَبْتُ آهَاتِي السَّوْدَاءُ
... أَدْرَاجَ السَّرِيحِ
فَتَطَامَنْتُ عَلَى هَمِّي
... وَخَبَّاتُ سِلَاحِي
لَمْ أَجِدْ سَمْعاً فَأَفْرَغْتُ
... أَتَيْنِي فِي جِرَاحِي
وَتَبَّهْتُ عَلَى أَنْقَاضِ

... عَشَّ مُشْتَبَح
 وَاغْتَرَابَ بَيْنَ غَابَاتِ
 ... مَخِيفَاتِ فِسَاحِ
 وَحِيلَةٍ فِي صَرَاغِ
 وَنُضَالِ وَكُفَاحِ
 لَا أَرَى إِلَّا ظُلَاماً
 فِي غَدَوِي وَرَوَاحِي
 دِيَاغِي رَثَقَالاً
 سَافِي كُلِّ سَاحِ
 دَّتِ الطَّرْقُ إِلَى
 كُلِّ النَّوَاحِي
 مِنَ الْفَجْرِ
 رُبَّ صَاحِ
 وَرِ
 ي
 زِلِ
 حِ

جَعَلَتْ
 ... وَ
 وَتَزِيدُ
 وَسَلَحَ
 وَأَدَاةً

كنت أرويهـا بمنقـاري
 من شغـر قـراح
 كنتُ أعجوبةً دهري
 في نشاطي ومراحي
 بين أطيار بليغات
 ... وأفـراح فصـاح
 يتعابثنَ فما ينطقنَ
 ... إلّا بالمُـزاح
 لم أُمَيِّز فـني لغاهـا
 بين صَفـوٍ وتـلاح

ليت شعري هل تـرد العـهد
 ... كـفُ الاجتـياح
 أتعاطى منه كـأس الحـب
 ... كالخـمـر المـُبـاح
 ليتني أخسر نصـفَ الرّوح
 ... فـي جـزءة راح

أَهْ لَوْ اجْتَنَبَ الْغُشَّ
بِحَبْلِ الْإِمْتِنَانِ
أَهْ لَوْ يَمْحُو مَسَافَاتِ
النَّوَى وَالْبَعْدِ مَسَاحِ
مَا عَلَى الْأَقْدَارِ إِنْ غُدْتُ
... لِأَهْلِي مِنْ جُنَاحِ
أَهْ مَاذَا تَضَنَّنُ الْآهَاتِ
... فِي الْبَيْدِ الشَّحَاحِ
تَعَسَّ الدَّمْعُ، إِذَا لَمْ
يَسْتَطِعْ فَلَكَ سَرَاخِي
الْبَكَاءُ عَجَزُ مَا اسْتَخْدَمْتُ
... فِي كَسْبِ التَّجَاحِ

* * * *

إلى الأجابة

كنت مشرداً بعد نكبة عام ١٩٤٨ ومطارداً من كل بلد على ظهر الأرض، وكانت البلاد العربية كلها تحت سلطان العروش الرجعية ونفوذها وهيبتها تلك العروش التي هزها مصرع الإمام يحيى، وكانت كل حركات الشعوب تعاني نكسة عامة، ولم تكن لنا ملاذاً يومئذ غير باكستان الدولة الإسلامية الفتية التي كانت محط كل الآمال.

ومع ذلك فكانت قضية اليمن مجهولة هناك تفصل بينها وبين الباكستانيين حواجز اللغة والعزلة والانقطاع الرهيب.

ومن هنا... تفاقمت المشكلة.

وعلى الجانب الرهيب الآخر كان الأجابة كلهم شركاء المحنة وزملاء الكفاح يُساقون إلى المذابح في حجة وتعز وصنعاء وتُسحب جثثهم في الطرقات. وكان أسعدهم المعذبون في ظلمات السجون والمشردون في مجاهل أفريقيا.

وقد أضافت الأقدار لي إلى محنة التشرد محنة التقيد والارتباط بمصير السجناء المهذدين بالذبح فعشتُ هذه البرهة الثقيلة الطويلة مقيداً بظروفي في الخارج، وظروف الأجابة في الداخل، فكانت كل هذه العوامل تستبعدني وتشعرنني بالعجز والمرارة وعندما كانت تعتورني حالات الضعف الإنساني أبادر فأسجل مشاعري على حقيقتها.

من ذلك قصيدة كنت أود أن أبعثها إلى السجناء وضاعت من يدي ولم أتذكر منها غير هذه الأبيات:

خذلتني حتى المقادير لما
 وجدتني في غمرة الهول وحدي
 أتوقى من المصارع كيلا
 يتأهى إليكم الخطب بعدي
 لم أكن بالجبان لكن هواكم
 فوق بأسى وفوق عزى ومجدي
 كلما أبتُ للحفاظ تصدى
 لي هواكم فشلاً كفى وحدي

يطلب الهم للحريق وللتعذيب
 ... مني أضعاف لحمي وجلدي
 وتريد العلى وقوداً من الأعصاب
 ... لم تُبقي ذرة منه عندي
 قد - لعمرى - أفلستُ من كل صبر
 كنتُ أحيأ به ومن كل جهد
 قد عصاني قلبي وجئتُ أحاسيسي
 ... وثارت نفسي مع الدهر ضدي

صخرة

لي في الجوانحِ صخرةٌ صماء
 فمهول خطبك يا زمان هباء
 ولئن شكوتُ فما جزعتُ وإنما
 لُغَةُ المصابِ مَناحةٌ وبكاء
 ومن الخطوبِ منابغٌ فيأضة
 يمتاحها الخطباء والشعراء
 وإذا سكّت وقد أصبت فإنما
 تلك المصيبة نكبةٌ خرساء
 والمدنفون دموعهم وشكاتهم
 توحى إليك بأنهم أحياء

ما لي وللدنيا... نزلت فناءها
 فاستقبلتني حربها الشّعواءُ
 والت على الشبان سوط بلائها
 لؤماً وهم أضيافها النزلاءُ
 أتى يكون مع المشيبِ سعادة

إِنْ كَانَ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ شَقَاءُ
يَا مَجْدُ إِنْ لَمْ تَهْتَبْ لَكَ شَيْبَتِي
فَالْمَوْتُ دُونَكَ وَالْحَيَاةُ سَوَاءُ

إلى وطني

أضلني وهمٌ شعيرٍ كنتُ أنسجُهُ
سحراً يحول قلب الصخر أليانا
وهالني شؤم ما استكشفتُ من جثث
قد كنتُ أحسبها من قبل تيجانا
فرحتُ أشعل بالقيثار مقبرة
الموتى وانفض أغلالاً وأكفانا
أصبو إلى أمتي حباً وأبعثها
بعثاً وأبني ذلها بالشعر بنيانا
أصوغ للعمى منه أعيناً نزع
عنهم وأنسجه للصم آذاناً
وما حملت يراعي خالقاً بيدي
إلا ليصنع أجيالاً وأوطانا
يخاله الملك السفاح مقصلة
في عنقه ويراه الشعب ميزانا

فهاك يا أمتي روحاً مدلهة
عصرتها لخطاك الطهر قربانا
كأساً من الشعر لو تُسقى الشموس بها
ترنحت ومشى التاريخ سكرانا

صلاة في الجحيم

الديوان الثاني

إلى وطني

الشاعرية في روائع سحرها
 أنت الذي سوّيتها وصنعتها
 ما لي بها جُهدٌ، فأنت سكبتها
 بدمي وأنت بمهجتي أودعتها
 أنت الذي بشذاك قد عطرتها
 ونشرتها بين الورى وأذعتها
 وقفت لساني في هواك غناها
 فإذا تَعَنَّتْ في سِوَاكَ قَطَعْتُهَا
 يَتَمَّتْ رُوحِي فِي عِلَاكَ، وَصُغْتُهَا
 بِسِنَاكَ، ثُمَّ طَرَدْتُهَا وَفَجَعْتُهَا
 أَبْعَدْتَنِي عَنْ أُمَّةٍ أَنَا صَوْتُهَا الْعَالِي، فَلَوْ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعْتُهَا
 حَمَلْتَنِي آلَامُهَا وَدُمُوعُهَا
 وَمَنَعْتَنِي عَنْ وَصْلِهَا، وَمَنَعْتُهَا

ناديتَ أشتاتَ الجراحِ بأمتي
 فجمعتها في أضلعي وطبعتها
 ما قالَ قومي: آه... إلّا جئتني
 فكويتَ أحشائي بها ولسعتها
 عذّبتني وصهرتني، ليقولَ عنك الناسُ هُذي آيةُ أبدعتها.

إعلان مروع

قَوَّضْتُ بِالْقَلَمِ الْجَبَّارِ مَمْلَكَةً
 كَانَتْ بِأَقْطَابِهَا مَشْدُودَةً الطُّنْبُ
 فَإِنْ فَشَلْتُ وَلَمْ أَنْهَضْ بِدَوْلَتِنَا
 الْكِبْرَى لَشُعْبِي، وَلَمْ أَظْفَرْ بِمَطْلَبِي
 فَسَوْفَ أَبْنِي لَهُ مَجْدًا مِنَ الْأَدَبِ..
 الْعَالِي يُبَوِّئُهُ فِي أَزْفَعِ الرُّتَبِ
 وَلَنْ يَكُونَ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ
 مَرْوَعٍ غَيْرِ إِعْلَانٍ عَنِ الْأَدَبِ^(١)
 فِي بَاكِسْتَانِ

(١) قال لي الأديب العربي الكبير الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري بعد أن استمع إلى هذه الأبيات:
 أَلَسْتُ بهذا المعنى المتجبر تشبه (نيرون) الذي أحرق روما ليستلهم الشعر والغناء؟ ...
 فقلت: بلى، ببني وبينه تشابه الأضداد... إنه يحرق الشعب ليتغنى، أما أنا فأني أحرق الطغيان،
 وأقدم جثته للشعب أغنية مدوية تحترق... ومن ثم تتحول وقوداً فتبأ بمزك إرادة الشعب..

لحظات الإشراف الفني

في كوخ مظلم قصي
(بهاولبور) باكستان، إنطلقت
روح الشاعر بهذه المعاني
النشوى:

أجسّ بريحٍ كريحِ الجنانِ
تهبّ بأعماقِ روحي هبوباً
وأشعرُ أنّ القوافي تدب...
كالتملّ ملء دماغي دبيباً
فهذا يزوغ، وذاك يرّوغ
وذلك يُدعن لي مستجيباً
وذاك يفارقني يائساً
وهذا يواعدني أنّ يؤوباً
ومنها أصوغ حياة الشعوب
وأذكّي على قاتليها الحروباً

ومنها أَوْزَعُ للعالمين
 طُهِراً وَأَنْشُرَ فِي الْأَرْضِ طيباً
 ومنها أَسْوَدُ، ومنها أَجْوَدُ
 ومنها أَقَارِعُ عني الخطوباً
 ومنها أَصَوَّرُ هذا الوجود
 وَأَكْشِفُ مِنْهُ البديع العجيباً
 ومنها الشَّوَارِدُ مثل البروقِ
 تُحْيِي الْمَوَاتَ، وَتَرْوِي الْجَدِيْبَا
 إِذَا لَمَسْتَ مُهْجَتِي لَمَسَةً
 تَوَثَّبَ قَلْبِي بِصَدْرِي وَثوباً
 ومنها الأَوَابِدُ لَمْ تَسْكُنِ...
 العقولَ، وَلَمْ تَأُوْ قَطَّ الْقُلُوبَا
 إِذَا نَزَلْتَ خَاطِرِي، فُزَعَتْ
 كَوَحْشٍ يُوَاكِهُ مَصْراً خَصِيْبَا

ومنها المواليد تأتي الوجود
فتأبى الزوال، وتأبى المشيبا
أراها، فأحقر شأن الردى
بعيدا أتى أم أتاني قريبا
أخلف منها لقاح النهى
وأضئع للأرض منها شعوبا
وأزهو بها راضيا مفعجا
بأني ولدت الكثير التجيبا
ومنها المطايا، إذا اقتدتها
فتخت السما، وهتك الغيوب
ومنها التوافر، لا يستطيع
... إلا نبى عليها ركوبا
وأكثرها مُفليت من يدي
يغيب ولا يشتهي أن يغيبا

حروف الزوي بها نُظْفَةُ
 تَرَعْرَعُ بيتاً عريقاً نسيباً
 يُضْمَخُ الجرحُ من مهجتي
 ويخرجه من دماء خضيبا

وقافيةً تبتغي في البحورِ
 ... دُرّاً أصيلاً وصينداً جليبا
 ووزن تَحْمَلُ ثِقْلَ الجبال
 ... يُقَسِّمُ في طيه أن تذوبا
 وَمَغْنَى يسير إلى لفظه
 وَلَفْظٌ لمعناه يجري دَوِّباً
 وكلُّ له مَوْضِعٌ مُعْلَمٌ
 يَؤُولُ إليه رشيداً لبيبا
 يُسَارِعُ كلُّ إلى شَكْلِهِ
 وَيَطْلُبُ كلُّ ضَرِيْبٍ ضَرِيْباً

كَأَنَّ بَعْقَلِي لَهَا جَنَّةٌ
 يُلاقِي بِهَا كُلَّ صَبِّ حَبِيبَا
 نَوَامِيسُ يَسْعَى إِلَيْهَا الْكَلَامُ
 وَيَبْغِي لَهُ مِنْ خُلُودِ نَصِيبَا
 أَسْلَمُ نَفْسِي لَهَا ذَاهِلًا
 حَرِيصًا عَلَيْهَا بِشَوْشًا طَرُوبَا
 وَاضِمْتُ مُسْتَمِعًا تَارَةً
 وَأَضْرُخُ حِينًا عَبُوسًا غَضُوبَا
 وَلَوْلَا اهْتِدَائِي لِسَرَ النَّبُوغِ
 وَأَغْرَاضِهِ، لَطَلَبْتُ الطَّبِيبَا
 وَمَا كَانَ عَقْلِي أَجِيرًا لَهَا
 وَلَا كُنْتُ مِنْهَا لَكَسْبٍ طَلُوبَا
 وَلَكِنَّهَا قَدَرٌ غَالِبٌ
 قَضَى أَنْ أَكُونَ فَكُنْتُ الْأَدِيبَا

كَذَاكَ طَبِغْتُ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ
 ... مِنْ طَبْعِهِ مَوْئِلاً أَوْ هَرُوباً
 أَحَبَّ الْقَرِيضَ وَأَحْيَا بِهِ
 مَعَ الْهَوْلِ طِفْلاً ضَحُوكاً لَعُوباً
 وَرُوحَ الطَّفُولَةِ فِي نَزْعَتِي
 وَفَتِي سَتَمَّعَنِي أَنْ أَشِيبَا
 وَأَمَّا الْبَيَاضُ عَلَى مَفْرِقِي
 فَقَدْ صَارَ كَالنَّاسِ لَوْناً كَذُوباً
 خَذُوا كُلَّ دِينَارِكُمْ وَاتْرَكُوا
 فَوَادِي حَرّاً وَحِيداً غَرِيباً
 فَإِنِّي أَضْخَمُكُمْ دَوْلَةً
 وَإِنْ خِلْتُمُونِي طَرِيداً سَلِيباً

مولد الرسول الأعظم ﷺ

قيلت في باكستان، وأذيعت من محطة
الإذاعة الباكستانية.

السَّمَوَاتُ شَيْقاتِ ظِمَاءٍ
والْفَضَاءُ والتَّجْوُمُ، والأَضواءُ

والهُدَى والأَملاكُ والوَحْيُ والتَّنْزِيلُ والمعْجَزاَتُ والأنْبياءُ والغُيُوثُ
السَّمْحاءُ والوَابلُ المَدْرارُ المَعْصِراتُ والأنْواءُ، كُلُّها لَوْعَةٌ إلى المَصْطَفَى
الْهَادِي وشَوْقٌ ونَشْوَةٌ وازْدِهااءُ تَنْظُرُ البُقْعَةُ الَّتِي تَسْطَعُ البُشْرَى عَلَيْها،
وَيَهْتَفُ البُشْراءُ، والنَّبِيُّ الكَرِيمُ يُولَدُ فِي بَيْتٍ فَقِيرٍ يَأْوِي بِهِ فُقَرَاءُ حَمْلُوهُ
طِفْلاً. كَمَا يُحْمَلُ الأَطْفالُ فِيهِمْ، وَيُحْضَنُ الأَبْنااءُ لَيْسَ يَدْرُونَ ما تَمَدَّدَ يَدُ
اللهِ إِلَيْهِمْ وما يُرِيدُ القَضاءُ.

(يَتِيم)

وعَجِيبٌ يُسَمَّى يَتِيماً وَيُدْعَى

وهو نَجْمٌ قَدْ أَنْجَبَتْهُ السَّماءُ

صَنَعَتْهُ يَدُ الإِلهِ كَمَا تُصْنَعُ فِي الْبَحْرِ دُرَّةٌ عَصْماءُ

واصطفته لها فماذا عسى أن
 تَضَنَّعَ الأمهاتُ والآباءُ
 نفحته بروجها فإذا البید
 ضلوع تؤويه أو أحناء
 وإذا القفر، وهو جذب، رياض
 وإذا الأفق، وهو ليل، ضياء
 وإذا الغابة المَخيفَةُ أَمِنْ
 وإذا الأذُوبُ الحَبِيثَةُ شاء
 وإذا الكونُ بين عينيه سَفَر
 ناطقات في كنهه الأشياء
 عَلِمْتَ ذلكَ اليتيم، فما العلم
 ... وما حكمه، وما الحُكماء
 مَنْ رأى الحق سافراً لم تُعْذِ تُجدي
 ... لديه الدَّعوى ولا الأدعياء

وَذُكَاةٌ تَسِيرُ فِي الْكَوْنِ لَا يَهْدِي سَرَاهَا عِلْمٌ وَلَا عِلْمَاءُ
إِنَّمَا يَطْلُبُ الْأَدْلَاءُ مَنْ تَطْغَى عَلَيْهِ جَهَالَةُ جَهْلَاءِ

(حراء)

مَنْ لِقَلْبِ الظَّمَانِ مِنْ وَقْدِ صَحْرَاءِ تَلْظَتِ مِنْ حَرِّهَا الْأَفْيَاءِ
 مَنْ لِأَخْلَاقِ الْقَبِيلَةِ فِي شَعْبٍ غَرِيقٍ فِي إِثْمِهِ النَّبْلَاءِ
 مَنْ لِأَمَالِهِ الْكِبَارِ. وَمَا بَيْنَ شِعَابِ الْبَطْحَاءِ إِلَّا الْهَبَاءِ
 مَنْ لِأَهْدَافِهِ. وَلَيْسَ وَرَاءَ الْبَيْتِ إِلَّا الصَّحْرَاءُ وَالظُّلْمَاءُ
 مَنْ لِإِيْمَانِهِ. وَقَدْ مَلَأَ الْكَعْبَةَ كُفْرًا حَرَّاسُهَا الْأَغْيَاءُ
 تَرَكُوا بَيْتَ اللَّهِ يَحْتَلُّهُ الْأَعْدَاءُ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالشُّرَكَاءُ
 يَفْشَعُونَ التَّنْسِيحَ فِي حَرَامِ اللَّهِ. إِذَا هَمَّ هَمَّتْ بِهِ الْخُنْفَاءُ
 مَنْ لِأَفْكَارِهِ. وَآلِهُ الشَّعْبِ الْمَرْجَى حَجَارَةٌ صَمَاءُ
 مَنْ لِتَشْرِيعِهِ الرَّحِيمِ. وَدِينِ الْقَوْمِ فِيهِمْ تَنَاحُزٌ وَدُمَاءُ
 لَيْسَ إِلَّا الْفِرَارُ بِالْخَلْقِ الطَّاهِرِ وَالْإِعْتَصَامُ وَالْإِحْتِمَاءُ
 لَيْسَ إِلَّا الْوُلُوءُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَإِلَّا الْمَلَاذُ وَالْإِلْتِجَاءُ
 لَيْسَ إِلَّا السَّمَاءُ لِلْمَلِكِ الْإِنْسَانِ. تَوْوِي فَوَادِهِ أَوْ حِرَاءِ
 رَانَتْحَى الْمُصْطَفَى إِلَى الْجَبَلِ الصَّامِتِ حَيْثُ الْقُدْسِيَّةُ الشَّمَاءُ

حيث لا شاغلُ هناك عن الله. ولا ضجّة، ولا ضوضاء
حيثُ يطوى في ذلك الصمت ما في الكون إلا الحقيقة العليا
حيث لا نبأة سوى همس جبريل. ولا مُنبىء ولا أنباء
وهب الله ظلمة الغارِ نوراً منه تُمحي في ضوئه الأضواء
لم تدق مثله الشمس. ولم تحلم بلألائه النجوم الوضاء
جمع الله فيه روح السموات، فأجرامهنّ منها خلاء
وارتوى الغار منه، والعرش والكرسي والكعبة الحرام ظماء
جبلٌ في مجاهلِ البیدِ قزم

ليس تدري بظله البیداء
رفعت رأسه على كلّ طوید
عزة عبقريّة قعساء

فحوى ما حوث جوانح جبريل. وما أكرمت به سيناء
فَجَرَ الله في حراء ينابيع الهدى، وهو صخرة صماء
فكأنّ الغارَ البليغ فَمُ الأقدار. منه الإفضاء والإيحاء
وكأنّ النبي فيه لسانُ الكون. يخكي عن روجه ما تشاء

(إشراق النبوة)

وانطوى المصطفى وحيداً، فقد قصر عنه الخِلان والتدماء
وهو نجم، ما أنجبت مثله الأرض، ولا آدم ولا حواء
وتسامت به الخلافة لله. فهانت في عزمه الأقوياء
الثرى كله له. والمحيطات به والرياح والأجواء
وبنو آدم بنوه سواء فيهم الأولياء والأعداء
نَبَضَتْ في طموحه قوة الله، فخف الثرى وهان الفضاء
وتدانى البعيد، وانفرج الهم، وذلت عقابه الكأداء
وانبرى ضارعاً إلى الله يرجو أن يتم المني به والرجاء
عاكفاً في جِراء، لا العيش يُصيبه ولا صخبه ولا العُشراء
ملاً الله قلبه، فالورى لَغُو سراب، والعالمون هباء
فإذا جبرائيل يبدو كما تبدو الأمانى، ويُستجاب الدعاء
حاملاً ما تنوء عن حمله شمس الضحى والكواكب الزهراء
كلمات الإله... فيها من الله بقاء وقوة ومضاء

وبآياتها النظام الذي قامت به الأرض واستنارت ذكاء
وبها روح الخلق يُصنع فيها كل مجدٍ، ويخلق العظماء
تلمس القبر لمسة فإذا الميت حيّ تصبو له الأحياء
هي بعث الأرواح من قبل يوم البعث وهي الحياة والأحياء
لو وعاما جِراء لاندك أو ذاب وذابت من حوله الصحراء
ليس إلا فؤاد أحمد يؤويها، وإلا الملائك الأصفاء
عَظُهُ جِبْرَائِيلُ فارتاع لما ظن أن الذي به إغماء
إنها صدمة يربى بها قلبُ نبيٍّ ومحنةٌ وابتلاء
شرفٌ لا تناله لذّة عمياء، ولا راحةٌ ولا نعماء
ليست المُلْكُ تُستعار الأكاذيب له والطبول والأسماء
ليست العرسُ تُستجاذ الأزهير له والشموع والتدما
إنها محنة الورى وقضايا الكون والمعضلات والأعباء
حَمَلَتْهَا ضلوعُ جبريل ساعاتٍ فناءت ومستها الإعياء
واحتواها قلبُ النبيّ، فما ضجّ ولا نال من قواه العناء

(صوت الله)

قيل: إقرأ وحي السماء، وهذا جبرائيل وهذه الأسماء
 إنَّكَ المصطفى الذي اختاره الله لتُجلى بوجهه الظلماء
 قم، فهذا الظلام قد ضجَّ من دعرٍ، وضجت أرجاؤه العمياء
 قم، فإنَّ الدنيا وراءك تدعوك لها، والشقاء والأشقياء
 قم، فإنَّ الأصنامَ تحتلُّ بيتَ الله والمشركون والشركاء
 ضجت الأرض والسماء، فما استيقظ عقل ولا صحا عُقلاء
 أو شكَّت هذه الكواكب تنقضُ جحيماً، أو يعترىها إنطفاء
 جمعت ضوءها فكان فؤاداً لك قدّاً بنوره يُستضاء
 ستلاقي الأذى من الناس والبلوى وتصميك منهم الأرزاء
 فاصطبر إنما النبوة صبرٌ واحتمال وحرقة واصطلاء
 سوف يعطونك الجزيل وما همُ أصدقاء ولا همُ أسخياء
 إنَّ هذي الدنيا أمامك فاحذر
 سمها فهي حية رقطاء

لَا تَبِغْ سُوْدَدَ السَّمَاءِ فَمَا فِي
 مَنَاطِقِ الرِّيحِ أَنْ تُبَاعَ السَّمَاءُ
 أَنْتَ لِلدَّهْرِ وَالْخُلُودِ،
 فَمَا الْعَمْرُ وَمَا التَّضَحِيَّاتُ وَالْإِفْتِدَاءُ
 أَنْتَ لِلخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَلَا تَأْسُ إِذَا فَاتَ حَظُّكَ الْأَقْرَبَاءُ
 فِي يَدَيْكَ النُّجُومُ زُهْرًا، فَمَا الصَّفَرَاءُ إِنْ حَزَنَتْهَا وَمَا الْبَيْضَاءُ
 إِنْ تَسِمَ كُلُّمَا رَأَيْتَ عُثُوًّا
 مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ أَغْيَاءُ
 بَيْنَ أَلْبَابِهِمْ وَبَيْنَ السَّمَوَاتِ مَدَى لَا يَحْدَهُ الْإِنْتِهَاءُ
 فَاخْتَمِلْ مِنْهُمْ الْأَذَى وَتَلَطَّفْ
 أَنْتَ طِبُّ الْجَهْلِ لِهِمْ وَشِفَاءُ
 أَنْتَ كَنْزُ السَّمَاءِ وَأَنْتَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا وَالرَّمْزُ وَالْإِيمَاءُ
 أَنْتَ مَا يَحْلُمُ الْفَلَاسِفَةُ الْأَفْذَاذُ فِيهِ وَيَعشُقُ الْحُكَمَاءُ
 كُلُّ نَفْسٍ لَهَا إِلَيْكَ اشْتِيَاقُ
 كُلُّ فَضْلٍ لَهُ إِلَيْكَ انْتِمَاءُ
 رَانِذَرِ فَالْشَّرُّ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ وَعَلَّ الظَّلَامُ وَالْأَرْجَاءُ
 رَاسْتَلَمَ مَوَكِبَ الْخَلِيقَةِ، أَنْتَ التَّجَمُّ فِي لَيْلِهَا، وَأَنْتَ اللَّوَاءُ

القسم الأول

ننشر في هذا القسم مختارات من المراحل
الأولى لشعر صاحب الديوان.
وقد آثرنا أن نثبت بعض نماذج من قصائده
على علائها وهي تصوّر بعض ملامح من
المستوى الفني والفكري للشاعر وللجيل
الناشئ الذي كان يعيش فيه يومئذ.

في سبيل فلسطين

«أُذِيعَتْ من إذاعة (برلين) للإذاعة العربية، في أوائل
الحرب العالمية الثانية، تعليقاً على اجتماع الدول العربية
في لندن وعلى الكتاب الأبيض الذي أصدره الإنجليز
عن قضية فلسطين».

مراجِلُ في أثيرِ الشَّعْرِ تَضَطَّرُمُ
وصيْحَةُ في سَمَاءِ الحَقِّ تَحْتَدُمُ
وضَجَّةُ في صِمَاخِ الدَّهْرِ صَاخِبَةُ
لَهَا بِكُلِّ بِلَادٍ مَسْمَعٌ وَفُمُ
نَزَعَتْهَا عَنْ شُؤُونِ مَلُوْهَا عِبَرُ
وَصُغْتُهَا، عَنْ ضَمِيرِ مَلُوْهُ أَلَمُ
وَلِلْفُؤَادِ أَحَاسِيْسٍ إِذَا نَبَضَتْ
جَاشَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَانْجَابَتْ بِهَا الظُّلَمُ
مَا لِلْحَقَائِقِ أَضَحَّتْ لَا تُلَاخِظُهَا
عَيْنٌ وَلَا يَأْتَلِي عَنْ سَبْقِهَا الْوَهْمُ

ما للدماء التي تجري بساحتنا
 هانت، فما قام في إنصافنا حكم
 ما للظلم الذي اشتدت ضراوته
 في ظلمنا، نتلقاه فنبتسم
 نرى مخالبه من جرح أمنا
 تدمي، ونسعى إليه اليوم نختصم

يا قادة العرب والإسلام قاطبة
 قوموا فقد طال بعد الصبح نومكم
 شيدوا لنا في سموات العلى حرماً
 نطوف حول ثرياه ونستلیم
 متى يرى الإنكليزيون ذمتنا
 كذمة، حَقها تُرعى وتُحترم
 حتى متى نُشتكي منهم ونسألهم
 رَفَع العذاب، فما رَقوا ولا رَجَموا

هُمْ يُدْرِكُونَ بَأْتَا خَاضِعُونَ لَهُمْ
 مِنْ ذُلِّنَا، رَغِمَ مَا جَارُوا وَمَا ظَلَمُوا
 لَا نُسْتَجِئُ حَيَاةَ غَيْرِ مَا وَهَبُوا
 وَلَا نَنَالُ حَقَّوَقًا دُونَ مَا حَكَمُوا
 لَهُمْ عَلَيْنَا قَوَانِينَ، وَلَيْسَ لَنَا
 إِلَّا الرِّضْوَخُ لِمَا قَالُوا وَمَا التَّزَمُوا
 يَا لِلضَّلَالِ، وَلِلْأَوْهَامِ إِذْ هَدَمْتَ
 مِنْ الْعُقُولِ بِنَاءَ لَيْسَ يَنْهَدُم
 أَتَى يُضَيِّعُ حَقَّ دُونَهُ أُمَمَ
 أَبِيَّةَ، دِينَهَا الْإِقْدَامُ وَالشَّمَمُ
 وَكَيْفَ نَخْشَى الرَّدَى وَالْمَوْتَ شَيْمَتُنَا
 وَنَحْنُ قَوْمٌ عَلَى الْآجَالِ نَزْدَجِمُ
 إِذَا تَنَاسَى الْأَعَادِي هَوْلَ نَجْدَتِنَا
 جِئْنَاهُمْ بِقُلُوبٍ مَلُؤَهَا نِقَمُ
 وَلِلْعُرْوَةِ أَهْدَافٌ مَقْدَسَةٌ
 تَقْضِي السَّمَاءَ بِهَا وَاللَّوْحَ وَالْقَلَمَ

وَوَثْبَةً حُرَّةً عَلَيَا تَوَيْدَهَا
 مَشِيئَةُ اللَّهِ وَالْأَقْدَارِ وَالْقِسْمِ
 وَأَنْفُسٍ إِنْ تَزِدْ هَمًّا تَزِدْ هِمًّا
 وَإِنْ تَذُقِ الْمَاءَ، يَنْهَضُ بِهَا الْأَلَمُ

فِيَا بَرِيطَانِيَا عَوْدِي بِمُخَمَّصَةٍ
 إِنَّ الْعَرُوبَةَ لَا شَاءَ وَلَا نَعَمَ
 إِنَّ الْعَرُوبَةَ جِسْمٌ إِنْ يَتْنُ بِهِ
 عَضُوٌّ تَدَاعَتْ لَهُ الْأَعْضَاءُ تَنْتَقِمُ
 إِنْ يُضْطَهَذُ بَعْضُهُ فَالْكَلَّ مُضْطَهَذٌ
 أَوْ يُهْتَضَمُ جُزْؤُهُ فَالْكَلَّ مُهْتَضَمٌ
 أَتُخْرِجُونَ كَمَاةَ الْعُرْبِ وَيَحْكُمُ
 مِنْ أَرْضِهِمْ وَهُمْ الْأَبْطَالُ وَالْبَهْمُ
 أَتَشْتَرُونَهُمْ أَتُنْتُمْ وَهُمْ نَفَرٌ
 بَاعُوا نَفُوسَهُمْ لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا

كُنْ مِنْ دِمٍ قَدْ سَفَكْتُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ
 فَمَا اسْتَهَانُوا وَلَا ذَلُّوا وَلَا نَدِمُوا
 وَتَخَطُّبُونَ عَلَى هَذَا صِدَاقَتِهِمْ
 حَتَّى كَأَنَّ لَيْسَ فِيهِمْ عَاقِلٌ فَهِمْ
 هَلْ مِنْ صِدَاقَتِكُمْ لِلْعُرْبِ أَتُكُّمُ
 تُمَزَّقُونَ بِمَخْضِ الْغَدْرِ عَهْدَهُمْ
 هَلْ مِنْ حِفَاوَتِكُمْ بِالْعُرْبِ أَتُكُّمُ
 تُسْتَغْذِبُونَ بِلَا ذَنْبٍ عَذَابَهُمْ؟
 هَئِهَاتَ ضَلَّتْ عَقُولُ تَبْتَغِي مِقَّةَ
 مِنْكُمْ، وَقَدْ جَرَّعَتْهَا الْمَوْتُ كَفَكُمُ
 إِنَّ الْكِتَابَ جُدَّتُمْ بِهِ ثَمَنًا
 لِأَرْضِهِمْ لَيْسَ يَكْفِيهِمْ إِذَا اقْتَسَمُوا
 لَمْ يَخْسِبُوهُ سِوَى أَكْفَانِ عِزَّتِهِمْ
 نَسَجْتُمُوهُ لَهُمْ ظُلْمًا وَإِنْ رَغِمُوا
 إِنَّ الدَّمَاءَ الَّتِي سَالَتْ بِمُدِّيَتِكُمْ
 لَمْ يَشْفِهَا مِنْكُمْ الْقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ

زخارف من خداع الوعد خاوية
 ما نال فيها المُنَى إلا انتدابكم
 وكيف نرجو انتصافاً في محاكمة
 وقد تمالأ فيها الخصم والحكم
 أين العدالة يا أعداء مبدئها
 منكم إذا كان غمط الحق دابكم
 إن الخداع الذي دانت سياستكم
 به لأعظم ما تَشَقَّى به الأمم
 ظَلَمْتُمُ الْعَرَبَ - للصهيون - ونحكم
 أين الدهاء وأين العدل؟ والشِّيمُ
 أضحى اليهود صليباً تعبدونهم
 دون الصليب وإن كانوا العبيد هم
 فلا برِخْتُم عبيداً لليهود ولا
 زالت سياستكم بالذل تنهدم

تحية إلى السيد رضا الشبيبي

كان السيد رضا الشبيبي وزير
معارف العراق الأسبق قد أهدى إلى
كلية دار العلوم بالقاهرة ديوانه الشهير
فاقترحت هيئة الدار على شعرائها من
الطلبة المشتركين في أسرة الشعر أن
يقدموا إليها ما تجود به قرائحهم حول
هذه الهدية الأدبية.

وكنْتُ إذ ذاك طالباً في هذه الدار
فأدليت بدلوي في الدلاء وكتبْتُ هذه
القصيدة عام ١٩٤٠ .

نُعْجِزُ أَنْ تُهْدِيَ لَنَا الْمَعْجَزَاتِ

وهي من نفحة السماء هبات
نحّة العقل للعقول، وما أعظمَ ما تنفع العقول الصّلاتُ
يت شعري ما ضمّه ذلك السّفَرُ، أشعر أم غرّد غانيات
تلاعن بالّعقول، فأما
صَرَخَةٌ تَسْتَفِزُّ أَوْ نَعَمَاتِ
تَنْزِي، مِنَ الْحِمَاسِ سَعِيرًا

وهي في أينِ التُّهَى جَنَّاتِ

راميات بأسهم العقل، والفن، وللشعر أسهم قاتلات
 قاتلات، كما يلقنها الله، والله في الحجى كلمات
 جُدت يا بن الفرات، بالسائغ العذب، وللنحل من أبيه صفات
 فاض في مصر من نبوغك بحر

فالتقى النيلُ عنده والفرات
 وكأنَّ العراق زُفَّ إلى مصرَ وفيه من الجلالِ سِمات
 خَلَّدَ اللهُ فيك، يا واهب الشعر شعوراً، تفيض منه الحياة
 قد تحملت في ضميرك شعباً

وَمَمَّتْهُ عَنْكَ الْقَوَافِي الحِماة
 تَتَحَدَّى العِدا، بقلب كمي

أَنْجَبَتْهُ كَمَا تَشَاءُ الكُماة
 ودعا للكيفاح، والموت والتبيل، وللموت في الأنام دعا
 أفرغت في يراعه صبورُ النفس، فجاءت، وكلها رائعات
 وانبرى، يسحر العقول كما يهوى، وتهوى فنونه الساحرات
 وإذا بالعراق يبرز في الشعر، وتبْدُ أفاقه المُشْرِقات

وإذا بَعْدَادَ بِهِ آيُ فَنُ
 عبقري، وقادة، ودهاة
 وإذا الشَّعْر شامخ، تتراءى
 في تفاعيله الذنا الشامخات
 صَفَّقِي يا عروبة النِّيل، هذا
 موكب، صَفَّقْتَ له الحادثات
 واطمئني، على العروبة، إذ هَبَّتْ وهَبَتْ أداؤها العاصفات
 واعلمي، إنما العروبةُ نازِ
 أَجَجَتْهَا آمالها الثائرات
 واشمخري (دار العلوم فقد أهديت شعباً تضمه صفحات
 مصر أختُ العراق في وحدة الآمال، والنَّيل والفرات لدات
 وبنو يعرب وأن قَدَمَ العهدُ ففِيهِمْ مطامِحُ خالداات
 وإذا ما عَفَّتْ معالمُ قوم
 فلهم من نُبوغهم ذِكْرِيات

يا قلوباً، توهّجت بسناها
 أمم وأنجلت بها معضلات
 مشرقُ النور، لا كما يزعم
 الغرب، ولا ما تقوله الجهلات
 إرجعي ذلك الضياء إلى الأرض
 فقد أطبقت بها الظلمات
 وأعيدي إلى الورى ذلك
 النهج، فقد رَوَعَتْهُمْ العثرات

جماعة الطلبة العرب

أُلقيت في حفل من الطلاب العرب
بالقناطر الخيرية سنة ١٩٤٠ منوّهة
ومبشرة بتأسيس جماعة الطلبة العرب.

بُشْرَاكَ يَا قَلَمِي، فَهَذَا مَنْهَلٌ
صَافٍ وَأَنْتِ كَمَا عَلِمْتُكَ صَادِي
هَذِي الْعَرُوبَةُ تَلْتَقِي فَتَلَقَّهَا
بِتَحِيَّةِ الْأَحْبَابِ فِي الْأَعْيَادِ
وَأَعْرَضَ بَنَاتُ الشَّعْرِ فِي أَبْرَادِهَا
أَوْ فَاغْفِرْهَا مِنْ سُذْفَةِ الْأَبْرَادِ
وَاخْلَعْ عَلَيْهَا مِنْ سَنَاكَ أَشْعَةً
تَنْسَابُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
وَاسْتَنْهَضِ الْأُمَالَ تَبِينَ عُرُوشِهَا
لِلْمَجْدِ، مِنْ شَيَانِهَا الْآسَادِ

جَمَعَ سَتَغْمَرَهُ الْقُلُوبُ بِوَحِيهَا
 فَيَظْلُ أَوْجَ هُدًى وَفِيضَ رِشَادٍ
 وَسَيَجْتَنِي التَّارِيخُ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
 زَمَرًا مِنَ الْأَبْطَالِ، وَالْأَمْجَادِ
 نَسَجَتْهُ أَحْلَامُ الشَّبَابِ تَفَاوُلًا
 فَإِذَا التَّفَاوُلُ صَادَقَ الْمِيعَادَ
 وَإِذَا الشَّبَابَ يَتِيَهُ مِنْ إِيْمَانِهِ
 تِيَهُ الْمَدَلَّ بِشُرُوءِ الْأَجْدَادِ
 أَهْلًا بِرُوحِكَ يَا وِثَامَ، وَمَرْحَبًا
 بِكَ يَا غُرُوبَةَ، كُلَّنَا لَكَ فَادِي
 سُنْعِدْ أَفئِدَةً لِحَبِّكَ تَرْضِي
 مِثْوَالِكَ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْأَكْبَادِ
 وَنَسْجِلُ الْإِخْلَاصَ فِيمَا نَرْتَأِي
 أَوْ مَا يَقُولُ مُنَاصِحٌ وَمُنَادِي

طَالَ الْفِرَاقُ، وَطَالَ مِنْهُ شَقَاؤُنَا
 فِي حَمَاةِ الْأَضْغَانِ، وَالْأَحْقَادِ
 وَتَنَاسَتْ الدُّنْيَا زَوَائِعَ مَجْدِنَا
 فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ وَالْآبَادِ
 إِنَّ لَمْ نَزِدْ فِيهِ طَرِيفاً مُعْجَباً
 فَلَقَدْ أَضْغْنَا مِنْهُ كُلَّ بِلَادِ
 عَشْنَا كَمَا شَاءَ الْعَدُوَّ مَعَاشِنَا
 وَكَمَا أَرَادَ فَكَانَ شَرٌّ مُرَادِ
 عَدَدٌ عَدِيدٌ غَيْرَ أَنَّ أُلُوفَنَا
 لَا تَرْتَقِي عَنْ رُتْبَةِ الْآحَادِ
 وَتَكَادُ تَأْبَى الْعَدَّ لَوْ رُمْنَا لَهَا
 جَمْعاً، كَشَانِ الْجَمْعِ فِي الْأَعْدَادِ
 نُمْنَا وَلَمْ نَفْزَعْ لِأَهْوَالِ الرُّؤْيِ
 وَالْحَادِثَاتِ زَوَائِحَ وَغَوَادِي

وَطِئْتُ مَضَاجِعَنَا الْخَطُوبُ فَلَمْ يُثِرْ
 طَغْيَانَهَا إِلَّا حَرَكَ رُقَادَ
 تَتَزَلَّزَلُ الدُّنْيَا، وَيُقَسِّمُ شَلُوهَا
 نَهْباً وَلَمْ نَطْمَخْ لِبُلْعَةِ زَادِ
 وَمَتَى يَنَالُ الْغَنَمُ مَنْ هُوَ عُرْضَةٌ
 لِلسَّلْبِ مُنْتَظَرٌ يَدَ الْجَلَادِ
 وَنَذِلَ لِلْغَرْبِ الْعَوِيِّ بِعَلَمِهِ
 حَتَّى وَلَوْ أَضْحَى دَفِينِ رِمَادِ
 شَقِيتَ حِضَارَتُهُ، وَأَصْبَحَ أَمْرُهُ
 مَا بَيْنَ نَارٍ وَغَى، وَوَهْمِ حَيَادِ
 وَإِذَا تَنَكَّبَتِ الشُّعُوبُ عَنِ الْهُدَى
 فَالْعَقْلُ خَطْبٌ وَالْعِلْمُ عَوَادِي
 فَلنَرْتَقِبْ لِلْحَرْبِ قَبْلَ قَرَارِهَا
 فِينَا وَقَبْلَ تَضَامِنِ الْأَضْدَادِ

إِنَّ التِّيَقَّظَ لَيْسَ يُجَدِّي أَهْلَهُ
 بَعْدَ التَّوَرِّطِ فِي يَدِ الصِّيَادِ
 وَأَقْلُ جُهْدٍ مِنْ سُلَالَةٍ يَعْزُبُ
 أَنْ يَشْرَحُوا لِلنَّاسِ مَعْنَى الضَّادِ
 وَلَيَبْرُزَ الْحِلْفُ الْمُقَدَّسُ^(١) مَائِلًا
 لِلْعَصْرِ، لَا ذَخْرًا لِيَوْمٍ مَعَادِ
 رَأَيْتُ مَخَايِلَهُ فَلَمَّا إِنَّ دَنْتَ
 حَسَرْتُ لَنَا عَنْ خَلْبِ مِرْعَادِ
 لَقَدْ اكَتَفَوْا مِنْهُ بِعَهْدِ يِرَاعَةِ
 وَوَلَاءِ قَرْطَاسٍ وَحَلْفِ مَدَادِ
 لَا يَنْفَعُ الْجُرْحَ الْخَطِيرَ سِتَارَهُ
 مَا دَامَ ذَاكَ السَّتْرُ فَوْقَ فِسَادِ

(١) هو الحلف العربي، الذي انعقد في بغداد في ٢٤ إبريل سنة ١٩٣٦ بين السعودية والعراق، ووخيت به البلاد العربية وانضمت إليه اليمن في مارس ١٩٣٧، ولكنه ظل وهماً في عداد الأوهام كغيره.

إِنَّ الضَّمَادَ عَلَى فسادٍ جَرَّاجِنَا
 أَنْكَى لَنَا مِنْ خَنْجَرِ الْجَلَادِ
 أَوْلَمْ يَرُوا أَنَّا نَحَاوُلُ وَخْدَةً
 عَرَبِيَّةً عَلِيَاءَ ذَاتَ عِمَادِ
 لَنْ يَنْجَحَ الزَّعَمَاءُ فِي تَأْلِيفِهَا
 حَتَّى تُؤَيِّدَهُمْ يَدُ الْأَفْرَادِ
 وَيَسَاهِمُ الْأَدَبُ الرَفِيعُ فَإِنَّهُ
 نِعْمَ الْمَنَارُ لَنَا وَنِعْمَ الْهَادِي
 فَإِذَا صَبَبْنَا فِيهِ فَيُضِ قُلُوبُنَا
 جَاءَتْ مَغَارِسُهُ بِخَيْرِ حِصَادِ
 وَإِذَا صَدَقْنَا الْحَقَّ فِي أَثْنَائِهِ
 سَهَّلَتْ طَرَائِقُهُ عَلَى الرُّؤَادِ

وَلَكُمْ نَرَى أَدَبَ الشَّبَابِ مُدَاجِيَاً
 يَبْدُو عَلَى خَوْفٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ

فمقالةٌ مذعورةٌ وقصيدةٌ
 مُضغرةٌ الأوزانِ والأوتادِ
 ومسبحٌ بالظلمِ يغبد ظالماً
 فيُعَدّ في التُّسَاكِ والعُبَادِ
 ومُشَيَّبٌ يهوى ويخدعه الهوى
 والدَّهْرُ يَنْسُجُ منه يومَ حدادِ
 ومُغَالِطٌ يُغْضِي لِمَقْتَلِ أمةٍ
 ويقولُ فيها: أُمّتي وبلادي
 لُغَةٌ تَنِمُّ عن السجونِ كأنما
 نَفَحَتْ من الأغلالِ والأصفادِ
 حلّوا القيودَ عن الضميرِ فلم يكنِ
 مَثْوًى الضميرِ الحيّ في الأقيادِ
 ولَقَدْ نَزَعْتُ من الضميرِ قصيدةً
 هي صوتُ إيماني، وصكُّ جهادي

لو يصبغُ الإنشادُ لونَ خديعةٍ

لأنفتُ عن نغمي وعن إنشادي

لو خالطَ الأنفاسُ شوبَ تملقٍ

لحبستُ أنفاسي عن التزادِ

تسعى القوافي لي فلا أحنى لها

قلما إذا جاءت بدونِ مُرادٍ

وأكادُ أرفضها إذا لم تكن

نزلتُ إليَّ على رويِّ فؤادي

أين الغد؟

أَيْهَا الْبَطْرَفُ الْمُسَهَّدُ
 نَمَّ فَإِنَّ اللَّيْلَ سَرَمَدُ
 وَيَحْ قَلْبِي مَا لَهُ إِنْ
 هَجَعَ النَّاسُ تَوَقَّدُ
 طَالَ هَذَا اللَّيْلُ حَتَّى
 ضَجَّ مِنْهُ كُلُّ مَرَقْدُ
 بَتْ وَالْعَالَمُ غَافٍ
 أَسْأَلُ الْأَقْلَاكَ عَنْ عَدُ
 شَبَبْتُ وَابْيَضُّ عَذَارِي
 وَالْفُضَا مَا زَالَ أَسْوَدُ
 كَمْ أُرَاعِي الصَّبْحَ، وَالصَّبْحُ وَرَاءَ الْكُونِ مُقَعَّدُ
 كَمْ أُنَادِي الْفَجْرَ وَالْفَجْرُ بَطِيءُ الْخَطْوِ أَبْلَدُ
 يَتَمَشَّى بَيْنَ أَذْيَالِ الدَّجَى مَشْيَ الْمُقَيَّدِ
 مَنْ لِرُوحٍ يَتَلَبَّظِي
 مَنْ لِقَلْبٍ يَتَوَقَّدُ

مَنْ لَصَبَ كَادَ يُدْمَى
 صدره لما تنهد
 مَنْ لَأْكْبَادٍ أراها
 بَيْنَ أَنْفَاسِي تُبَدَّدُ
 أَتَنَزَّى مِنْ شَكَايَاتِي، وَوَجْدِي، عِنْدَ جَلْمِدِ
 أَرْسَلُ الزُّفْرَةَ مِنْ صَدْرِي. فَتَخْتَارُ وَتَرْتَدِ
 إِنَّهَا سَهْمٌ مِنْ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ يُسَدُّ
 أَدْمُعِي تَغْلِي كَأَنَّ الْجَفْنَ قِدْرٌ يَتَوَقَّدُ
 مُهَجَّتِي تَفْنِي وَتَبْلَى
 وَغَرَامِي يتجدد

طاقة تياهة

أقلعي يا سماء عن الوحي ، حسب الأرض ما في آبي وفي بيناتي
في فؤادي ما في رحابك من طهرٍ ووحىٍ وأنجمٍ نيرات
أنا آليت أن أحطّم رأسي
بيدي... إن لم يأت بالمعجزات

في عنفوان النشوة الفتية

لقد جئتُ بالشعرِ الذي أنا شاعرهُ
وأوله في العالمين، وآخره
فمن شاء أن يمشي معي فسأنتضي
جناحي له يسمو به ويُؤازره
فإن برَّ بي فالجو عرشي وعرشه
وإن حاذَ عني، فالفضاء مقابره

إبر النحل

الدرّ في نوره الوهاج والحجر
 سيّان إن حُكِمَتْ في تَقْدِهِ البقرُ
 وما يضرّ القوافي حينَ تُنْشِدها
 أنْ ليسَ ترقصَ من أَلحانِها الحمُرُ
 وكيف يُهْدَى بشعرٍ أو بقافيةٍ
 مَنْ ليسَ يَهْدِيهِ لا سَمْعٌ ولا بَصَرُ
 يا مَنْ يَضِيقُ من الأقدارِ، مُتَ كمداً
 فليسَ يَشْفِيكَ لا سُخْفٌ لا هَذَرُ
 نَ كنتَ تطلبُ من أقلامنا إبراً
 يُهْدِي إِلَيْكَ، فهذا الوخزُ والإبرُ
 كالنحلِ، في فَمِها عسلُ تجودُ بهِ
 وسُمَمُها من وراءِ الشَّهْدِ مُدْخَرُ

نبات خائن

حصدتُ الشوكَ من شَجَرٍ
 غَرَسْتُ جذورَه بِيَدَي
 فأدْماني، وأَوْجَعَنِي
 وَمَزَّقَ وَخَزُهُ جَسَدِي
 لَقَدْ رَوَيْتَهُ ماءً
 فما سَوَاهِ مِنْ أَوْدٍ
 ولا حَقَّنَ الجميلُ دمي
 لديه، ولا حَمَى كَبِدِي
 أنا المسؤولُ عن المي
 بما ضَيَّعْتُ من رَشْدِي

مصرع الضمير

حينما قدمْتُ إلى اليمن من مصر حوالي عام ١٩٤١،
انهالت عليَّ نصائح الأصدقاء والأقرباء، بأن ألزم
الصمت، والخمول، وأغضَّ الطرف عن كل ما أراه من
شرور، وأعكف في عقر داري.. ولا أتحرَّك منه إلا إلى
«المقام الشريف» أو أنصار المقام الشريف وقيل لي: إذا
أردت أن تعيش سعيداً مع أهلك وأن تنال المرتب
والوظيفة فلا بد أن تتبع هذه التعاليم. أما إذا رفضت
هذه التعاليم فلا تنتظر غير بلايا ورزايا ومحنًا متلاحقة.
وقد حذروني أشد التحذير من أن أُلقي خطبة أو
محاضرة أو أجمع بأي فرد مستتير، وفي هذا الجو
المكفهر جاشت نفسي بهذه القصيدة:

مُتْ في ظلِّوعِكَ يا ضمير
واذقُنْ حياتَكَ في الصدور
إِيَّاكَ والإحساسَ فالدنيا العريضة للصخور
لا تطمئنْ إلى العدالة، فهي بُهتانٌ وزور
لا تُنسَبَنَّ إلى الثقافة. فهي داعيةُ الشبور
حَطَمَ دماغَكَ إِنَّهُ
شَرَّ برأسِكَ مستطير

مَزَّقْ فؤادك إِنَّهُ
يُؤْذِي الخليفةَ والأمير
لا تَنْطِقَنَّ الحَقَّ. فهو خرافةُ العصرِ الغرير
لا تنتصر للشَّعب. إِنَّ الشَّعبَ مخلوقٌ حقير
لا تَطْمَحَنَّ فلستَ أكثرَ في الحياةِ من الحمير
لن تَرْتَدِي غيرَ اللَّجام. وَلَنْ تذوقَ سِوَى الشعير
واحذرْ تصدِّقْ رؤيةَ العينين. أو تَبْضُصْ الشعور
فإذا نظرتَ دَجَى. فأعلنْ أَنه الصبحُ المنير
وإذا ترى الشيطانَ عريداً فَقُلْ ملكٌ طهور
فالتُّضْحُ من شَوْمِ الفضولِ... وَمِنْ أَضاليلِ الغرور

آه... لِمَصْرَعِ أُمَةٍ
دُفِنْتُ. وما بَرِحْتَ تسير!
كانت أسودَ الغابِ. وهي اليومَ دودٌ في القبور
لم تَسْتَرِخْ من رعبِ دَيْجورٍ. ولا مِنْ عِباءِ نير
يخشى التَّنَفُّسَ في هواه. والتَّحَرَّكَ وَشَطَّ نور
فخذوه في سجنِ البغاة. فَإِنَّهُ شَوْمٌ خطير

واعنوا به قبل اللصوص وقبل أرباب الفجور
أيقوم يُنهي النَّاسَ عند خليفة الله الكبير
إِنَّ الإمامَةَ عَضَمَةٌ

عُظْمَى تَجَلَّ عن التَّكِيرِ
والأمر بالمعروفِ كُفِّرَ بالمليك وبالوزيرِ
لا تتركوا قَلَمًا يُسْطَرُّ. أو دماغاً يستنير
لا تأمنوا العَقْلَ المُفَكِّرَ، فهو خَوَّانٌ كفور
لا تنشروا العرفان، إِلَّا في المبادئ والقشور
فالعلمُ يَكْتَشِفُ الزوايا والخبايا والسُّتور
ودَعُوا لنا شَعْبٌ نُحَنِّطُهُ بأوهامِ العُصور
ونُذِيقُهُ نومًا يَغِطُّ به إلى يومِ النُّشور

إلى الشهيد الموشكي

على أثر خلاصي من سجن (الأهنوم) واتجاهي إلى تعز بين عامي ٦١
و٦٢ هـ، كتب إليّ الشهيد الخالد السيد زيد بن علي الموشكي
قصيدة يحيني فيها، فأجبت به هذه القصيدة:

أَمْزَنَةُ الْخُلْدِ، أَمْ رَشَحَ الْعَنَاقِيدِ
أَمْ كَوَثَرَ مِنْ ثَنَايَا الْخُرْدِ الْخُودِ
أَمْ جَوْهَرَ مِنْ كُنُوزِ الْعَقْلِ مُخْتَلَفِ
لَمَاعُهُ بَيْنَ مَعْشُوقٍ، وَمَعْبُودِ
أَمْ نَفْحَةٌ مِنْ سَمَاءِ الْوَحْيِ مُنْزَلَةٌ
عَلَى يَرَاعٍ مِنْ الْإِلَهَامِ مَقْدُورِ
أَمْ عِقْدٌ دُرٌّ مِنْ الْأَفْكَارِ مُنْتَظَمٌ
سِيلَكًا إِلَى سُبُحَاتِ الْغَيْبِ مَمْدُودِ
تَعَانَقَتْ حَوْلَهُ الْأَلْفَاظُ وَاتَّسَقَتْ
كَأَنَّهَا زَرَدٌ مِنْ نَسِجِ دَاوُودِ

وأبَسَّثَهَا مَعَانٍ لَمْ تَكُنْ خُلِقَتْ
 إِلَّا لَهَا بِمَقَايِيسٍ وَتَحْدِيدٍ
 لَفْظُ تَوَلَّدَ مِنْ مَعْنَى، وَأَوْلَدَهُ
 كِلَاهُمَا وَالِدٌ يُغْزَى لِمَوْلُودٍ
 وَأُشْرَقَتْ فِيهِ أَفْكَارٌ، وَأُخِيلَةَ
 كُلُّ يَفِيزُ بِنُورٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ
 طَفِئَتْ أَلْمَحُ مِنْ أَبْيَاتِهِ عَجَباً
 كَأَنِّي نَاطِرٌ فِي صَرْحِ نَمْرُودٍ
 يَا بَنَ الْأَشَاوِسِ، أَهْلاً بِالنَّبُوغِ، فَقَدْ
 ظَفِرَتْ مِنْهُ بِوَرْدٍ غَيْرِ مَوْرُودٍ
 مَا زِلْتُ تَمْتَاخُ مِنْهُ كُلَّ رَائِعَةٍ
 وَتَسْتَقِلُّ بِإِبْدَاعٍ وَتَجْدِيدٍ
 لَقَدْ هُدَيْتَ سَبِيلاً طَالَمَا عَمِيتَ
 عَنْهَا قُلُوبٌ، أُصِيبَتْ بِالتَّقَالِيدِ

ظنوا البديعَ جمالَ الشعرِ، فاندفعوا
إليه، من كلِّ الغارِ، وتَعقيد
تفاخروا، وتباهوا أنهم سلكوا
جوفَ الشُّعَابِ، وآنافَ الصياخيد
كم بينَ مَنْ سارَ صباحاً في محجَّتِهِ
وبينَ خابِطٍ ليلٍ في أخاديد
وهكذا دفنوا التجديد في حُفَرِ
من البديعِ، كقبرٍ غيرٍ ملحودِ
هناك لو جئتها، أَلْقَيْتَ طَيِّتَهَا
كَمِ مِنْ نبوغٍ قَصرِ العمرِ موؤود
وليسَ يُجدي دفيناً، أَنَّ حُفَرَتَهُ
مُزدانةٌ طَفَحَتْ بالعطرِ، والعود

تبارك الله، هذا النبلُ مُلتَمَعٌ
على جبينك لَمَعَ الحُسنِ في الغِيدِ

تكاذُ تَطْمَعُ كَفِي فِي تَنَاوِلِهِ
نَهْيًا، كَمَا تَنْهَبُ الْأَلْمَاسَ مِنْ جِيدِ
أَقْرَرْتَ عَيْنِيكَ بِالْعُلَيَاءِ مَبْتَهَجًا
بِهَا، وَغَيْرِكَ فِي هَمٍّ، وَتَسْهِيدِ
لِذَاكَ نَلِّقَاكَ طَوَلَ الدَّهْرِ مَبْتَسِمًا
كَأَنَّ ثَغْرَكَ مَشْتَقٌّ مِنَ الْعِيدِ
كَأَنَّ مِقْوَلَكَ الْحَلَابَ كَاهُنُهُ
مِفْتَاحُ غَيْبٍ عَنِ الْأَفْهَامِ مَوْصُودِ
كَأَنَّمَا هُوَ يَنْبُوْعٌ يَفِيضُ لَنَا
عَنْ عَالَمٍ غَيْرِ مُحَسَّوسٍ وَمَشْهُودِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ إِذْ تُصْغِي إِلَى قَلَمٍ
مُوسَى يَرَاقِبُ وَحْيَ اللَّهِ مِنْ عَوْدِ
وَصَفَتْ شِعْرِي، فَازْدَانَتْ غَلَائِلُهُ
وَكَأَنَّ يَخْجُلُ مِنْ أَذْيَالِهِ السَّوْدُ

وهكذا الفطرة العلياء إذا التمعت
يشع في صفحتها كل موجود
أشكو إليك زماناً ملؤه حنق
يغلي مصائب لم تُطفأ بتبريد
ما زال يُرهقني من لؤم فطنته
في كل يوم بتعذيب وتشريد
فما يقابلني إلا بمعركة
ولا يحدّثني إلا بتهديد
ولا أزال أرى ألوان محنته
معجل الشر ممطول المواعيد
أما سجيناً، عن الأكوان منقطعاً
أو تائه الكور من بيد إلى بيد
وهكذا، لم يزل دهري يطاردني
إلى الحجاز، إلى مصر إلى (ميدي)

يا قلبُ، لا تأسَ مما ذقته جزعاً
 فأَيُّ قلبٍ أبى غيرُ مكدودٍ؟
 عهدُ الشبابِ عناءٌ للضنين به
 لأنه عهدُ بنيانٍ، وتشديد
 يلهو به كل من في نفسه سَفَهٌ
 مِنْهُ، وينصبُ فيه كل مجدودٍ
 وللشبابِ فؤادٌ لا يزالُ به
 يَهيمُ بالمجدِ أو يصبو إلى الغيدِ
 لا تأسَ حين ترى الشبانَ في ولهِ
 بالكأسِ والطَّاسِ، والأوتارِ، والعودِ
 قد ضلَّ واللَّهِ مَنْ كَانَتْ شَبِيبَتُهُ
 طينفأً من اللّهُ في أجفانِ عرَبِيدِ

الخروج من اليمن... السجن الكبير

أول قصيدة بعد هجرتنا إلى عدن.

خرجنا من السجنِ شَمَّ الأنوفِ
 كما تخرجُ الأسدُ من غايها
 نمرَ على شَفَرَاتِ السيوفِ
 ونأتي المنيَّةَ من باها
 ونأبى الحياةَ إذا دُئِسَتْ
 بعَسْفِ الطَّغاةِ وإرهاها
 ونَحْتَقِرُ الحادِثاتِ الكبارِ
 إذا اعترضَتْنا بأتعابها
 ونعلمُ أن القضا واقِعُ
 وأنَّ الأمورَ بأسبابها
 ستُغْلَمُ أمتنا أتنا
 ركبنا الخطوبَ حناناً بها
 فإن نحنُ قُزْنَا فيا طالما
 تَذِلُّ الصَّعَابُ لطلابها

وإِنْ نَلَقَ حَتَفًا فِيا حَبْدًا
الْمَنَايا تَجِيءُ لِحَطَايَا

أَنفَنَّا الإِقَامَةَ فِي عُضْبَةٍ
تُدَاسُ بِأَقْدَامِ أَرِيَا
وَسِرْنَا لِنُفْلِتَ مِنْ خِزْيِهَا
كِرَامًا وَنَخْلُصَ مِنْ عَايَا
وَكَمْ حَيَّةٍ تَنْطَوِي حَوْلَنَا
فَنَنْسَلُ مِنْ بَيْنِ أُنْيَايَا
وَيَا رَبِّ مَمْلَكَةٍ كُنْتُ قَدْ
لَهَوْتُ بِهَا وَبِأَصْحَابِهَا^(١)
تَظُنُّ السَّمَاوَاتِ تَغْنُو لَهَا
وَتُجْثُو خُشُوعًا لِأَحْسَابِهَا
وَأَنَّ النُّبُوَّةَ إِرْثٌ لَهَا
تَتِيهُ بِهَا وَبِالْقَايَا
وَأَنَا عَبِيدٌ خُلِقْنَا لَهَا
لِنَبْقَى سُجُودًا بِأَعْتَابِهَا

(١) إشارة إلى القصائد الوثنية التي نؤمن بها وشراسة الغاب وانسللتها من بين الأنياب.

وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ سِوَى أَتْهَآ
 عَجُوزٌ تُجَنِّ بِأَلْعَابِهَا
 تُغْذِي الْبِلَادَ بِأَسْوَاطِهَا
 وَتَسْقِي الرِّعْيَةَ مِنْ صَاحِبِهَا
 رَجَالَهُمْ عِنْدَ سَجَانِهَا
 وَأَمْوَالَهُمْ عِنْدَ سَلَابِهَا
 لَئِنْ جَرَعْنَا مَرِيرَ الْحَيَاةِ
 قَلَا بُدَّ تَشْرِبُ مِنْ صَاحِبِهَا
 أَتْرُمِي بِنَا فِي عَمِيقِ السَّجُونِ
 وَنُصِيحُ عُبَادَ أَنْصَابِهَا
 وَتَطْمَعُ مِنْ سُخْفِهَا أَتْنَا
 نَكُونُ كَخُلَّصِ أَحْبَابِهَا
 وَلَوْ عَامَلُوا مِثْلَنَا السَّائِمَاتِ
 لِدَاسَتْ حِمَاهُمْ بِأَغْقَابِهَا

أولاً: هَدَمَتِ الْبِلَادَ

وَزَلَزَتِ بُنْيَانَ أَقْطَابِهَا

وما أَنتَ والتَّضَحَّ في أَسْرَةٍ
 تَنَالُ السَّمَاءَ بِأَنْسَابِهَا
 وقد نَزَلَ الوَحْيُ من أَفْقِهَا
 وَحَلَّ النَّبِيُّ بِأَثْوَاهَا
 وما الحَقُّ والعِلْمُ والعاملون
 إِلَّا قَرَابِينَ مُحْرَبِهَا
 حَذَارِ الْخِطَابَةِ إِنَّ السَّجُونَ
 تَهَشُّ إِلَيْكَ بِتَرْحَاهَا

فِيَا مَلِكًا لَجَّ فِي بَطْشِهِ
 ودَاسَ الْبِلَادَ وَأَخْنَى بِهَا
 وَدَبَّ لِأَمَّتِهِ فِي الظَّلَامِ
 دَبِيبَ اللَّصُوصِ لِأَسْلَابِهَا
 وَذَرَّ الْعُجْبَارَ بِأَجْفَانِهَا
 وَصَبَّ السُّمُومَ بِأَعْصَابِهَا
 وَقَالَ لَهَا مِصْرَ أُمِّ الْفَجُورِ
 تَسِيلُ الْخُمُورُ بِأَبْوَاهِهَا

وبغدادُ عاصمةُ المُلجدين
ومكةُ نُهبٍ لسلابها
وما الأرضُ إلّا لنا وخذنا
ولكنّهم غالطونا بها

نَهَضَتْ لِتَخْرِيبِ عَمْرَانِهَا
وَقُمْتَ لِتَخْطِيمِ أَلْبَابِهَا
وَوَطَدْتَ عَرْشَكَ فَوْقَ الْقُبُورِ
وَأَزَعَجْتَ رِمّةَ أَصْحَابِهَا
وَشَيَدْتَ مَمْلَكَةً لِلْفَنَاءِ
تَقُومُ الْقِيَامَةُ مِنْ بَابِهَا
أَلَمْ تَخْشَ مِنْ أُمَّةٍ أَصْبَحَتْ
إِلَيْكَ تُكْشَرُ مِنْ نَابِهَا؟
وَتَزَارُ غَضَبِي زئيرَ الأسودِ
وَأَنْتَ الْمَلُومُ بِإِغْضَابِهَا
سَتَلْقَى مَغِيَّةً مَا قَدْ صَنَعْتَ
وَتَجْنِي الْمَخَالِبَ مِنْ غَايِهَا

صرخة إلى النائمين

ناشدْتُكَ الإحساسَ يا أقلامُ
 أَتُزَلْزَلُ الدُّنْيَا ونحنُ نِيَامُ
 قُمْ يا يَرَاعُ، إلى بلادك نادها
 إِنْ كَانَ عندكَ للشُّعوبِ كلامُ
 فَلطالَمَا أَشَعَلْتَ شِغْرَكَ حولَهَا
 وَمِنْ القَوافي شُعْلَةٌ وَضِرَامُ
 لَمَّا أَهْبَتَ بِهَا تُطَارِدُ نومَهَا
 ضَجِكَتَ عَلَيْكَ بِجَفْنِهَا الأحلامُ
 وَصَرَخْتَ فِي أسماعِهَا فتحرَّكَتَ
 لكن، كما يتحرَّكُ النُّومُ
 نَخَشَى سيوفَ الظُّلمِ وهي كَلِيلَةٌ
 وَنُقَدِّسُ الأصنامَ وهي حُطَامُ
 وَتَذِلُّ أُمَّتُنَا، لِفَرْدٍ واحدٍ
 لَا تُسْتَقَادُ لِمِثْلِهِ الأنعامُ

تُسْدي له أموالنا ونفوسنا
 وَيَرى بأننا خائنونَ لئامُ
 تُبْني له عرشاً يَسودُ فيبْتَنِي
 سِجْناً، نُهانُ بظْلِهِ ونُضامُ
 تحنو الرؤوس له خشوعاً ظُلُلاً
 وتَنوُّ من أَصْفادِهِ الأقدامُ
 كَم سَبَحْتُهُ أَلْسِنٌ، فَتَجَرَّعَتْ
 مِنْهُ، مذاقَ الموتِ وهو زُؤامُ
 كَم من أبٍ وَاسَى الإمامَ بروجِهِ
 مائتَ جِيعاً بعدَهُ الأيتامُ
 يمتصُّ نِزوةَ شَعْبِهِ ويُمِيتُهُ
 جوعاً، لِيَسْمَنَ آلُهُ الأعلامُ
 طَعَناتِهِ قدسيَّةً، نَزَلَتْ بِهَا
 البركات والآيات والأحكامُ
 عَمَلُ الورى في رَأْيِهِ كُفْرٌ، وما
 يَأْتِيهِ، فهو شريعةٌ ونظامُ

أبناء قحطان عبيد، بعد ما
عَبَدَتْهُمْ الزعماء والحكام
كائنات سيوفهم تؤدب كل
جبار، بغيرِ السيفِ ليس يُقام
كانوا الأباة وكانت الدنيا لهم
والمُلْكُ والرايات والأعلام
نزلوا بيثرب والعراق، فشيدوا
مُلُكًا، كبيرَ الشأنِ ليس يُرام
وهمُ الأولى، اقتحموا على أسبانيا
أسوارها، فتحكموا وأقاموا
وهمو، بمعترك الحروبِ صوارم
وهمو، لبُنيانِ العروشِ دِعَام
كانوا، بأعصابِ العروبةِ ثورةً
تُمحى الملوكُ بها وتُرمى الهام
وهمُ الأولى البانونَ عرشَ أمية
نهضَ الوليدُ بهم، وعزَّ هِشامُ

غضبوا على مروان فاقبلت به الدنيا، وثارت ضده الأيام
 كانت سيوفهم تُضيء فتمنح التاريخ أفقاً ليس فيه ظلام
 كانوا زمماً للخلافة، مُزقت
 أوصاله، فَتَمَزَّقَ الإسلام
 قحطان، أصلُ العرب، منذ تهاونوا
 بحياتها، عاشوا وهم أيتام
 لهم الجبال الراسيات، وأنفس
 مثل الجبال الراسيات عظام
 أتراهمو صنعوا الذرى، أم أنها
 صنعتهم، أم أنهم أثوام
 وُلِدُوا عمالقَةً مُحَنِّطَةً، كما
 وَلَدَتِ فراعنة لها الأهرام
 قَدِمُوا من التاريخ في جَبَهَاتِهِمْ
 من آلِ جَمِيرَ، غُرَّةٌ ووسام

يتساءلون أَجْمِيرٌ فوقَ الوري،
 كالأمسِ أمْ تلكَ الرؤى أوهام؟
 ابن (السعيدة) إِنَّ فيها جَنَّةً
 خَضْرَاءَ، نَمَاحَا الدهرُ وهو غلام؟
 أينَ القصورُ الشَّم؟ أينَ بُنَاتُهَا الأقيالُ أينَ ملوكُهَا الأعلامُ
 أينَ البحارُ من السدود، يُرى لها،
 بينَ الشواهِقِ زَخْرَةٌ وزِحَام؟
 أينَ السَّلالَةُ من مَعِينٍ وَجْمِيرِ
 هل أَيْقَظُوا الدنيا لهم، أمْ ناموا؟
 هل سَابَقُوا الأقطارَ في وَثْبَاتِهَا
 هل حَلَّقُوا حَوْلَ النجومِ وَحاموا؟

ماذا دهِى قحطان؟ في لحظَاتِهِم
 بُؤْسٌ، وفي كَلِمَاتِهِم آلام؟

جهلٌ، وأمراضٌ وظلمٌ فادحٌ
 ومخافةٌ، ومجاعةٌ، وإمامٌ؟
 والناسُ، بينَ مُكَبَّلٍ في رجليه
 قيد، وفي فمِه البليغِ لِحَامٌ
 أو خائفٍ، لم يَذِرْ ما يَنْتَابُهُ
 منهم، أَسِجُنُ الدهرِ، أم إعدامٌ؟
 والاجتماعُ، جريمةٌ أزليةٌ
 والعِلْمُ إثمٌ، والكلامُ حرامٌ
 والمرءُ يهربُ من أبيه وأُمِّه
 وكأنَّ وصلَهما له إجرامٌ
 والجيشُ، يحتلُّ البلادَ، وما له
 في غيرِ أكواخِ الضعيفِ مُقامٌ
 يسطو ويَنْهَبُ ما يشاء، كأنَّما
 هو للخليفةِ، مِغُولٌ هَدَامٌ
 والشَّعبُ، في ظلِّ السيوفِ ممزَّقٌ
 الأوصالَ، مضطهدُ الجَنابِ يُضَامُ

وَعَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يُغَادَرَ أَرْضَهُ
هَرَبًا، وَإِلَّا فَالْحَيَاةُ حِمَامٌ
نَثَرُوا بِأَنْحَاءِ الْبِلَادِ وَدَمَرُوا
عُمْرَانَهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَلْغَامٌ
أَكَلُوا لُبَابَ الْأَرْضِ، وَاخْتَصَوْا بِهَا
وَذَوُّوا الْخِصَاصَةَ وَاقْفُون صِيَامٌ
وَكَأَنَّهُمْ هُمْ أَوْجَدُوا الدُّنْيَا وَفِي
أَيْدِيهِمْ تَتَحَرَّكُ الْأَجْرَامُ
هَبْ أَنَّهُمْ خَلَقُوا الْعِبَادَ، فَهَلْ لِمَنْ
خَلَقُوهُ عَطْفٌ عِنْدَهُمْ وَذِمَامٌ
مَا كَانَ ضَرَّهُمْ وَهُمْ مِنْ هَاشِمٍ
لَوْ أَنَّهُمْ مِثْلُ الْجُدُودِ كِرَامٌ
لَكُنْهَا الْأَخْلَاقُ أَرْزَاقٌ بِهَا
يَجْرِي الْقَضَاءُ وَتُقَدَّرُ الْأَقْسَامُ

يا قوم هَبُوا لِلْكَفَاحِ وَنَاضِلُوا
 إِنَّ الْمَنَامَ عَنِ الذَّمَامِ حَرَامُ
 تَسْتَسْلِمُونَ إِلَى فُسَاةٍ مَا لَهُمْ
 خُلُقٌ، وَلَا شَرْعٌ، وَلَا أَحْكَامُ
 وَلَقَدْ صَبَرْتُمْ ثَلَاثَ قُرُونٍ لَمْ يَصُنْ
 أَعْرَاضَكُمْ صَبْرٌ وَلَا اسْتِسْلَامُ
 لَنْ يَبْرَحَ الطَّغْيَانُ ذُتْبًا ضَارِيًا
 مَا دَامَ يَعْرِفُ أَنَّكُمْ أَغْنَامُ
 فَتَكَلَّمُوا كَيْمَا يَصْدَقَ أَنَّكُمْ
 بَشَرٌ، وَيَشْعُرَ أَنَّهُ ظَلَامُ
 وَتَحَرَّكُوا كَيْ لَا يَظُنَّ بِأَنَّكُمْ
 مَوْتَى، وَيَخَسِبُ أَنَّكُمْ أَضْنَامُ
 طَارَ الْوَرَى مُتَسَابِقِينَ وَمَا لَكُمْ
 فِي السَّبْقِ أَجْنَحَةٌ وَلَا أَقْدَامُ

إِنَّ لَمْ تَطِيرُوا فِي السَّمَاءِ فَكَيْفَ لَمْ
 تَمْشُوا وَتَمْشِيَ الشَّاءُ وَالْأَنْعَامُ
 وَمَذْبُذِبِينَ^(١)، تَلَوْنَا وَتَرَدَدْنَا
 لَعَنَتْهُمْ الْحَسَنَاتُ وَالْآثَامُ
 قُلْنَا: ارْفَعُوا الْأَسْوَاطَ عَنْ أَجْسَادِكُمْ
 قَالُوا: لَنَا لَوْمُ الْإِمَامِ أَثَامُ
 تَالَّهُ مَا بِهِمُ الْإِمَامُ، وَإِنَّمَا
 وَلَعُوا بِسَوْطِ الْمُسْتَبَدِّ وَهَامُوا
 بَاعُوا الضَّمَائِرَ لِلْمَهَانَةِ مِثْلَمَا
 تُبْتَاعُ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ سَوَامُ
 وَإِذَا ثَوَتْ بَيْنَ الضَّلُوعِ بِهَائِمُ
 قَوِيَتْ عَلَى حَمْلِ الْعَصَا الْأَجْسَامُ
 يَتَطَاوَلُونَ إِلَى شُؤْنٍ مَا لَهُمْ
 عِلْمٌ بِمَعْنَاهَا وَلَا إِمَامُ

(١) يعرض بهذه الآيات التالية ببعض الصحف المرتزة في اليمن وكتابتها.

لا يحسبونَ الدينَ إلّا أنّه
 عندَ الأميرِ دراهمٌ وطعامٌ
 كتبوا وما هذا الذي بمقالِهِم
 إلّا وِبَاءٌ في النّهي وسَقَامٌ
 سامُوا الصّحائفَ أن تنوءَ بجيفةٍ
 نَفَحَتْ فظنّوا أنها إلهاُم
 يتشّدّقونَ، فتسخرُ الفُصحى بهم
 ويُحرّرون فتضحكُ الأقلامُ
 تالّهُ ما عزَّ امرؤٌ ودعائه
 نَفَرُ كأشباحِ الظلامِ طغامُ
 يَغفونَ عن طغيانه وبلاذهم
 تُلحي على أُناتها وتُلامُ!
 ويُقدّسونَ خناجراً فَتَحَتْ لها
 جرحاً بقلبِ الشعبِ لا يَلْتامُ

سُحَّاسِبُونَ، فَقَدْ دَنَا لِحَسَابِهِمْ
يَوْمَ يَسُوءُ الْخَائِنِينَ ظِلَامُ
وَسِينْدُمُ الْمُتَزَلُّفُونَ نَدَامَةَ الْوَثْنِيِّ يَوْمَ تُحَطَّمُ الْأَصْنَامُ

عدن عام ١٩٤٥

إلى علي محمد لقمان (صاحب الوتر المغمور)

وَتَرُ الْغَرَامِ يَئِنَّ مِنْ صَبَوَاتِهِ
وَيُسَجِّلُ النِّيرانَ فِي آهَاتِهِ
الدمعُ محترقٌ على أنفاسِهِ
والصوت مجروح على لَهَوَاتِهِ
والمبدعُ الفتنان يملو نايه
رُوحاً وَيُنْطِقُهُ بِسِحْرِ لُغَاتِهِ
وَيُبْثُّ فِي الْعُودِ الْحَيَاةَ فَتَنْبِرِي
أُوتَارُهُ مَلَأَى بِإِحْسَاسَاتِهِ
تَبْكِي مِنَ الْآلَامِ مِثْلَ بُكَائِهِ
جَزَعاً وَتَشْكُو الْحُبَّ مِثْلَ شُكَايِهِ

ذَهَلُ الشَّجِيِّ عَنِ الْغِنَا فَتَقَطَّعَتْ
أُوتَارُهُ بِالنَّارِ مِنْ زَفَرَاتِهِ

وَمَشَتْ عَلَى الْقِيَارِ مَعْرَكَةُ الْهَوَى
 فَاَنْدَكُ مَغْمُوراً بِدَمْعِ لُغَاتِهِ
 عَصَفَ الْحَنِينَ بِعَقْلِهِ وَفَوَادِهِ
 وَرَمَاهُ كَالْمَجْنُونِ فِي فُلُواتِهِ
 يَسَلُ الْعَوَاصِفَ عَنْ شَطَايَا رُوحِهِ
 وَالْأَرْضَ عَنْ أَشْلَائِهِ وَرُفَاتِهِ
 وَيَطِيرُ فِي أَحْلَامِهِ، وَيَجُنُّ فِي
 آلَامِهِ، وَيَذُوبُ فِي أَتَاتِهِ
 قَسَتْ الطَّبِيعَةُ حَوْلَهُ وَتَجَهَّمَتْ
 فِي وَجْهِهِ، وَقَصَّتْ عَلَى لَذَائِهِ
 يَبْكِي فَتَلَّتْهُمْ الرِّيحُ بِكَاءِهِ
 وَتُغَالِطُ الْأَسْمَاعَ عَنْ صَرَخَاتِهِ
 وَيُعِيدُ فِي عَيْنِيهِ عَبْرَةَ حَزْنِهِ
 فَتُثِيرُ عَثِيرَهَا عَلَى عَبَرَاتِهِ

وَيَسِيرُ نَحْوَ حَبِيبِهِ، فَتَصَدَّه
 وَتُوزَّعُ الْأَشْوَاكُ فِي طَرَقَاتِهِ
 وَاللَّيْلُ فِي عَيْنِهِ يَمْشِي وَاهِنًا
 كَالشَّيْخِ يَهْدِجُ فِي قِيُودِ حَيَاتِهِ
 وَكَأَنَّمَا مَرَضَ الزَّمَانُ فَجَاءَهُ
 كَيْ يَدْفِنَ الدِّيَجُورَ فِي حَدَقَاتِهِ
 قَدَّرَ يَغَالِبُهُ، وَكَيْفَ نَجَاحَهُ
 فِي الْحُبِّ وَالْأَقْدَارِ مِنْ عَثَرَاتِهِ
 مَا ذَنْبُهُ إِلَّا الْحَنِينُ، وَأَنَّهُ
 قَدْ فَتَّتَ الْأَكْبَادَ مِنْ رَقَرَاتِهِ
 وَتَفَرَّقَ الْعُدَّالُ عَنْهُ كَأَنَّهُ
 أَفْعَى، تُحَامِي النَّاسَ مِنْ نَفَثَاتِهِ
 مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَسْعَفُوهُ بِقَلْبِهِ
 وَتَأَثَّرُوا لِبَكَائِهِ وَشُكَايَتِهِ

سَجْنُوهُ فِي الْبَيْدَاءِ فَأَطْلَقَ رَوْحَهُ
خَفَاقَةً تَجْرِي عَلَى نَغْمَاتِهِ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى دَخَانٍ صَاعِدٍ
مِنْ صَوْتِهِ الْبَاكِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ
شَبَحَ مِنَ الْأَلَامِ يَسْبُحُ فِي الْفَلَا
كَالْغَيْمِ يَسْقِي الْوَحْشَ مِنْ رَحْمَاتِهِ
يَتَوَهَّمُ الرَّاوُونَ جَمْرَةً قَلْبِهِ
نَجْمًا تَخَرَّقَ مِنْ قَسِي رُمَاتِهِ
يَسْتَمْتَعُونَ بِلَحْنِهِ وَلَوْ أَنَّهُ
صَوْتُ الْخَرَابِ يَضْجُ فِي طَيَّاتِهِ
فِي كُلِّ غَابٍ صَادِخٌ مِنْ فَنِّهِ
يَعِشُوا إِلَيْهِ الْوَحْشُ فِي ظِلْمَاتِهِ
كَادَتْ سَبَاعُ الْوَحْشِ تَعْبُدُ لِحْنَهُ
وَتُذِيبُ مَخْلِبَهَا بِأَغْنِيَاتِهِ

هَيْمَانُ فِي دَمِهِ وَحُوشٌ تَغْتَذِي
جَمَمًا، وَتَزَارُ مِنْ لَظَى جَمْرَاتِهِ
تَخْنُو السَّمَاءُ عَلَيْهِ فَهِيَ تُمَدُّهُ
مِنْ وَحْيِهَا لِيُبَلَّ مِنْ وِثْلَاتِهِ
عَزِلَ إِذَا فَكَّرَتْ فِي تَشْبِيهِهِ
أَلْفَيْتَهُ يَوْمِي إِلَى مِرْثَاتِهِ
لَوْ لَمْ يُطَهَّرْهُ الْهَوَى بِسَعِيرِهِ
لَمْ تَنْزِلِ الْآيَاتُ فِي خَطَرَاتِهِ
ثَمِلٌ، يُعْرِيدُ فِي السَّمَاءِ خِيَالَهُ
وَيُسَائِلُ الْأَفْلَاكَ عَنْ حَانَاتِهِ
خَلَبَ الْمَلَائِكُ فَهِيَ تَصْقُلُ رِيشَهَا
مِنْ سِخْرِهِ، وَتَعِيبُ مِنْ كَاسَاتِهِ
أَهْدَى إِلَيْهَا قَلْبَهُ فَتَبَلَبَلَتْ
وَتَعَوَّذَتْ بِاللَّهِ مِنْ لَفْحَاتِهِ

شَهِدْتَ بَأَنَّ الْآدَمِيَّةَ شِفْوَةٌ
 وَرَزَّيْتُ لِهَذَا الْكَوْنِ مِنْ نَكْبَاتِهِ
 وَتَسَاءَلْتُ: أَيْعِشُ صَبَّ قَلْبُهُ
 هَذَا، وَتِلْكَ النَّارُ فِي طَيَّاتِهِ
 مَا الْحُبُّ مَا هَذَا الَّذِي يَصِفُونَهُ
 بِالْجَاذِبِيَّةِ فِي سِنِّي غَادَاتِهِ
 وَمَنْ الَّذِي خَدَعَ الصَّرِيعَ وَقَادَهُ
 بِشِّبَاكِ فِتْنَتِهِ وَسِحْرِ فَتَاتِهِ
 يَهْذِي بِذِكْرِهَا وَيَعْبُدُ حُسْنَهَا
 وَتُلِحَّ فِي تَغْذِيهِ وَأَذَاتِهِ
 قَلْبٌ يَصْلِي فِي الْجَحِيمِ وَمَا يَرَى
 أَجْرًا وَلَا يَلْقَى ثَوَابَ صَلَاتِهِ
 وَتَرَّ سَقَاؤُ الرُّوحِ شِعْلَةَ حُبِّهِ
 فَزَكَ وَكَانَ الْفَنُّ مِنْ ثَمَرَاتِهِ

إِنَّا لَنَلْمُسُ فِيهِ لَوْعَةً عَاشِقِي
 وَنَحْسُ صَوْتِ الْقَلْبِ فِي نَبْرَاتِهِ
 وَالرُّوحُ فِي سَجْنِ الْحَيَاةِ أُسِيرَةٌ
 تَتَرَقَّبُ الْإِفْلَاتَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
 لَمْ تَلَقْ إِلَّا الشُّعْرَ فِي ذَاكَ الدُّجَى
 تَأْوِي إِلَى الْوَهَاجِ مِنْ أَبْيَاتِهِ
 تَرَكُوهُ مَغْمُورًا لِيُخْرِجَ سِخْرَهُ
 رَيَّانٌ بِالْقُدْسِيِّ مِنْ نَفْحَاتِهِ
 حَضَنَتْهُ أَلْسِنَةُ الْمَلَائِكِ فَاسْتَقَى
 مِنْ دَرِّهَا الدِّقَاقِ فِي أَسْلَاتِهِ

عدن حوالي عام ١٩٤٥

رثاء القاضي العلامة يحيى بن محمد الأرياني

رئيس الاستئناف المتوفي ٩ ذي الحجة ١٣٦٢

إنطفأت هذه الروح الكبيرة في عام التيفوس الذي اجتاح اليمن من أولها إلى آخرها. وقد كنتُ في رعب هذا الوباء المتوحش مسافراً من تعز إلى صنعاء وشهدت في طريقي ضحايا الشعب المنكود تتساقط كالذباب في المدن والقرى دون أن تهتدي إلى شكاة أو تعرف ملاذاً أو تدري أنَّ في دنيا الناس وراء اليمن السعيدة طباً وعلاجاً.

وقد كنتُ أركب على حمار يتسلق بي شواهي الجبال ويهبط بي إلى أغوار الوديان. وكنتُ كأنما أنجو بروحي على ظهر هذا الحمار من مكروب الوباء الزاحف على الأرض وأذكر أنه كان يغمرنني شعور متواضع بأن هذا الحيوان الذي أمتطيه أعز من راكبه جانباً وأوفر منه حصانة في الحياة وأهدى صواباً إلى الرشد!

وبلغت بي جهود الحمار المكافح إلى قمة (سماره) فاستطعتُ أن أستشرف منها على مئات القرى وعشرات الوديان وتصورت ما يموج تحت بصري من نساء وأطفال وشيوخ وشبان يلفُّهم الرعب، وتشقُّهم البلاء، ويفترسهم قمل التيفوس، وتجلد ظهورهم مع ذلك كرابيج الحرس المتوكلي.

وهأنسي أن أرى هذه الضحايا البشرية وليس لها حكومة تشعر بمأساتها

أو تفكر في اتخاذ أي إجراء لحمايتها من وحشية الموت الشامل، فقد مرّت شهور عديدة على هذا الوباء وهو يحصد حياة الشعب دون أن يجد في طريقه طبيباً واحداً لا في المدن ولا في القرى، إلّا أطباء يُعَدُّون على الأصابع استقَدِموا من أوروبا ليعالجوا الأسرة المالكة وحدها فظَلَلْتُ أبكي وأصرخ بحرية على قمة الجبل ومن على ظهر الحمار.

وفي هذا الجوّ الكئيب وصلّت إلى صنعاء، وجاء العيد وجاءت معه وفاة القاضي يحيى بن محمد الأرياني وبالرغم من أنني كنتُ أحيّا في هذه النكبة الشاملة إلّا أنني لم أستطع الإنطلاق في وصفها بحرية إذ كنتُ أخشى بطشاً ظالماً أعتى وأقسى من التيفوس، وإنما تحايّلتُ على وصفِ النكبة بصورة عامة ستلمس حرارتها أثناء المراثاة:

شَمْسٌ طَوَاهَا بِلِيلِ الْقَبْرِ مَقْدُور

فَالنُّورُ مُفْتَقَدٌ وَالصَّبِيحُ مَقْبُور

وَأَقْبَلَ الْعِيدُ أَعْمَى غَارَ نَاطِرُهُ

كَأَنَّمَا اللَّحْدُ فِي عَيْنَيْهِ مُحْفُور

يَسْعَى وَيَعْثُرُ بِالْأَكْبَادِ مُضْرَمَةٌ

كَأَنَّمَا الْجَمْرُ فِي مَسْعَاهُ مَنْشُور

رَأَى الثَّرَى أَذْمَعاً حُمْراً فَرَقَّ لَهُ

كَأَنَّمَا الْأَرْضُ جُرْخٌ وَهُوَ دَكْتُور

والموتُ يَفْتَحُ أفْوَاهَ القبورِ لَهُ
 على الطريقِ فيَمْشِي وهو مَذْعُور
 يَفْتَرِّ مُبْتَسِماً مِنْ قُبْحِ طَلْعَتِهِ
 كما تَبَسَّمَ لِلْأَهْوَالِ سَكَّيرُ

وَلَى عِمَادُ الْهُدَى يَخِيى تَشْيَعُهُ
 الدُّنْيَا بِأَذْمُعِهَا وَالْعِلْمُ وَالنُّورُ
 وَالشَّعْبُ يُطْرِقُ حَوْلَ التَّعْشِ مَرْتَبِئاً
 لَهُ إِلَى الْقَبْرِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرُ
 مُفَكِّراً كَيْفَ يُلْقَى الْمَجْدُ فِي جَدِثِ
 وَكَيْفَ يُنْبَذُ تَحْتَ الصَّخْرِ يُحْرِيرُ
 وَكَيْفَ يَنْشُبُ نَابُ الْمَوْتِ فِي جَبَلِ
 وَكَيْفَ تَغْلُقُ بِالنَّجْمِ الْأَظْفِيرُ
 وَكَيْفَ يُدْفَنُ رَأْسُ مِلْؤُهُ دُرُّ
 وَمُهْجَةُ رُوحِهَا لِلْأَرْضِ تَطْهِيرُ

وكَيْفَ يَهْدَأُ قَلْبٌ مِنْهُ كَانَ بِهِ
لِدَوْرَةِ الدَّهْرِ تَبْدِيلٌ وَتَغْيِيرٌ
هَلْ لِلتَّرِيبِ وَمِيْضٌ مِنْ نِبَاهَتِهِ
فَنَقُتْنِيهِ وَهَلْ لِلصَّخْرِ تَفْكِيرٌ
وَهَلْ هُوَ الْأَمَلُ الْمَسْجُونُ فِي جَدَثٍ
أَمْ أَنَّهُ الْبَحْرُ فِي الْأَكْفَانِ مَسْحُورٌ
وَكَيْفَ يَذْفَنُ شَعْبٌ نَفْسَهُ وَلَهُ
فِي مَا يُزَاوِلُهُ رَأْيٌ وَتَدْبِيرٌ
سَارُوا بِهِ يَحْمِلُونَ التَّعَشُّ فِي جَزَعٍ
كَأَنَّهُ السَّيْفُ فِي الْأَعْنَاقِ مَشْهُورٌ
كَأَنَّهُمْ حَمَلُوا الْإِسْلَامَ فِي كَفَنٍ
مِنَ الْمَصَاحِفِ حَاكَّتُهُ الْمَقَادِيرُ
كَأَنَّهُ الْبَحْرُ يَجْرِي مِنْ مَدَامِعِنَا
رَشَاشُهُ إِذْ طَعَتْ فِيهِ الْأَعَاصِيرُ

كَأَنَّهُ جَبَلُ النُّورِ الَّذِي وَلَدَتْهُ
 ... الشَّمْرُ وَانْصَدَعَتْ عَنْهُ الدِّيَاجِيرُ
 كَأَنَّهُ كَوَكَبُ الْحَقِّ الَّذِي انْطَبَعَتْ
 بِوَارِقِ الْوَحْيِ فِيهِ وَالْأَسَارِيرُ
 كَأَنَّمَا هُوَ مِرَاةٌ مُسَجَّلَةٌ
 فِيهَا النُّبُوَّةُ وَالْآيَاتُ وَالْخَيْرُ
 كَأَنَّهُ مَصْحَفُ الْجِيلِ الَّذِي بَعَثَ
 التَّارِيخَ فَاتَّحَدَتْ فِيهِ التَّفَاسِيرُ

يَا حَامِلِينَ لَهُ عُضُوهَا تَوَاطَرَكُمْ
 رُبَّمَا اخْتَطَفَتْهُ عَنْكُمْ الْحُورُ
 عَزَّوَالْبِلَادَ فَقَدْ فَاضَتْ حُشَاشَتُهَا
 وَانْدَكَّ مِنْحَطَّمًا فِي جُرْجِهَا الطُّورُ
 وَضَجَّ خَاطِرُهَا الْمَشْبُوبُ فِي دَمِهَا
 وَكَادَ يُنْفَخُ فِي أَغْرَاقِهَا الصُّورُ

والدمع يَغلي بأجفانٍ مُقَرَّحةٍ
كأنه الجَمْرُ فارَتْ عنه تَنُور
كأنه مِرْقُ التَّامُورِ هارِبَةً
مِنْ أَضْلَعِ عَصَفَتِ فِيهَا الْأَعاصِيرُ
كأنه نَبْعُ بَرْكَانٍ تَفُورُ بِهِ
زَلَّازِلُ الرُّوحِ هَزَّتْهُ الْمَقَادِيرُ
وَالْقَلْبُ يَلْتَاغُ فِي الْأَحْشَاءِ مُضْطَرِباً
كأنه أَسَدٌ فِي السَّجَنِ مَأْسُور
يَذُوبُ كَرْباً بِقَبْرِ مَنْ جَوَانِحُهُ
تَمُوجُ فِيهِ الدَّوَاهِي وَالْمَحَازِيرُ
عَذَّاه يَخْيِي بِشَمْسِ الْعِلْمِ فَاَنْطَفَأَتْ
وَالْيَوْمَ جَرَّعَهُ الْأَهْوَالُ دَيَّجُور
يَخْيِي مُصَابِكُ هَذَا الشَّعْبِ وَانْحَطَمَتْ
قُوَاهُ وَهُوَ لِعَمْرِي فَيْكَ مَعْدُور

عَلَّمْتَهُ الْخُلُقَ الْأَسْمَى وَكُنْتَ لَهُ
 كَمَصْحَفٍ فِيهِ تَحْذِيرٌ وَتَبْشِيرٌ
 نَزَهْتَ كَفْكَ عَنْ سُحْتٍ قَدْ انْغَمَسَتْ
 فِيهِ الْأَكُفُ الْأَثِيمَاتُ الْمَشَاهِيرُ
 يَرَوْنَ قَطَعَ يَمِينِ اللَّصِّ جَائِعَةً
 وَحَظَّ أَيْدِيَهُمْ لَثْمٌ وَتَوْقِيرٌ
 ذَنْبُ الصَّعَالِيكِ مَخْزَاةٌ وَمَعْصِيَةٌ
 وَذَنْبُهُمْ فِيهِ تَهْلِيلٌ وَتَكْبِيرٌ
 لَا يُؤْخَذُونَ بِمَا غَلَوْا وَمَا اخْتَلَسُوا
 كَأَنَّمَا الْعِلْمُ لِلْإِجْرَامِ تَبْرِيرٌ
 لِلَّهِ أَنْتَ طَلَبْتَ الْمَجْدَ فَاجْتَمَعَتْ
 أَطْرَافُهُ وَأَسْتَقَاهُ مِنْكَ تَامُورٌ
 وَهَامَ فِيكَ هُيَامًا لَا هُدُوءَ لَهُ
 كَأَنَّهُ فِيكَ مَخْصُورٌ وَمَقْصُورٌ

بَنَيْتَ جَنَّةَ عَذْنٍ بِالْعَفَافِ وَقَدْ
 تَبْنِي جَهَنَّمَ لِلنَّاسِ الدَّنَائِيرِ
 وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ يُطَهَّرْ قَلْبَ حَامِلِهِ
 مِنْ الْهَوَىٰ فَهُوَ تَضْلِيلٌ وَتَزْوِيرٌ

يَا دَهْرُ مَا لِلدَّوَاهِي فِيكَ شَاخِصَةٌ
 يَا لَيْتَهَا الْعُمَىٰ أَوْ يَا لَيْتَهَا الْعُرَرُ
 مَرَّتْ عَلَىٰ هَذِهِ الدُّنْيَا بِنَظَرِهَا
 فَلَمْ يَفُتْهَا مِنْ الْآفَاقِ قِطْمِيرُ
 رَقَّتْ لَنَا الْحَرْبُ لَمْ تُقْلِقْ مَضَاجِعِنَا
 فَجَاءَنَا أَجَلُ فِي السَّلَامِ مَقْدُورُ
 لَا تَتَّقِيهِ حُصُونٌ فِي شَوَاهِقِهَا
 وَلَا تُقَاوِمُهُ الْبُسُلُ الْمَسَاعِيرُ
 وَلَيْسَ تَثْنِيَّةَ أَظْفَارِ مُدْرَبَةٍ
 أَوْ مَدْفَعٍ فِي خُدُودِ الْبَطْنِ مَنْشُورُ

مَرَزْتُ فِي مَعْرَكِ الْأَجَالِ مُرْتَجِفًا
 كَأَنِّي مِنْ ذُهُولِ الرَّعْبِ مَمْرُور
 مُسْتَسْلِمًا لِلرَّدَى فِي قَلْبٍ جَحْفَلِهِ
 دَمِي حَلَالٌ وَرُوحِي فِيهِ مَهْدُور
 تَجَهَّمُ اللَّيْلُ فِي وَجْهِ وَمَا طَلَنِي
 كَأَنِّي الْمَتَنَبِي وَهُوَ كَافُور
 طَالَتْ بَنَا الْأَرْضُ وَالسَّاعَاتُ وَاتَّصَلَتْ
 وَضَاعَ فِي أُنْمُلِي عَدَّ وَتَقْدِير
 وَإِنَّمَا الدَّهْرُ أَوْرَاقُ مُزَوَّرَةٍ
 وَرَأَيْنَا فِيهِ تَزْيِيفَ وَتَغْرِير
 تَجْرِي عَلَى صَفْحَةِ الدُّنْيَا هَيَاكِلُنَا
 كَأَنَّهُا تُرَّهَاتُ أَوْ أُسَاطِير

يَا رَاحِلًا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ لَا وَقَفْتَ
 إِلَّا وَأَنْتَ بِرُوحِ الْخُلْدِ مَغْمُور

عَفْنَا الحَيَاةَ وَقَدْ غَاذَرَتْ سَاحَتَهَا
وَكُلْنَا وَاجِمٌ لِلخَطْبِ مَوْتُور
أُولَٰذِكَ الْغُرَّهَا هَمٌ مِثْلَمَا تَرَكْتَ
عَيْنَاكَ طُهِرَ مَنَاجِبُ مَغَاوِير
لَمْ يَنْقُضِ الْخَطْبُ عَقْدًا مِنْ عَزَائِمِهِمْ
كَالتَّبِيرِ يَزْدَادُ سَبْكَاً وَهُوَ مَصْهُور
شَعَتْ ضَمَائِرُهُمْ فِي لَيْلٍ مِخْنَتِهِمْ
كَمَا يَضِيءُ بِحُسْنِ الصَّقْلِ بَلَّور

إلى أولئك الأنجال الطُّهر المناجيب أقدم هذه الدمعة الدامية
المتواضعة التي جرت في آثار ذلك الراحل العظيم، وتناثرت من مخالب
ذلك الخطب الأليم إن جراحنا الفاغرة بالدم لتعزيكم وتدعو لكم
بالسلوان.

الحنين إلى الوطن

ذِكْرِيَّاتٌ فَاحَتْ بِرَيَا الْجَنَانِ...
 فَسَبَتْ خَاطِرِي وَهَزَّتْ جَنَانِي
 عُمُرٌ مِنْ دَقَائِقِ مُسْتَعَادٍ
 وَدُهورٌ مُطْلَّةٌ مِنْ ثَوَانِي
 فَكأنَّ الْمَاضِي تَأَخَّرَ فِي النَّفْسِ
 ... أَوْ اسْتَرْجَعَتْ صَدَاهُ الْأَمَانِي
 مَا وَجَدْنَا وَرَاءَهَا غَيْرَ غَابَاتٍ
 ... وَحُوشٍ مِنْ الدَّمَاءِ قَوَانِي
 لَمْ تُهَوِّمْ لِلنَّوْمِ عَيْنٌ وَلَمْ تَهْدَأْ
 ... لَنَا مُهْجَةٌ مِنَ الْخَفَقَانِ
 مَا يَهْبُ النَّسِيمُ إِلَّا وَجَدْنَا
 طَيِّبُهُ زَفْرَةً مِنْ الْأَوْطَانِ
 تَحْمِلُ الطَّلَّ لِلرِّيَاضِ وَتُذَكِّي
 فِي الْحِشَا لَفْحَةً مِنَ النِّيْرَانِ

آهِ وَنَحَ الْعَرِيبَ مَاذَا يَقَاسِي
 مِنْ عَذَابِ النُّوَى وَمَاذَا يُعَانِي
 كُشِفَتْ لِي فِي غُرْبَتِي سَوْءُهُ
 ... الدُّنْيَا وَلَاحَتْ هِنَاتُهَا لِعِيَانِي
 كَلَّمَا نِلْتُ لَذَّةً أَتَذَرْتَنِي
 فَتَلَقْتُ خِيفَةً مِنْ زَمَانِي
 وَإِذَا رُمْتُ بِسَمَةٍ لَاحَ مَرَآيَ
 وَطَنِي فَاسْتَفَزَّنِي وَنَهَانِي
 لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لِلْعَرِيبِ سَوَى...
 الدَّمْعُ وَلَا فِي السَّمَاءِ غَيْرُ الْأُمَانِي

حَطَمِينِي يَا رِيحُ ثُمَّ انْثُرِي أَشْلَاءَ
 ... رُوحِي فِي جَوْ تِلْكَ الْجِنَانِي
 وَزَعِينِي فِي كُلِّ حَقْلٍ عَلَى الْأَزْهَارِ
 ... بَيْنَ الْقُدُودِ وَالْأَغْصَانِ

زَفَرَاتِي طُوفِي سَمَاءَ بِلَادِي
 وَانْهَلِي مِنْ شُعَائِهَا الرِّيَّانَ
 أَطْفِئْ لَوْعَتِي بِهَا وَأَغْمِسْ رُوحِي
 ... فِيهَا وَبَرِّدِي أَلْحَانِي
 وَصِلِي جِيرَتِي وَأَهْلِي وَأَحْبَابِي
 ... وَقْصِي عَنْهُمْ مَا دَهَانِي
 وَأَنْثُرِي فِي ثَرَاهِمُو قُبُلَاتِي
 وَأَمْلِي رَحَبَ أَفْقِهِمْ مِنْ جَنَانِي
 وَسَلِّهِمْ مَا تَصْنَعُ الرُّوضَةُ الْعَنَّا
 ... وَأَدْوَاخُهَا الطُّوَالِ الدَّوَانِي
 هَلْ رَثَانِي هِزَارُهَا هَلْ بَكَانِي؟
 وَزُقُّهَا هَلْ شَجَاهُ مَا قَدْ شَجَانِي
 لَيْسَتْ لِلرُّوْضِ مُهَجَّةٌ فَلَعَلَّ الدَّهْرَ
 يُبْكِيهِ مِثْلَ مَا أَبْكَانِي

الْبِلَادُ تَسْتَنْبِطُ الْخَالِصَ
 ... مِنْ مَنْطِقِي وَمِنْ وَجْدَانِي
 وَرَمَتْ بِي كِي تَسْتَرِيحَ لَأَهَاتِي
 ... وَالْحَانِي الْعَذَابِ الْجِسَانَ
 لَيْسَ تَهْوَى مِنِّي سَوَى الصَّوْتِ ...
 يُشْجِيهَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَذُمُ كِيَانِي
 يَفْتَنِي الْعُودُ غَالِيًا ثُمَّ لَا يُرْجَى
 ... ائْتِفَاعُ مِنْهُ بَغَيْرِ الدَّخَانِ
 فَلَيْنَ لَمْ أَعُدْ إِلَيْهَا فَقَدْ خَلَدْتُ
 ... فِي سَمْعِهَا شَجِيَّ الْأَغَانِي

وَطَنِي أَنْتَ نَفْحَةُ اللَّهِ مَا تَبْرَحُ
 لَا عَنْ قَلْبِي وَلَا عَنْ لِسَانِي
 صَنَعَ اللَّهُ مِنْكَ طِيْنَةَ قَلْبِي
 وَبَرَى مِنْ شَذَاكَ رُوحَ بِيَانِي

صَوَّرَ مِنْكَ مُشَكِّلٌ فِي فُؤَادِي
 وَأَبْتَنِي مِنْ شَذَاكَ رَوْحَ بِيَانِي
 هَاكَ مَا قَدْ طَهَّرْتُهُ لَكَ فِي دَمْعِي
 وَمَا قَدْ صَهَّرْتُهُ فِي جَنَانِي
 شُغْلَةَ الْقَلْبِ لَوْ أُذِيعَتْ لَقَالُوا
 مَرَّ عَبْرَ الْأَثِيرِ نَضْلُ يَمَانِي

تمت ٢٦ جمادى الأولى ١٩٦٥

هذا التاريخ منقول من مذكرة خطية ولا ندرى أهو تاريخ قول القصيدة، أم تاريخ نقلها في هذه المذكرة ولكن من المرجح أنه تاريخ قول القصيدة، لأن المذكرة لا تُؤرّخ رغم طفحها بالقصائد.

إبراهيم

طليلة الشهداء

إنها زوجة أخي أحمد محمد نعمان، سيدة مكافحة،
نبيلة طغت عليها روح الوفاء لزوجها بعد فراقه إلى
عدن، وعجزت عن أن تواجه الحياة بدونه. وما كاد
يغادر «تعز» حتى ألح عليها مرض مدنف لم يسلمها إلا
إلى القبر.

وجاء خبر الوفاة إلينا ونحن في معمعة النضال واهتزت
عواطف زوجها الوفي وعكف يكي فقد حبيته وأم
أولاده بكاءً متصلًا مريرًا.

فكتبْتُ له هذه القصيدة أطلب إليه أن يضع نهاية
للدموع، وأذكره أنه في معركة لا يجوز فيها البكاء.
وحاولْتُ أن أصرف عاطفته نحو زوجته بعاطفته نحو
بلاده.

كَفِّفِ الدَّمْعَ، وَاعْتَصِمِ بالعزاء

ليس في الحرب فرصة للبكاء

قد تصدَّيت للجهاد، فلا تأبِه

... لنبل يأتِكَ في الهَيْجاءِ

وتَعَرَّضْتَ للزَّمانِ، فلا تجزَعْ

... لإخدي أيامِه السَّوداءِ

وَأَخْتَسِبَ كُلَّمَا أَصَابَكَ اللَّهُ
 ... ووَاجِبُهُ قِضَاءَهُ بِالْفِدَاءِ
 وَتَبَسَّمَ إِلَى الْخُطُوبِ فَكَمْ فِي الْخُطْبِ
 ... مِنْ سُؤْدَدٍ وَمِنْ عَلِيَاءِ
 أَنْتَ لِلْأُمَّةِ الَّتِي عَلَّقْتَ فِيكَ
 ... عَظِيمَ الْمُنَى، كَبِيرَ الرَّجَاءِ
 أَوْدَعْتَ فِي يَرَاعِكَ الْغَضْبُ مَا قَدْ
 أَفْرَعَتْهُ مِنْ أَدْمُعٍ وَدُمَاءِ
 حَمَلْتَ قَلْبَكَ الْجِرَاحَ الَّتِي تَصْرُخُ
 ... فِي الْبَائِسِينَ وَالضَّعْفَاءِ
 أَرْسَلْتَ فِيكَ صَوْتَهَا الثَّائِرَ الْغَضْبَانَ
 ... ضِدَّ الْحُكُومَةِ الْهَوْجَاءِ
 أَنْتَ لِلظُّلْمِ غُصَّةٌ يُبْتَلَى الظَّالِمُ
 ... مِنْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ بَدَاءِ

أَنْتَ لِلْحَقِّ قُوَّةٌ تَزْهَقُ الْبَاطِلَ
 ... فِي عُقْرِ دَارِهِ السَّمَاءِ
 يَخْجَلُ الْعَرْشُ أَنْ تَكُونَ غَضُوباً
 ... مِنْهُ، أَوْ أَنْ تُذِلَّهُ بِالتَّنَائِي
 أَنْتَ بِالْإِبْتِعَادِ تَضْنَعُ لِلطَّاعِي
 ... وَتَارِيخِهِ أَشَدَّ الْهَجَاءِ
 مِنْذُ غَادَرْتَ سَوْحَهُ لَمْ يَجِدْ...
 مَا كَانَ فِي أَنْفِهِ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ
 وَيَرَى نَفْسَهُ وَرَاءَكَ كَالضَّغْلُوكِ
 ... يَقْضِي حَيَاتَهُ فِي الْهُرَاءِ

مَنْ يَسُوسُ الْبِلَادَ، مَنْ يَحْفَظُ الْعَرْشَ
 ... لِمَلِكٍ يَقْضِي عَلَى الْأَذْكَيَاءِ
 يَنْبُذُ النُّورَ مِنْ يَدَيْهِ لِيَمْشِيَ
 خَائِطاً فِي طَرِيقِهِ الرِّغْنَاءِ

وَيُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي اللَّيْلِ كَالْعَرِيَانِ
 ... يَنْبُو عَنِ الْمَكَانِ الْمُضَاءِ
 زَعَمُوا، أَنَّهُمْ سَيَقْضُونَ بِالْحُمُقِ
 عَلَى كُلِّ كَوَكَبٍ فِي السَّمَاءِ
 أَيَّ كَفٍّ تَمْحُو النَّهَارَ مِنَ الْكَوْنِ
 وَتَقْضِي عَلَى الدُّجَى بِالْبَقَاءِ

يَا شَقِيقِي فِي مَبْدِئِي، يَا زَمِيلِي
 فِي جِهَادِي، يَا سَلَوْتِي يَا عَزَائِي
 كُنْتُ أَعْدَدْتُ أَدْمَعًا فَتَمَاسَكْتُ
 ... وَنَهْنَهْتُ أَذْمُعِي وَرَثَائِي
 خِفْتُ مِنْهَا عَلَى عَوَاطِفِكَ الْقَرْحَى
 ... وَأَمَاقِ طَرْفِكَ الْبِكَاءِ
 خِفْتُ أَنْ يَزْعَمَ الطَّبَغَاءُ بَأْنَا
 قَدْ ضَعُفْنَا لِمُخَنَّةٍ أَوْ بَلَاءِ

بَيَدَ أَنَّ الرِّثَاءَ حَثَمَ، وَأَنَّ الحُزْنَ
 ... حَقُّ المَوْتَى عَلَى الأَحْيَاءِ
 فابكِهَا مَا اسْتَطَعْتَ وَحَدَّكَ، وَأَمْلَأْ
 سَاحَةَ القَبْرِ مِنْ دَمَوِعِ الوَفَاءِ
 جِئْتَهَا إِذَا عَزِمْتَ، تَبْغِي رِضَاهَا
 عَنْكَ شَأْنُ الأَحِبَّةِ الأَوْلِيَاءِ
 وَذَكَرْتَ الفِرَاقَ، فَامْتَقَعْتَ دُعْرًا
 ... وَكَادَتْ تَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 وَأَحْسَتَ بِأَنَّهَا لَنْ تُلَاقِي
 وَجْهَكَ الحَيَّ بَعْدَ ذَاكَ اللِّقَاءِ
 فَأَفَاضَتْ عَلَيْكَ زَفَرَتَهَا الحَرَى
 ... وَصَبَّتْ دَمْعَ الوَدَاعِ النِّهَائِيِّ
 وَرَأَتْ أَنَّمَا فَتَحَتْ لَهَا القَبْرَ
 بِتِلْكَ التَّحِيَّةِ الخُرْسَاءِ

أَجْهَشْتُ بالبُكَاءِ، وَقَدَّمْتُ الأَطْفَالَ
 ... تَبْكِي إِلَيْكَ كَالشَّفْعَاءِ
 أَهْرَقُوا أَدْمُعاً صَغَاراً...
 يُعِينُونَ بِهَا أَمَّهُمْ عَلَى اللَأْوَاءِ
 وَيَقُولُونَ كَيْفَ تَبْكِينَ يَا أُمَّاهُ
 ... - فِينَا - كَالضَّبْيَةِ الضَّعْفَاءِ
 كَيْفَ تَبْكِينَ مِثْلَنَا وَأَبُونَا
 عِنْدَنَا مُشْفِقٌ عَلَى الأَبْنَاءِ
 هَيِّجُوا قَلْبَكَ الرَّحِيمَ، فَأَشْفَقْتَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الأَبْنَاءِ
 وَاسْتَنْزَتْ العَطْفَ الَّذِي صَبَّهُ اللهُ
 ... إِلَى قَلْبِهَا عَلَى التَّعَسَاءِ
 فَاسْتَهَلَّتْ بِشَاشَةٍ، وَتَجَلَّى
 لَكَ فِي وَجْهِهَا إِبْتِسَامُ الهَنَاءِ

كَرَّتْ وَاجِبَ الْجِهَادِ فَرَدَّتْ
 دَمَعَهَا شامخاً من الخِيَلِ
 جِئَتْهَا مُهْجَةً تَذُوبُ من الشُّوقِ
 ... فَعَادَتْ كالصخرة الصَّمَاءِ
 كَمْ أَعَانَتْكَ فِي جِهَادِكَ كَمْ ضَحَّتْ
 بِآلِمِهَا عَلَى البُؤْسَاءِ
 كَمْ تَلَطَّى «فؤادها» بَيْنَ جَنْبَيْهَا
 ... لِيَأْتِيَ إِلَيْكَ فِي الهَيْجَاءِ
 مَا شَفَاهَا الْجِهَادُ، بِالْعَمَلِ الدَّائِبِ
 ... وَالْهَمِّ، وَالْأَسَى، وَالْبُكَاءِ
 دَفَعَتْ زَوْجَهَا لِيَمْضِيَ إِلَى النَصْرِ
 ... خَلِيّاً من عَاطِفَاتِ النِّسَاءِ
 وَانْبَرَتْ تَضدَعُ الحُشَّاشَةَ حَتَّى
 لَفَظَتْ نَفْسَهَا من البُرْحاءِ

سَقَطَتْ كالأبطالِ في ساحةِ الحربِ
... وكائِثَ طليعةِ الشُّهداءِ

فامضِ يا قائدَ الشابِ إلى الحقِّ
ولا تَكْتَبِ مِنَ البِساءِ
خَلَّ أمرَ الفقيدةِ في ذِمَّةِ الله
... جَزِيلَ الثَّوابِ جَمَّ العَطَاءِ
وتَذَكَّرْ مَصِيرَ أُمَّتِكَ الكُبْرَى
... على هُوَّةِ الرَّدَى والفَناءِ

أَيَّ قَبْرِ يُؤْوِي رُفَاتَ بَنِيهَا
أَيَّ دَمْعٍ يَفِي لَهُمْ بِالْعَزَاءِ
كَمْ يَظُلُّ «الإمام» يَحْفَرُ لِلنَّاسِ
... قُبُوراً بِكُفِّهِ الشَّلَاءِ

كَمْ تُقَاسِي البِلَادُ مِنْ قَلْبِهِ القَاسِي
... وتَلْقَى في ظِلِّهِ مِنْ شِقَاءِ

ثُلُثُ قَرْنٍ لَمْ يَبْرَحِ «الِيْمَنُ» المِيْمُونُ
 ... مِنْهُ فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ
 تَعَجَزَ الشَّمْسُ أَنْ تُشِيعَ عَلَى أَفْكَارِهِ
 ... السَّوْدُ لَمْعَةً مِنْ ضِيَاءِ

قيد جماعي

من قصيدة طويلة وصفتُ فيها بعض الأحرار، وقد شُدَّتْ أعناقهم بالسلاسل وطاف بهم زبانية الطغاة مسافة أيام طويلة كانت بدايتها بالطواف حول صنعاء، وكانوا يسرون في الطرقات الوعرة وبين الجبال والشعاب مشياً على أقدامهم، والسياط من ورائهم، والأغلال في رقابهم تشد بعضهم إلى بعض.

وقد عاشوا أيامهم السود تحت رحمة هذه الأغلال حياة موحدة وعذاباً موحداً ونوماً وتبولاً وتحركاً وسكوناً كل ذلك، موحداً جعلهم كأنهم مخلوق غريب مسخ شذت به طبيعة التكوين. فكررت أعضاء لا تتكرر، ووحدت أجزاء لا تتوحد، أو كان الطاغية المتأله الذي ينازع الله في سلطانه. سؤلت له نفسه أن يتدع نموذجاً منكراً للتكوين البشري، يزعم له خياله أنه أضخم من النموذج العادي للبشر وأوفر أعضاء، وأثقل وزناً، وأعظم لذلك قيمة وأهمية، وتذوقاً للعذاب.

من هذه القصيدة:

طافوا بهم حَوْلَ صَنَعَا يَطْمَسُونَ بِهِمْ
حقاً يضيقُ به الطاغى ويخشاه

وَطَوَّقُوهُمْ جَمِيعاً ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ
 مِنْ الْحَدِيدِ يَهْوُلُ النَّاسَ مَرَأَهُ
 يَكُبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمَنْكِبِهِ
 وَتَلْتَقِي أَرْجُلُ مِنْهُمْ وَأُفْوَاهُ
 إِذَا تَحَرَّكَ فِيهِمْ وَاحِدٌ صَرَخُوا
 وَاسْتَفْحَلَتْ فِيهِمُ الْآلَامُ، وَالْآهُ
 كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ خَطَبٌ لَصَاحِبِهِ
 يُؤْذِيهِ وَهُوَ بَرِيءٌ حِينَ آذَاهُ
 ضَاقَتْ رِقَابُهُمْ فِي الْعُلِّ وَاحْتَرَقَتْ
 أَقْدَامُهُمْ مِنْ رَحِيلٍ طَالَ مَنَاهُ
 إِذَا اسْتَفَاتَ أَسِيرٌ مِنْ مَتَاعِيهِ
 لَبَّثَهُ بُنْدُقَةُ الْجَنْدِيِّ وَرِجْلَاهُ
 فَنَ مِنْ الْبَطْشِ وَالتَّعْذِيبِ مَبْتَكِرُ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ لِلْأَجْيَالِ أَهْدَاهُ

سيقوا جِيعاً ولم يَسْمَخْ مُعَذِّبُهُمْ
 أَنْ يَسْتَعِيدُوا بَزَادِ يَوْمَ بَلَّوَاهُ
 وَسَارَ مِنْ خَلْفِهِمْ جُنْدٌ زَبَانِيَّةٌ
 إِذَا أَتَوْا خِزْيَةً مِنْ أَمْرِهِمْ تَاهُوا
 يَسْتَمْنِحُونَ مِنَ الْأَشْرَى مَا كُلُّهُمْ
 يَا لَوْمَ مَنْ رَاخَ يَسْتَجْدِي ضَحَايَاهُ
 وَالْعَسْكَرِيُّ بَلِيدٌ بِالْأَذَى قَطِينٌ
 كَأَنَّ إِبْلِيسَ لِلطَّغْيَانِ رَبَّاهُ

ومنها:

قَسَوْتُ فِي الْبَطْشِ يَا هَذَا بِلَا تِرَةٍ
 كَأَنْتَ لَدِينَا وَلَا إِثْمٍ كَسَبْنَاهُ
 كُنَّا نَرَاكَ أَبَا بَرَاءٍ، وَمُذْ لَمَعَتْ
 سُيُوفُ بَطْشِكَ رَدَّتْ مَا زَعَمْنَاهُ

ما كان أَجْدَرَ أَنْ تَسْمُو إِلَى المثل
 ... الأعلى وتفهم شيئاً من مَزَاياه
 إِذَا لَكُنْتَ «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» كما
 يَقْضِي لَكَ الحَقُّ فِي أَسْمَى قَضَاياه
 لَكِنْ تَجَنَّيْتَ حَتَّى لَمْ تَدْعُ أَحَدًا
 إِلَّا وَأَفْسَدْتَ دُنْيَا وَأُخْرَاهُ
 أَفْكَارُكَ السُّودُ لَمْ تَتْرِكْ لَشَعْبِكَ مِنْ
 ضَوْءٍ تَجُولُ بِهِ فِي الْأَرْضِ عَيْنَاهُ
 وَقَدْ تَمَكَّنْتَ أَنْ تَقْضِي قَضَاءَكَ فِي
 شَعْبٍ يَسِيرُ بِلَيْلٍ مَا تَعْدَاهُ
 تَسُومُنَا الْخَسْفُ حَتَّى لَيْسَ فِي يَدِنَا
 إِلَّا حَدِيدٌ بَلَا ذَنْبٍ حَمَلْنَاهُ
 أَرْضُ الْجَدُودِ الَّتِي فِيهَا دَمٌ عَبَقَ
 مِنْ رِيحِهِمْ لَمْ تَعُدْ مِمَّا وَرِثْنَاهُ

نَسِيرُ فِيهَا عَبِيداً، أَوْ نَغَادِرْهَا
أَذَلَّةٌ يَا لَبِؤْسٍ قَدْ لَقِينَاهُ

«صنعاء» ويحك ما للظلم قد رسخت
آثامه فيك، واستشزرت خطاياهُ
وسعتِ صدركِ للطغيان يصنعُ ما
يَهْوَى وعينُك تَحْمِيهِ وَتَرْعَاهُ
ومنها:

تَجَلُّدًا أَيُّهَا الْأَحْرَارُ إِنَّ لَكُمْ
وِثْراً عَزِيزاً عَلَيْنَا مَا دَفَقْتَاهُ
إِنَّا وَهَبْنَا شَبَابَ الْعَمْرِ لِلْوَطَنِ الدَّامِي
... وَإِنْقَاذِ عَطَشَاهُ وَغَرْقَاهُ
لَا بَدْءَ أَنْ تَدْرِكُوا يَوْمَ الْخُلَاصِ وَمَا
بُذِّلْنَا أَنْ نُتْلَقِيَ مَا طَلَبْنَاهُ

رثاء السيد عباس بن علي

جاء إليّ إذ كنتُ في عدن السيد أحمد بن عباس بعد أن
توفي والده العالم الشهير في إحدى مستشفيات عدن فحمل
إليّ نبأ وفاة أبيه الراحل.
وأحسستُ بمشاركة وجدانية مع هذا الشاب إزاء فجيعته
بوالده، وعمّق هذه المشاركة أنني كنتُ صحبت الفقيد فترات
طوالاً في «تعز» وحملتُ له في نفسي ذكريات جلة لا تُنسى.
فكبتُ على لسان الشاب المفجوع هذا العزاء:

خَطَبُ أَثَارَ عَلَى الشَّجُونِ شَجُونًا
وَدَهَى الْفَوَادَ الْوَدَاعَ الْمَحْزُونَا
أَوَاه... يَا أَبْتَاهَ لَهْفَةً مُوَجَّعٍ
لَا يَسْتَقِرُّ تَلَهُّفًا، وَحَنِينَا
سَافَرْتُ أَرْتَادَ الشِّفَاءِ، فَلَمْ أَجِدْ
فِي الْأَرْضِ مِنْ طَبِّ يَرُدُّ مَنُونَا
جَاءَ الْعِلَاجُ مِنَ الطَّبِيبِ، يَرِيدُ أَنْ
تُشْفَى وَكَانَ الْمَوْتُ فِيكَ كَمِينَا

أَخْرَظْتُهُ عَنْ وَقْتِهِ وَكَأْتَمَا
نَلْتُ الْحَيَاةَ مِنَ الطَّبِيبِ دِيُونَا
هَيْهَاتَ أَرْتَجِعُ السَّلَامَةَ بَعْدَ أَنْ
ذَهَبْتَ وَحَلَّ الْخَطْبُ فِيكَ يَقِينَا
وَعَدَوْتُ فِي «عَدَن» أَرْوَحَ وَأُعْتَدِي
وَأُظَنَّ فِي كَيْدِ الزَّمَانِ ظَنُونَا
وَأَجُولُ مِنْ حَوْلِ السَّرِيرِ كَأْتَمَا
أَمْسَيْتُ مِنْ أَلَمٍ عَلَيْكَ طَعِينَا
أَتَرَقَّبُ الْأَلْطَافَ تَأْتِي بِالَّذِي
أَعْيَا الطَّبِيبَ وَأَعْجَزَ السَّكْسُونَا
وَإِذَا بِقَارَعَةٍ تَحِلُّ وَتُكْبَةِ
تُضْفِي عَلَيَّ مِنَ الشَّقَاءِ فَنُونَا
وَإِذَا بِقَلْبِي لَا يُطَاقُ وَجِيبُهُ
وَيَدْمَعُ عَيْنِي لَا تَكْفُ هَتُونَا

وإذا بأفراحي التي أوليتني
 وهراً تعود مَناحةً وأنينا
 أبتأه... مَنْ لي أن أوفيك الذي
 خولتنيهِ مدى الحياة سينا
 شاء القضاء بأن تموت مُعرباً
 وأعيش بعدك كالغريب حزينا
 لو كان ينفعك الفدا لرأيتني
 أصبحت دونك في التراب دفينا
 أو كان يؤنسك الجوار وجدتني
 أمسيْتُ عندك في الرّموس خدينا
 أو كان يُجديك البُكاء...
 لنشرت فوق التعش قلباً خافقاً وجفونا
 لكّما علّمتني أن ألّتي
 بالهول ثبتاً والخطوب رزينا

ما إن يُقابِلني الزمانُ بمحنةٍ
 إلا وَقَدْ لُقْنَتْهَا تَلْقِينَا
 ودَّعْتَنِي وَتَرَكْتَ نوراً ساطعاً
 أمحو بطلَعَتِهِ الخُطوبَ الجُونا
 وبَنَيْتَ لي مجداً عريقاً باقياً
 ألقى بِهِ حِصْناً عليَّ حصينا
 أبتأه... كم لي في تُراثِكَ عِزَّةٌ
 تَأبَى عليَّ بأنْ أَعِيشَ مَهِينَا
 أَنِّي أُعْزِي عارِفِيكَ بزرَّةٍ
 حَرَى وَصَبْرٍ لا يَزَالُ مَكِينَا
 أرواحنا لله... إنْ بَقِيَتْ لَنَا
 عِشْنَا، وَأَنْ نُقَلَّتْ إِلَيْهِ رَاضِينَا

بمناسبة العيد الأول لقيام باكستان

اليوم، ولّى بباكستان ماضيها
 نَحِسُّ وَقَعَ خُطَاهُ فِي مِغَانِيهَا
 هَبَّتْ بِهِ نَسَمَاتُ الْبَعَثِ، وَانْطَلَقَتْ
 تَهْزُ كُلَّ دَفِينٍ هَاجِعٍ فِيهَا
 لَمَّا اسْتَهَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بَشَاشَتَهُ
 تَلَقَّيْتِ أَفْقُ الدُّنْيَا تُحْيِيْنَا
 يَوْمَ مِنَ الدَّهْرِ، لَمْ تَضْنَعِ أَشِيعَتَهُ
 شَمْسُ الضُّحَى، بَلْ صَنَعْنَاهُ بِأَيْدِيْنَا
 قَدْ كَوْنَتْهُ أَلُوفٌ مِنْ جَمَاجِمِنَا
 وَجَمَّعَتْهُ قُرُونٌ مِنْ مَآسِينَا
 نَسِجُ أَضْوَائِهِ الْبَيْضَا دَمٌ عَبِيقُ
 سَأَلَتْ بِهِ مُهَجُ الطُّهْرِ الْمُضْحِينَا
 فَكُلَّ ثَانِيَةٍ مِنْهُ لَوْ انْتَسَبَتْ
 عُدَّتْ سُلَالَةً أَشَدَّ مِنْ أَوَالِينَا

أَطْلُ يَغْسِلُ عَنْ أَجَوَانِنَا، ظَلَمَ
 الدُّنْيَا، وَيَعَصِمُنَا مِنْهَا وَيُنَجِّنَا
 يَاوِي إِلَى كُلِّ جَرْحٍ مِنْ جَوَانِحِنَا
 مِنْهُ شُعَاعٌ يُعَزِّينَا، وَيَأْسُونَا

فِي الْعِيدِ، نَذْكُرُ الْآلَامَ ذَاهِبَةً
 عَنَّا، فَتُغْضِبُنَا الذِّكْرَى وَتَرْضِينَا
 لَقَدْ دَفَعْنَا لَهَا الْأَرْوَاحَ غَالِيَةً
 لَكِنْ كَسَبْنَا الْغَوَالِي مِنْ أَمَانِنَا
 مَا أَكْرَمَ الشُّهَدَاءَ الظَّهَرَ إِذْ وَهَبُوا
 لَنَا الْحَيَاةَ، وَذَاقُوا الْمَوْتَ رَاضِينَ
 أَيَّامَ كَانَ الصُّرَاعُ الْمَرَّ يُطْعِمُ
 أَقْوَاةَ الْقُبُورِ مَلَائِينَا مَلَائِينَا
 وَكَانَ رَوْحُ كِتَابِ اللَّهِ، يَبْعَثُ
 جُنْدَ اللَّهِ لِلْمَوْتِ تَيَاهِينَ زَاهِينَا

أبى لَهُم دِينُهُم، أن يتركوا بقرًا
 تمحو السموات أو تُلغي التَّبَيِّنَا
 وأن يُذَلُّوا لأَصْنَامٍ، وقد جَعَلَ
 الإسلامُ عِزَّتَهُم في دِينِهِم دِينَا
 وأن يصيروا، وهُم أَشدَّ زَعَايِفَةً
 وأن يكونوا، وهُم كُثْرَ قَلِيلِنَا
 وأن تَضِيعَ قُوَى الرُّوحِ التي صُنِعَتْ
 في أَلْفِ عامٍ لَهُم صُنْعًا وتكوينًا
 أو يأخذوا مِن يَدِ الرَّحْمَنِ ما وهَبَتْ
 مِنَ الْكُنُوزِ فَيَعْطُوهَا الشَّيَاطِينَا

لَمَّا وَقَفُوا بِعُهُودِ اللَّهِ وَاتَّحَدُوا
 على الكِفَاحِ وعاشوا مُسْتَمِيمَتِينَا
 هَبَّ «الْجَنَاحُ» فَلَبَّاهُمْ وَطَارَ بِهِم
 إلى مَعَاقِلِهِم، غُرًّا مَيَامِينَا

أَرَاهُمْ، آيَةَ اللَّهِ الَّتِي كُتِبَتْ
 لِلْمُؤْمِنِينَ بِهَا عِزًّا وَتَمَكِينًا
 وَالْأَرْضُ لِلَّهِ ، لَا يُلْقَى مَقَادَتُهَا
 لِلْعَاجِزِينَ وَلَا يُغْطَى الْأَذْلِينَ
 لَمْ يَدْخُلُوا سَاحَهَا كَالسَّائِلِينَ لِمَنْ
 فِيهَا، وَلَكِنْ أَتَوْا كَالسَّيْلِ غَازِينَ
 الْأَرْضَ أَرْضَهُمْ فِيهَا جَدُودُهُمْ
 مَاتُوا أَعْزَاءَ أَبْطَالًا مِيَامِينَا
 فَهُمْ إِذَا بَحْثُوا عَنْ نِسْبَةٍ، وَجَدُوا
 آبَاءَهُمْ فِي رُبَاهَا التَّزْبَ وَالطِّينَا

إِنِّي لَأَنْظُرُ بَاكِسْتَانَ فِي عَجَبٍ
 مِنْهَا يُتَيَّمُنَا فِيهَا، وَيُضْبِنَا
 بِنَاؤُهَا الشَّامِخُ الْعِمْلَاقُ يَتَرَكُنَا
 مِنْ الذَّهْوِ حَيَارَى مُسْتَهَامِينَا

كَيْفَ اخْتَفَى وَاَنْطَوَى دَهْرًا فَلَمْ تَرَهُ
 مِنْ قَبْلُ إِلَّا عُيُونُ الْعَبْقَرِيَّيْنَا
 كَانَتْ حَقِيقَتُهُ مِنْ قَبْلِ «قَائِدِهِ»
 وَقَبْلَ «إِقْبَالِهِ» وَهَمَّا وَتَخْمِينَا
 إِنَّ الْحَقَائِقَ قَدْ تَخْفَى، وَإِنْ كَبُرَتْ
 وَقَدْ تَزُولُ بِتَضْلِيلِ الْمَضْلَيْنَا
 لَوْلَاهُمَا، كَانَ هَذَا الصَّبْحُ مَنْقَلَبًا
 لَيْلًا، وَهَذَا الْبِنَاءُ الضَّخْمُ مَدْفُونًا
 وَكَانَ هَذَا الَّذِي يُذَكِّي عَزَائِمَنَا
 عِبْنًا مِنْ الِهَمِّ يُشْجِينَا وَيُبْكِينَا

في استقبال الدكتور عبد الوهاب عزام عند قدومه
سفيراً لمصر في باكستان بفندق متروبول كراتشي.

أَهْلًا بِعِزَامٍ، وَسَهْلًا بِهِ
مِنْ شَعْبِهِ جَاءَ، إِلَى شَعْبِهِ
تَنَالُ بَاكِسْتَانُ مِنْ رُوحِهِ
مَا نَالَ وَادِي التَّيْلِ مِنْ قَلْبِهِ
كِلَاهُمَا، يَكْسِبُ مِنْ عَطْفِهِ
وَمِنْ أَيْادِيهِ، وَمِنْ حُبِّهِ
كُلَّ أَمْرٍ يَحْسِبُهُ مِنْ هَوَى
يُنْمِي إِلَى أَهْلِيهِ، أَوْ سِرِّهِ
وَكُلَّ قُطْرٍ زَاعِمٌ أَنَّهُ
مِنْ مَائِهِ صَيْغٌ، وَمِنْ ثَرِّهِ
وَكُلُّ أَفْقٍ يَدَّعِيهِ لَهُ
مِنْ زُهرِهِ الْغُرِّ، وَمِنْ شُهْبِهِ

الدِّينُ يَدْعُوهُ إِلَى رَبِّهِ
 وَالْعِلْمُ يُضِيئُهُ إِلَى كُتُبِهِ
 وَالشَّعْرُ يَبْغِيهِ لِأَحْلَامِهِ
 هَيْمَانٌ، فِي الرُّؤُوسِ، وَفِي دَرَبِهِ
 وَالْوَطَنُ الْمُخْتَلُّ يَشْكُو لَهُ
 خَطْبَاءَ، وَيَدْعُوهُ إِلَى طَبِّهِ
 يَسْتَنْجِدُ الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِهِ
 وَيَسْتَمِدُّ الرَّأْيَ مِنْ لُبِّهِ
 وَالْقَلَمُ الشَّاعِرُ فِي أَنْمُلِي
 يُنَازِعُ الْكُلَّ عَلَى جَذْبِهِ
 آخُذُهُ رِفْقًا، فَإِنْ لَمْ أَقْزُ
 بِالرَّفْقِ صَمَمْتُ عَلَى غَضْبِهِ
 فَهُوَ الْمُنَى مَنْ حَازَهَا كَفَّهُ
 فَالْصَّيْدُ، كُلُّ الصَّيْدِ فِي كَسْبِهِ

يَا كَرَمَ التَّيْلِ، وَيَا جُودَهُ
لِكُلِّ فُطْرٍ ضَجَّ مِنْ جَذْبِهِ
بَعَثَتْ أَهْلِي جَذُولٍ سَلْسَلٍ
تُذِيقُ بَاكِسْتَانَ مِنْ عَذْبِهِ
أَنْهَارُ «بَنْجَابٍ» بِهِ تَلْتَقِي
لُقْيَا جَوْ وَافِي إِلَى حَبِّهِ
قَدْ طَالَمَا هَامَ إِلَى وَرْدِهَا
وَطَالَمَا هَامَتْ إِلَى شَرْبِهِ
هَشَّ لَهُ تَيَّارُهَا، وَازْدَهَى
زَهْوُ الثَّرَى هَشَّ إِلَى سُحْبِهِ
تَعَبَهُ عَبَّأً، وَيَعْدُو بِهِ
خَضَمَهَا، نَشْوَانٌ فِي وَثْبِهِ
فَكُلِّ مَوْجٍ، طَامِحٌ شَامِخٌ
كَأَنَّهُ الْأَهْرَامُ، فِي عُجْبِهِ

وكلّ نَبْعٍ، واثبّ صاخِبُ
 كأنّ رُوحَ الثَّيْلِ تَجْرِي بِهِ

عزّامُ، يا مَنْ رُوحُهُ شُغْلَةٌ
 تَكْشِفُ لِلشَّرْقِ دُجَى خَطْبِهِ
 يا هِبَةَ الثَّيْلِ، إلى أُمّةٍ
 تَهَيِّمُ فِي الثَّيْلِ، وفي شُغْبِهِ
 أنظر إلى الإسلامِ ما باله
 أَجْمَعَتِ الدُّنْيَا على حَرْبِهِ
 قَاطَعَهُ، حتّى حَوَارِيَهُ
 وأَجْفَلُوا عَنْهُ، وعن قُرْبِهِ
 عَلامَ هذا الخَوْفِ مِنْ نورِهِ
 وفيَمَ هذا الضِّيقُ مِنْ رَحْبِهِ
 وكيفَ نَخْشَاهُ على أُمّةٍ
 مِنْ رُوحِهِ صِيغَتْ، وَمِنْ كَسْبِهِ

سَادَتْ عَلَى الدُّنْيَا بسلْطَانِهِ
 وراعتِ الأعداءِ مِنْ غَضْبِهِ
 وجاءَ عَهْدُ جاهِلٍ ما انطوى
 من مجْدِهِ الماضي، وَمِنْ غَيْبِهِ
 يأخُذُ عَنْ أعدائِهِ رَأْيَهُ
 في سَعْيِهِ الأعمى، وفي دَرْبِهِ
 ويَقْبَلُ الزَّعَمَ بأنَّ الدواء
 في كَفِّهِ يُفْضِي إلى نَحْبِهِ
 يَخْجَلُ من رُوحٍ، به أَغْرَقَتْ
 كَأَنَّمَا يَخْجَلُ مِنْ دَنْبِهِ
 وأنْظُرْ إلى الأوطانِ مَنكُوبَةٍ
 تخِيطُ في الليلِ، وفي رُغْبِهِ
 في كلِّ أرضٍ وَطَنٍ موثَّقٍ
 يَعيشُ في القَيْدِ، وفي كَرْبِهِ

قَدْ عَقَّهُ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِهِ
 وَخَانَهُ التَّائِبُ مِنْ تُرْبِهِ
 قَسَوْا عَلَيْهِ، وَهُمْ أَهْلُهُ
 فِي مِخْنَةِ الدَّهْرِ وَفِي خَطْبِهِ
 قَدْ شَارَكُوا الطَّاعِمَ مِنْ لَحْمِهِ
 وَسَاعَدُوا الْغَاصِبَ فِي غَضْبِهِ
 يَرْتَزِقُ الْخَائِنُ مِنْ بَيْعِهِ
 وَيَأْكُلُ الظَّالِمُ مِنْ نَهْبِهِ
 وَالنَّادِبُ الْبَاكِي عَلَى نَعْشِهِ
 يَسْعَى مَعَ السَّاعِي إِلَى صُلْبِهِ
 أَلْسِنَةٌ تَهْذِي لَتَضْلِيلِهِ
 وَأَتْمَلُ تَمَتُّدُ فِي سَلْبِهِ
 يُغْطُونَهُ فِي خَطْبِهِ أَذْمَعًا
 تَزِيدُ فِي الْخَطْبِ وَفِي جَلْبِهِ

مَا فَعَلَ الْإِسْلَامُ فِي شَرْقِهِ
 مِنْ أَجْلِ كَشْمِيرٍ، وَفِي غَرْبِهِ
 يَسْتَنْجِدُ الْجُرْحُ بِنَا صَارِخاً
 فَنُفْسُكَ الْأَيْدِي عَنْ رَأْيِهِ
 فَمَا هُوَ الْإِسْلَامُ مَا شَأْنُهُ
 وَمَا انْسِيَاكُ النَّاسِ فِي رَكْبِهِ
 إِنْ كَانَ لَفُظاً خَاوِياً زَائِفاً
 فَلْتُجْمِعِ الْأَمْرَ عَلَى شَطْبِهِ
 أَوْ كَانَ شِراً فَلْتُنَدِّ بِهِ
 وَلْتُطْلِعِ الدُّنْيَا عَلَى ثَلْبِهِ
 أَوْ كَانَ جُبْناً أَنْ يَرَانَا الْوَرَى
 مِنْ زَادَةِ الدِّينِ وَمِنْ حِزْبِهِ
 فَهِيَ هِيَ الْيَابَانُ مَا بَالُهَا
 لَمْ تَقْتَفِ الْعَرَبَ وَلَمْ تُشَبِّهِ

أَلَيْسَ يُرْضِي الْعَرْبَ مَنَّا سِوَى
 أَنْ نَنْزِعَ الْأَزْوَاحَ فِي حُبِّهِ
 أَلَيْسَ يَكْفِيهِ، بَأْنَا نُرَى
 فِي قَيْدِهِ الْعَاتِي، وَفِي ثَوْبِهِ؟

عِزَامُ، هَذِي زَفْرَةٌ أُطْلِقَتْ
 مِنْ لَهَبِ الرُّوحِ وَمِنْ دَوْبِهِ
 ثَارَتْ عَلَى صِمْتِي، وَضَاقَتْ بِهِ
 وَفَجَّرَتْ دَمْعِي، مِنْ غَرْبِهِ
 فِي مَوْكِبِ اللَّقْيَا يَذِيعُ الْهَوَى
 وَيَخْرُجُ الْمَسْتَوْرُ مِنْ حُجْبِهِ
 وَيَذْهَلُ الْعَاشِقُ عَنْ عَقْلِهِ
 وَيَكْشِفُ الْهَيْمَانُ عَنْ قَلْبِهِ

ميلاد القائد الأعظم الباكستاني محمد علي جناح

كتب للإذاعة الباكستانية في ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٧١:

عَصُورٌ مِّنَ الدِّيَجُورِ أَنْجَبْنَ كَوْكَبًا
 أَنْزَلَ بِهِ شَرْقًا، وَأَذْهَشْنَ مَغْرِبًا
 مَحَوْنَ بِهِ أَثَامَهُنَّ الَّتِي مَضَتْ
 وَأَنْهَضْنَ مِنْهُ حَظَّهُنَّ الَّذِي كَبَا
 وَأَخْرَجْنَ شَعْبًا، كَانَ كَنْزًا مُضِيْعًا
 تُرَاقِبُهُ الدُّنْيَا، وَسِرًّا مُخْجَبًا
 يَعْيشُ بِسَجْنٍ مِّنْ رُّقَى، وَطَلَّاسِمٍ
 أَسِيرًا صَّمُوتًا، خَائِفًا، مُتَرَقِّبًا
 أَخَفَّ مِنَ الْأَوْهَامِ وَقَعًا عَلَى النَّهْيِ
 وَأَتَأَى عَنِ الْمَوْتَى، وَأَخْفَى مِنَ الْهَبَا

تُطَلِّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ عَمِيًّا كَلِيلَةً
 كَأَنَّ بِهَا مَسًّا مِنَ السَّحَرِ مُغْرِبًا
 إِذَا وَهَبَتْهُ سَاطِعًا مِنْ ضِيَائِهَا
 تَحَوَّلَ مِنْ فِعْلِ الطَّلَاسِمِ غَيْهَبًا

وَجَاءَ جَنَاحُ كَوْكَبًا فِي شُعَاعِهِ
 عِيُونَ مِنَ الْأَقْدَارِ تَجْلُو الْمُعَيَّبَا
 صَحَا مِنْ سِنَاهِ الشَّعْبُ وَالتَفَّ حَوْلَهُ
 يَدَا حُرَّةٍ طُولَى، وَجَيْشًا مَدْرَبَا
 وَهَبَّتْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ قُبُورِهَا
 هُبُوبَ الْيَتَامَى يَنْشِدُونَ لَهُمْ أَبَا
 رَأَتْ نَفْسَهَا فِي ضَوْئِهِ، فَتَكَشَّفَتْ
 لَهَا، وَاسْتَبَانَتْ أَمْرَهَا الْمُتَشَعَّبَا
 وَكَانَتْ، قَدْ ارْتَابَتْ قَدِيمًا بِنَفْسِهَا
 وَشَكَّتْ، كَمَنْ قَدْ شَكَّ فِيهَا، وَكَذَّبَا

فَأَلَفَتْ قَوَى مَذْخُورَةً فِي كِيَانِهَا
 وَجِيلاً مِنَ الْإِسْلَامِ رَيَّانَ مُخْصِبَا
 وَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ تَرَاهُ مُكَبَّلًا
 وَتَتْرُكُهُ زَهْنَ الْخُطُوبِ مُعَذِّبَا
 فَنَادَتْ جَنَاحاً كَيْ يُحَلَّ وَثَاقُهُ
 وَيَمْنَحَهُ مِنْ رِبْقَةِ الذِّلِّ مَهْرَبَا
 وَيُعْطِيَهُ وَسْطَ الدِّيَاجِيرِ مَشْعَلًا
 يَشُقُّ لَهُ مِنْهُ طَرِيقًا، وَمَذْهَبَا

وَفِي كُلِّ صَوْبٍ مِنْ ثَرَى الْهِنْدِ أُمَّةٌ
 تَلَوْنَ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَأَغْرَبَا
 تَجَمَّعَ فِيهَا كُلَّ جَنْسٍ، فَمَزَّقَ
 التَّجَمُّعَ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَخَرَّبَا
 يُصَاقِبُ جَارٌ جَارَهُ، فِي دِيَارِهِ
 حَقُوداً عَلَيْهِ، ثَائِرُ النَّفْسِ مُغْضَبَا

كأَنَّهُمَا قِرْنَا وَغَى، قَدْ تَرَبَّصَا
 بِحِضْنَيْهِمَا، وَاسْتَجَمَعَا، وَتَلَبَّيَا
 وَأَغْجَبُ أَمْرٍ فِيهِمُ الْبَقَرُ الَّتِي
 تُثِيرُ خِلَافاً دَامِياً وَتَعْصِبَا
 فَذَا زَاعِمٌ فِيهَا إِلَهًا مَقْدَساً
 وَذَا وَاجِدٌ مِنْهَا غِذَاءً مُحَبَّباً

أَفِي الْعَقْلِ، أَنْ تُبْنَى مِنْ الْحِفْدِ أُمَّةٌ
 مَوْحِدَةٌ أَوْ تُرْتَجَى، أَوْ تُرْتَبَا
 وَيُتْرَكَ فِيهَا شَعْبَهَا مَتَطَايِنًا
 تَجْمَعُ فِي أَحْقَادِهِ، وَتَأْلَبَا
 أَبَى اللَّهِ هَذَا، مَا عَسَى يَصْنَعُ الْوَرَى
 بِأَجْمَعِهِمْ فِيهِ، إِذَا اللَّهُ قَدْ أَبَى
 لَقَدْ جَمَعَ الشَّيْطَانُ لِلْكَنْدِ أَهْلَهُ
 وَأَزْجَفَ بِالْأَحْقَادِ دَهْرًا، وَأَجْلَبَا

فما هو إلا أن رمى الله نحره
 بسهم إذا ما انقضَّ أودى وأعطبا
 وسدَّ قلبَ القائدِ الأعظمِ الذي...
 اصطفاه لتنفيذِ المشيئةِ واجتَبَى
 فؤادَ إلهي المَشيئةِ كُلِّما
 دَجى الخطبُ أذكى عزمه فتكَهَرَبَا
 ترَعَرَع، في مَهْدِ الصُّراعِ، فصارعَ...
 الليالي، وقاساها، وذاق، وجَرَبَا
 إذا نزلت فيه حُطوبٌ جديدةٌ
 أجَدَّت قواه فانبرى وتأهَّبَا
 وعاش «جناح» في السَّماءِ مُحَلِّقاً
 طموحاً إلى عليائها متوثِّبَا
 يكاد إذا ما اختكَّ في النِّجمِ يشعل...
 السُّهى كِثْقَابٍ مِنْ ثِقَابٍ تَلَهَّبَا

يُكَافِحُ أَعْدَاءَ وَيَضْنَعُ أُمَّةً
وَيَقْتَادُ أَسَادًا، وَيُنَجِّبُ أَعْقَبًا
يُولُون: غَالِي فِي الطَّمُوحِ، وَمَا دَرَوْا
بَأَنَّ لَهُ قَلْبًا مِّنَ الْأَرْضِ أَرْحَبَا
يُفَكِّرُ فِيمَا لَا يُفَكِّرُ قَوْمُهُ
بِهِ، وَيُرِيهِمْ أَبْعَدَ الْأَمْرِ أَقْرَبَا
وَيُشْعِلُ فِيهِمْ مِنْ حِمَاسٍ يَحْسُهُ
لِرَأْيِ لَهُ لَمْ يَفْقَهُوا مِنْهُ مَطْلَبَا
وَأَثْقَلُ أَغْبَاءِ الْعُلَى خَلَقَ أَنْفُسِ
تُضْحِي لِأَمْرِ لَا يَزَالُ مُعَيِّبَا

نُحْيِيهِ فِي يَوْمٍ نُحَسُّ شُعَاعَهُ
بِأَنْفَاسٍ ذِكْرَاهُ شِدِيدًا مُطَيِّبَا
نُحْيِي بِذِكْرَاهُ النَّهَارَ الَّذِي بِهِ
عَلَيْنَا تَجَلَّى، وَالْقَضَاءُ الَّذِي حَبَا

إذا جاءَ هذا اليومُ، جاءَ وليدُهُ
 «جُناحُ» فقلنا فيه أهلاً ومَرَحَبا
 وعادتْ بهِ الدُّنيا جديداً وجدَّدَتْ
 بهِ فَرَحَهُ كُبرى، وعيداً ومَوْكِبا
 كذا يَفْهَرُ الأبطالُ مَعنى فنائِهِم
 وما ماتَ مَنْ أخيا شُعباً وأنجبا

صِيحَةُ الْبَعثِ

أُلْقِيَتْ فِي أَوَّلِ اجْتِمَاعِ عَامِ لِحْزَبِ
الْأَحْرَارِ الْيَمْنِيِّينَ بَعْدَ عَامِ ١٩٤٣.

سَجِّلْ مَكَانَكَ فِي التَّارِيخِ يَا قَلَمُ
فَهَلْهُنَا تُبْعَثُ الْأَجْيَالُ، وَالْأُمَمُ
هنا القلوبُ الْأَبْيَاطُ الَّتِي اتَّحَدَتْ
هنا الحنانُ، هنا القُرْبَى، هنا الرَّجْمُ
هنا الشَّرِيعَةُ مِنْ مَشْكَاتِهَا لَمَعَتْ
هنا الْعَدَالَةُ وَالْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
هنا الْعُرُوبَةُ فِي أَبْطَالِهَا وَثَبَّتْ
هنا الْإِبَاءُ، هنا الْعَلْيَاءُ، هنا الشَّمَمُ
هنا الْكَوَاكِبُ، كَانَتْ فِي مَقَابِرِهَا
وَالْيَوْمَ تُشْرِقُ لِلدُّنْيَا، وَتَبْتَسِمُ

هنا الصوارمُ من الأغمارِ ثائرةً
هنا الضياعُ في الغاباتِ تضطدُّ
هنا البراكينُ هبَّتْ من مضاجِعِها
تطغى، وتكتسحُ الطاغى، وتلتهمُ
لسنا الأولى أيقظوها من مراقِدها
اللهُ أيقظَها، والسَّخَطُ، والألمُ
شَغِبَتْ تَفَلَّتْ مِنْ أَغْلالِ قَاهِرِهِ
حُرّاً فَأَجْفَلَ مِنْهُ الظُّلُمُ، وَالظُّلُمُ
نَبَا عَنِ السَّجَنِ ثُمَّ ارْتَدَّ يَهْدِمُهُ
كيلاً تُكَبِّلُ فِيهِ بَعْدَهُ قَدَمُ
قَدْ طَالَمَا عَذَّبُوهُ، وَهُوَ مُضْطَبَّرُ
وَشَدَّ مَا ظَلَمُوهُ، وَهُوَ مُحْتَكَمُ
لَمْ يَكْفِهِمْ، أَنَّهُ عَبْدٌ، وَأَنَّهُمْ
أَرْبَابُهُ، وَيَحْسِبُونَ اللَّهَ دُونَهُمْ
أَذَابَ مُهْجَةٍ فِيهِمْ، فَمَا اعْتَرَفُوا
بِهَا، وَلَا قَنِعُوا مِنْهَا، وَلَا سَئِمُوا

إِنَّ الْقِيُودَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى قَدَمِي
 صَارَتْ سِهَاماً، مِنْ السَّجَانِ تَنْتَقِمُ
 إِنَّ الْأَنِينَ الَّذِي كُنَّا نُرَدِّدُهُ
 سَرّاً، غَدَا صِيحَةً تُضْغِي لَهَا الْأُمَمُ
 وَالْحَقُّ يَبْدَأُ فِي آهَاتِ مُكْتَتِبٍ
 وَيَنْتَهِي بِزُئِيرٍ مِلْؤُهُ نِقَمُ

جُودُوا بِأَنْفُسِكُمْ لِلْحَقِّ، وَاتَّجِدُوا
 فِي حَزْبِهِ، وَثِقُوا بِاللَّهِ، وَاعْتَصِمُوا
 لَمْ يَبْقَ لِلظَّالِمِينَ الْيَوْمَ مِنْ وَزَرٍ
 إِلَّا أَنْوْفُ ذَلِيلَاتٍ سَتَنْحَطِمُ
 إِنَّ اللَّصُوصَ وَإِنْ كَانُوا جَبَابِرَةً
 لَهُمْ قُلُوبٌ مِنَ الْأَطْفَالِ تَنْهَزُمُ
 وَالشَّعْبُ لَوْ كَانَ حَيّاً، مَا اسْتُخِفَّ بِهِ
 فَرْدٌ، وَلَا عَاثَ فِيهِ الظَّالِمُ النَّهْمُ

رثاء شعب

بدأت المراثاة على أثر مصرع الثورة اليمنية الدستورية عام
١٩٤٨.

وأنا مُطارَد في الهند، هارب من البشر، محظور عليّ أن أمشي
على ظهر الأرض، اسمي مسجّل في القائمة السوداء بمصر في
عهد فاروق، فلما سقط الطاغية، وحررتنا ثورة ٢٣ يوليو أتممت
المراثاة الضارية في حدائق قصر المنتزه بالإسكندرية بعد أن أصبح
ملكاً للشعب:

وبذلك تحوّل القصر الباذخ وجنانه الفيحاء بفضل الثورة المجيدة
من محراب تُعبد فيه سلالة الملوك وتولّد عناصر الفساد وتلعب
وترتع إلى ساحات يُجلّد فيها الطغاة وتسحبهم فيها لعنات
الشعب على وجوههم.

ما كنتُ أخسبُ أنّي سوفَ أبكيه

وأنّ شِغري إلى الدنيا سَيَنعِيه

وأنني سوفَ أبقى بَعْدَ نَكْبَتِهِ

حيّاً أُمزّقُ رُوحِي في مَراثِيه

وأنّ مَنْ كنتُ أَرجوهُمَ لنَجِدَتِهِ

يومَ الكَريهةِ كانوا من أَعادِيه

أَلْقَى بِأَبْطَالِهِ فِي شَرِّ مَهْلَكَةٍ
 لَأَنَّهُمْ حَقَّقُوا أَغْلَى أَمَانِيهِ
 قَدْ عَاشَ دَهْرًا طَوِيلًا فِي دِيَاغِرِهِ
 حَتَّى انْمَحَى كُلُّ نُورٍ فِي مَاقِيهِ
 فَصَارَ لَا اللَّيْلُ يُؤْذِيهِ بِظُلْمَتِهِ
 وَلَا الصَّبَاحُ إِذَا مَا لَاحَ يَهْدِيهِ

فَإِنْ سَلِمْتُ فَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ
 خُلَاصَةَ الْعَمْرِ مَاضِيهِ، وَآتِيهِ
 وَكُنْتُ أَخْرِصُ لَوْ أَنِّي أَمُوتُ لَهُ
 وَخُذِي فِدَاءً وَيَبْقَى كُلُّ أَهْلِيهِ
 لَكِنَّهُ أَجَلٌ يَأْتِي لِمَوْعِدِهِ
 مَا كُلُّ مَنْ يَتَمَنَّاهُ مُلَاقِيهِ
 وَلَيْسَ لِي بَعْدَهُ عَمْرٌ وَإِنْ بَقِيَتْ
 أَنْفَاسُ رُوحِي تُفْدِيهِ، وَتَرْثِيهِ

فَلَسْتُ أَشْكُنُ إِلَّا فِي مَقَابِرِهِ
 وَلَسْتُ أَفْتَاتُ إِلَّا مِنْ مَاسِيهِ
 وَمَا أَنَا مِنْهُ إِلَّا زَفْرَةٌ بَقِيَتْ
 تَهِيمٌ بَيْنَ زُفَاتٍ مِنْ بَوَاقِيهِ

إِذَا وَقَفْتُ جثا دَهْرِي بِكَلْكَلِهِ
 فَوْقِي وَجَرَّتْ بِيَأْفُوخِي دَوَاهِيهِ
 وَإِنْ مَشَيْتُ بِهِ أَلَقْتُ غَيَاهِبُهُ
 عَلَى طَرِيقِ شِبَاكَأَ مِنْ أَفَاعِيهِ
 تَكَتَّلْتُ قُوَّةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
 فِي طَعْنَةٍ مَزَّقَتْ صَدْرِي وَمَا فِيهِ!

أَنْكَبَةً مَا أُعَانِي أَمْ رُؤَى حُلْمٍ
 سَهَتْ فَأَبْقَتْهُ فِي رُوحِي دَوَاهِيهِ
 أَعْوَامُنَا فِي النُّضَالِ النَّمْرُ جَائِيَّةَ
 تَبْكِي النُّضَالِ، وَتَبْكِي خُطْبَ أَهْلِيهِ

بالأمسِ كَانَتْ عَلَى الطُّغْيَانِ شَامِخَةً
 تَجْلُوهُ عَاراً عَلَى الدُّنْيَا وَتُخْزِيهِ
 وَازْتَاغَ مِنْهَا ظُغَاءٌ مَا لَهَا صِلَةٌ
 بِهِمْ، وَلَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ تُنَاوِيهِ
 لَكِنَّهُمْ أَنْسَوْهَا شُعْلَةً كَشَفَتْ
 مَنْ كَانَ عُرْيَانٌ مِنْهُمْ فِي مَخَازِيهِ
 فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِلْعَذْرِ، وَانْتَدَبُوا
 لَكَيْدِنَا كُلِّ مَاجُورٍ، وَمَشْبُوهٍ
 وَاسْتَكَلَبَتْ ضِدَّنَا آلَافُ السِّنَةِ
 تَسُومُنَا كُلَّ تَجْرِيجٍ، وَتَتَشْوِيهِ
 مِنْ كُلِّ مُرْتَزِقٍ لَوْ نَالَ رَشْوَتَنَا
 أَنْالَنَا كُلَّ تَبْجِيلٍ، وَتَتَوِيهِ
 وَكُلَّ أَغْمَى أَرَدْنَا أَنْ نَرُدَّ لَهُ
 عَيْنِيهِ، فَاَنْفَجَرَتْ فِينَا لِيَالِيهِ!

وَكَلَّ بوقَ أَصَمِّ الحِجْسِ لو تَبَحَثَ
 فِيهِ الكِلَابُ لَزَكَّاهَا مُزَكِّيهِ
 وَأَلْبُوا الشَّعْبَ ضَدَّ الشَّعْبِ وَأَنْدَرَأُوا
 عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ تَضْلِيلٍ وَتَمُوِيهِ

يا شَعْبَنَا نَصَفَ قَرْنٍ فِي عِبَادَتِهِمْ
 لَمْ يَقْبَلُوا مِنْكَ قَرِيباً تُؤَدِّيهِ
 رَضِيَّتَهُمْ أَنْتَ أَرْبَاباً وَعِشْتَ لَهُمْ
 تُنِيلُهُمْ كُلَّ تَقْدِيسٍ، وَتَأْلِيهِ
 لَمْ تَرْتَفِعْ مِنْ حَضِيضِ الرِّقِّ مَرْتَبَةً
 وَلَمْ تَذُقْ رَاحَةً مِمَّا تُقَاسِيهِ
 وَلَا اسْتَطَاعَتْ دُمُوعُ مِنْكَ طَائِلَةً
 تَطْهِيرَ طَاغِيَةٍ مِنْ سَكْرَةِ التِّيهِ
 وَلَا أَضْحَتْ إِلَيْنَا مَغْشَراً وَقَفُوا
 حَيَاتَهُمْ لَكَ فِي نُضْحٍ وَتَوْجِيهِ

تَبْنِي لَكَ الشَّرَفَ الْعَالِي فَتَهْدِيهِ
وَنَسَحَقُ الصَّنَمَ الطَّاغِي فَتَبْنِيهِ
نَقْضِي عَلَى خَضَمِكَ الْأَفْعَى فَتَبْعُهُ
حَيًّا وَنُشْعِلُ مِصْبَاحًا فَتُطْفِئِهِ
قَضَيْتَ عُمرَكَ مَلْدُوغًا، وَهَا أَنَذَا
أَرَى بِحِضْنِكَ تُغْبَانَا تُرَبِّيهِ
تَشْكُو لَهُ مَا تُتْلَاقِي وَهُوَ مَبْعُثٌ...
الشُّكْوَى وَأَصْلُ الْبَلَا فِيمَا تُتْلَاقِيهِ
أَخْلَى أَمَانِيهِ فِي الدُّنْيَا دُمُوعُكَ...
تُجْرِيهَا وَرَأْسُكَ تَحْتَ النَّيْرِ تُخَيِّبُهُ
وَجُرْحُكَ الْفَاغِرُ الْمَلْسُوعُ يَخْقِئُهُ
سُمًّا، وَيُغْطِيهِ طِبًّا لَا يُدَاوِيهِ
فَلَا تُضِغْ عُمرَ الْأَجْيَالِ فِي ضِغَّةِ
الشُّكْوَى فَيَكْفِيكَ مَاضِيهِ، وَيَكْفِيهِ

فَمَا صُراخُكَ فِي الأبْوابِ يَغْطِطُهُ
وَلَا سَجُودُكَ فِي الْأَعْتَابِ يُرْضِيهِ
لَا عُنْقَكَ الرَّاكِعُ الْمَذْبُوحُ يُشْبِعُهُ
بَطْشًا، وَلَا دُمُكَ الْمَسْفُوحُ يُرْوِيهِ
فَامْذُذْ يَدَيْكَ إِلَى الْأَخْرَارِ مُتَّخِذًا
مِنْهُمْ مَلَاذِكَ مِنْ رِقٍّ تُعَانِيهِ
مَاتُوا لِأَجْلِكَ ثُمَّ انْبَثَّ مِنْ دَمِهِمْ
جَيْلٌ تَوَجَّجُهُ الذِّكْرَى، وَتُذَكِّيهِ
يَعِيشُ فِي التَّكْبَةِ الْكُبْرَى وَيَجْعَلُهَا
دَرْسًا إِلَى مُقْبِلِ الْأَجْيَالِ يُمْلِيهِ
لَا يَقْبَلُ الْأَرْضَ لَوْ تُعْطِيَ لَهُ ثَمَنًا
عَنْ نَهْجِهِ فِي نِضَالٍ، أَوْ مَبَادِيهِ
قَدْ كَانَ يَخْلُبُهُ لَفْظُ يَفُوه بِهِ
طَاغٍ، وَيَخْدَعُهُ وَغْدٌ، وَيُغْوِيهِ

وَكَانَ يُعْجِبُهُ لِحْصٌ يَجُودُ لَهُ
 بَلَقَمَةٍ سَلَهَا بِالْأَمْسِ مِنْ فِيهِ
 وَكَانَ يَحْتَسِبُ التَّمْسَاحَ رَاهِبَهُ
 الْقَدِيسَ مِنْ طَوْلِ دَمْعٍ كَانَ يُجْرِيهِ
 وَكَانَ يَبْذُلُ دُنْيَاهُ لِحَاكِمِهِ
 لِأَنَّهُ كَانَ بِالْآخِرَى يَمْتَنِيهِ
 وَكَانَ يَرْتَاغُ مِنْ سَوْطٍ يَلُوحُ لَهُ
 ظَنًّا بِأَنَّ سَلَامَ الرِّقِّ يُنْجِيهِ
 وَالْيَوْمَ قَدْ شَبَّ عَنْ طَوْقٍ، وَأَنْضَجَهُ
 دَمٌ، وَهَزَّتْهُ فِي عُنفٍ مَعَانِيهِ
 رَأَى الطَّغَاةَ بِأَنَّ الْخَوْفَ يَقْتُلُهُ
 وَفَاتَهُمْ أَنْ عُنفَ الْحَقْدِ يُخَيِّبُهُ

قَالُوا انْتَهَى الشَّعْبُ إِنَّا سَوْفَ نَقْذِفُهُ
 إِلَى جَهَنَّمَ تَمْحُوهُ، وَتُلْغِيهِ

فَلْيَنْطَفِئْ كُلَّ وَفَضٍ مِنْ مَشَاعِرِهِ
 وَلْيَنْسَجِقْ كُلَّ نَبْضٍ مِنْ أَمَانِيهِ
 وَلْيَخْتَنِقْ صَوْتُهُ فِي ضَجَّةِ اللَّهَبِ...
 الْأَعْمَى وَتَحْتَرِقِ الْأَنْفَاسُ فِيهِ
 لِنَشْرَبِ الْمَاءَ دِمَاءَ مَنْ مَذَابِجِهِ
 وَلِنَخْتَسِرَ الْخَمَرَ دَمْعاً مِنْ مَاقِيهِ
 وَلِنَفْرَحَ الْفَرْحَةَ الْكُبْرَى بِمَآئِمِهِ
 وَلِنَضْحَكِ الْيَوْمَ هُزْوَهُ مِنْ بَوَاكِيهِ
 وَلِنَمْتَلِكْ كُلَّ مَا قَدْ كَانَ يَمْلِكُهُ
 فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ مِنْ كُلِّ أَهْلِيهِ
 وَلْيَنْسِهَ النَّاسُ حَتَّى لَا يَقُولَ قَمَمٌ
 فِي الْأَرْضِ ذَلِكَ شَعْبٌ مَاتَ نَرْتِيهِ

وَيَحِ الْخِيَانَاتِ، مَنْ خَانَتْ وَمَنْ قَتَلَتْ؟
 عَزَبِيدُهَا الْفَطْ يُرْدِيهَا وَتُرْدِيهِ

الشَّعْبُ أَغْظَمُ بَطْشاً يَوْمَ صَخَوَتِهِ
 مِنْ قَاتِلِيهِ، وَأَذْهَى مِنْ دَوَاهِيهِ
 يَغْفُو لَكِي تَخَدَّعَ الطَّغْيَانَ غَفْوَتَهُ
 وَكُنِي يُجَنِّ جُنُوناً مِنْ مَخَازِيهِ
 وَكُنِي يَسِيرَ حَثِيثاً صَوَّبَ مَضْرَعِهِ
 وَكُنِي يَخْرُ وَشِيكاً فِي مَهَاوِيهِ

عَلَّتْ بِرُوحِي هُمُومُ الشَّعْبِ وَارْتَفَعَتْ
 بِهَا إِلَى فَوْقَ مَا قَدْ كُنْتُ أَبْغِيهِ
 وَخَوَّلْتَنِي الْمَلَائِكُ الَّذِينَ قُتِلَتْ
 حَقُّ الْقِصَاصِ عَلَى الْجَلَادِ أُمُضِيهِ
 عِنْدِي لَشَرِّ طُغَاةِ الْأَرْضِ مَحْكَمَةٌ
 شِعْرِي بِهَا شَرُّ قَاضٍ فِي تَقَاضِيهِ
 أَذْعُو لَهَا كُلَّ جَبَّارٍ، وَأَسْحَبُهُ
 مِنْ عَرْشِهِ تَحْتَ عِبَاءٍ مِنْ مَسَاوِيهِ

يُحْنِي لِي الصَّنَمُ الْمَغْبُودُ هَامَتَهُ
إِذَا رَفَعَتْ لَهُ صَوْتِي أُنَادِيهِ
أَقْصَى أَمَانِيهِ مِنِّي أَنْ أُجَنَّبَهُ
حُكْمِي، وَأَذْفُنَّهُ فِي قَبْرِ مَاضِيهِ
وَشَرَّ هَوْلٍ يُلَاقِيهِ، وَيَسْمَعُهُ
صَوْتُ الْمَلَائِكِينَ فِي شِغْرِي تُنَاجِيهِ
وَأَنْ يَرَى فِي يَدَيِ التَّارِيخِ أَثْقَلُهُ
بِكُلِّ مَا فِيهِ لِلدُّنْيَا وَأَزْوَرِهِ
يَرَى الَّذِي قَدْ تُوفِي حُلْمَ قَافِيَةٍ
مِنِّي فَيُفْجِعُنِي رُغْبًا فِي تَوْقِيهِ!!
وَلَيْسَ يَغْرِفُ أَتَى سَوْفَ الْحَقُّهُ
فِي قَبْرِهِ إِزْدَادَ مَوْتًا، أَوْ مَرَاثِيهِ
أَذْيَقُهُ الْمَوْتَ مِنْ شِغْرِ أُسْجَرِهِ
أَشَدُّ مِنْ مَوْتِ عِزْرِيلِ قَوَافِيهِ
مَوْتُ تَجَمُّعٍ مِنْ حِقْدِ الشُّعُوبِ
عَلَى الطَّغْيَانِ فَازْدَادَ هَوْلًا فِي مَعَانِيهِ

يَوْزُهُ فِي اللَّطَى غَمَزَى، وَيُذْهِلُهُ

عَنِ الْجَحِيمِ، وَمَا فِيهِ، وَمَنْ فِيهِ

سَأْنِشُ الْآهَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى جَمَمًا

قَدْ أَنْضَجَتْهُ قُرُونٌ مِنْ تَلْظِيهِ

وَأَجْمَعُ الدَّمْعَ طوفاناً أزيلُ بِهِ

حُكَمَ الشَّرُورِ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْفِيهِ

أَحَارِبُ الظُّلَمَ مَهْمَا كَانَ طَابَعُهُ

الْبَرَّاقُ أَوْ كَيْفَمَا كَانَتْ أَسَامِيهِ

جَبِينُ جَنْكِيزَ تَحْتَ السَّوْطِ أَجْلِدُهُ

وَلَحْمُ نِيرونَ بِالسَّفُودِ أَشْوِيهِ

سَيَّانَ مَنْ جَاءَ بِاسْمِ الشَّعْبِ يَظْلِمُهُ

أَوْ جَاءَ مِنْ «لندن» بِالْبَغْيِ يَبْغِيهِ!

«حَجَّاجُ حَجَّةٍ» بِاسْمِ الشَّعْبِ أَطْرُدُهُ

وَعُنُقُ «جنبول» بِاسْمِ الشَّعْبِ أَلْوِيهِ

الجامعة العربية

ترحب بها عند قيامها

جيلٌ صحا دمه وهب
لبناء جامعة العرب
ضمّ القوي فيها بعصر
... قد تداعى، واضطرب
وبنى قواعدها على
أسس من الماضي العجيب
تُعنى بتوحيد المصا
ئر، والمشاعر، والعصب
شتى شعوب ينتمي
دمها إلى أم، وأب
كانت دويلات تُصغر
... في الشفاه، وتفتض

مذعورةً من كلِّ
 ... شيءٍ هبَّ في الدنيا، ودبَّ
 وقفتَ فلَيْسَ لها خطي
 يئسَتْ فلَيْسَ لها إرب
 وإذا بها جبارةٌ
 منْ وَهْدَةِ البؤسى ثبَّ

نَهَضَتْ بقلبِ الأرضِ
 ... كالنَّبْضِ الشَّبابِ إذا التَّهَبَ
 في مُهْجَةِ الدُّنْيَا تَضُجْ
 ... مِنْ الحماسِ، وَتَضْطَجِبْ
 في قِمَةِ العُلْيَا تُحَكِّمُ
 ... في الشُّعُوبِ، وَتُنْتَحِبْ
 تحمي السلامَ، ولا تُبَالِي بِالْغَنِيمَةِ وَالسَّلْبِ
 وَتَشِيدُ مَجْدًا لا تَرِيدُ بِهِ التَّعَدِّي، وَالْغَلْبَ

ولها مخالبٌ لم تَلَطَّخْ مِنْ دَمٍ، أَوْ تَخْتَضِبَ
 الحقُّ فِي يَدِهَا سِلَاحٌ لِلشَّدَائِدِ يُنْتَدَبُ
 ما إِنْ تَقُومُ لَهُ السَّفِينُ؟ وَلَا التَّسُورُ، وَلَا الْقُضْبُ
 روح الحضارة: إِنْ تَخَلَّتْ عَنْهُ عَاجَلَهَا الْعَطَبُ

طلعت على الأجيالِ تَنْفُضُ مِنْ دِياجيرِ الحِقَبِ
 وتَلَمَّ من شَمْلِ العروبةِ، ما تَصَدَّعَ، وانْشَعَبَ
 وتُعِيدُ ما دَقَّنَ الزمانُ، وما أَضَاعَ، وما سَلَبَ
 الغربُ يَنْتَسِمُ فِي رِضَى، عنها ويمرُحُ فِي طَرْبِ
 والشرقُ يُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ فِي غِلَائِلِهِ الْقُشْبِ
 يزهو بها زَهْوُ الوليدِ بِفَجْرِ عِيدِ مُرْتَقَبِ
 وشبابُ يَغْرُبُ من حوَالِئِهَا كسورٍ مِنْ لَهَبِ
 يتطلَّعونَ إِلَى الأمامِ، وينظرونَ إِلَى الشُّهْبِ
 جَمَعَتْهُمْ الأُمُّ الرُّؤُومُ عَلَى الحنانِ كما تُحِبُّ
 أَمِنُوا الطَّوَارِقَ فِي جِماها، واسْتَخَفُّوا بالنُوبِ

سبعونَ مَلِيُوناً تَحِنُّ إِلَى الحَيَاةِ وَتَشْرِيئُ
 فرضوا مَكَائَتَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا كَانَتْ تَحِبُّ
 مَجْدُ عَرِيقٍ لَنْ يُزَيِّفَ عِرْقُهُ، أَوْ يُغْتَصَبُ

إفتتاح دار الجمعية اليمانية الكبرى

ها هنا أحرارُ شَغِبٍ يَأْتِمِرُ
 وعقولُ نَيْرَاتٍ تَزْدَهَرُ
 ومشاعيلُ قلوبٍ تَلْتَقِي
 وبراكينُ شعورٍ تَنْفَجِرُ
 ههنا العزم الذي لا ينثني
 ههنا البأس الذي لا يَنْدَثِرُ
 ههنا الحق الذي دَانَ لَهُ
 كل شيءٍ دُونَهُ حتى القَدَرُ
 ههنا الشعبُ الذي آلى على
 نَفْسِهِ أَنْ يَنْمَحِيَ، أَوْ يَنْتَصِرَ
 أمةٌ شاءَتْ بأنْ تَحْيَا فَمَنْ
 يا تُرى يُرْغِمُهَا أَنْ تَنْتَحِرَ
 بُعِثَتْ مِنْ رَمْسِهَا جَبَّارَةٌ
 تَنْزَى فِي حِمَاسٍ مُشْتَعِرِ

حَطَمَتْ أَضْفَادَهَا تَمْشِي إِلَى
حَقِّهَا مَشْيَ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ

هُمْ شَبَابٌ عَاهَدُوا اللَّهَ بِأَنْ
يَهْبُوا الْأَرْوَاحَ لِلْيَوْمِ الْعَسِيرِ
لَا يُبَالُونَ بِمَا يَلْقَوْنَهُ
مِنْ صِعَابٍ وَخُطُوبٍ، وَنُذُرٍ
تَبَتُوا لِلظَّالِمِ الْعَاتِي كَمَا
يَثْبُتُ الصَّدْقُ لِكَذَابٍ أَشْرٍ
أَعْجَزْتُهُ مِنْهُمْ أَقْوَدُهُ
لَمْ يَزَلْ مِنْهَا بِنَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
سَخِرُوا مِنْ بَطْشِهِ وَهُوَ الَّذِي
سَاقَ شَعْبًا بِالْعَصَا سَوْقَ الْحُمْرِ
حَقَرُوا أَمْوَالَهُ، وَهِيَ الَّتِي
لَمْ يَكُنْ يَحْسِبُهَا أَنْ تُخَفَّرَ

هي مَعْبُودَتُهُ، وهو يرى
أَنَّهُ يَغْبُذُهَا كُلَّ الْبَشَرِ

شَهِدَ اللهُ عَلَيْنَا أَنَّنَا
نَبْتَغِي الْحَقَّ وَفِيهِ نَضْطَبِرُ
نَدْفَعُ الْأَخْطَارَ عَنْ أُمَّتِنَا
وَنُثَلِّقُ دُونَهَا كُلَّ خَطَرِ
وَنَحْطُ الصَّخَرَ عَنْ كَاهِلِهَا
وَلَوْ أَنَحْطَ عَلَيْنَا وَاسْتَقَرَّ
تَضَحِيَّاتٌ هِيَ أَدْنَى مَا عَلَى
كُلِّ ذِي قَلْبٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرِ
وُخُطُوبٍ مُرَّةً لَكُنَّا
لَمْ نَجِدْ دُونَ لُقَاهَا مِنْ مَفَرٍ
مَنْ يَعْشُ فِي الْوَطَنِ الدَّامِي يَجِدُ
أَنَّهُ دَوْدٌ عَلَى جُزْحٍ نَغْرِ

ويرى العيش حراماً ويرى

رِزْقُهُ من دمِ شعبٍ يَحْتَضِرُ

راقبوا الله فهذا شعبُكم

بينَ أنيابِ المنايا يَنْتَظِرُ

هو شعبٌ إنْ يُمُتْ تَقْتُلُكم

ريحُه قَتَلَ الوباءِ الْمُنتَشِرِ

أو يَعِشْ في قَرِيبُكم تَلْقُوا به

عِزَّةَ الدَّهْرِ، وأمجادَ العُصْرِ

ليسَ في إيماننا مُعْجِزَة

لا ولا نملكُ مِفْتَاحَ القَدَرِ

لَمْ نَكُنْ غَيْرَ دُعَاةٍ بَيْنَكم

صرخوا فيكم: فهل من مُزْدَجِرِ

يا شَبَابَ الجِيلِ يا أَبْطالَه

أَتَنَامُونَ على وَخْزِ الأُبرِ

أَتَظَلُّونَ عبيداً للعصا
 أتريدونَ لنا عيشَ البَقَرِ
 انظروا ما حَوْلَكُمْ من عَجَبٍ
 واذرسُوا ما في يديكُمْ من عِبَرِ
 تجدوا الأرضَ جميعاً حُرَّةً
 لا ترى القَيْدَ بها إلاّ انكسَرَ

لَيْتَ (سَيْفَ الحقِّ)^(١) يلقي أُمَّةً
 لَقِيتَ سَيْفَ ضلالٍ وسُعُرِ
 لكفى كلُّ كَثِيبٍ بائِسِ
 وشفى كلُّ فؤادٍ مُنْكَسِرِ
 ونجا شَعْبٌ وعاشتْ أُمَّةٌ
 هي في حَلْقِ المنايا تَنَحِدِرُ!

(١) سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى الأمير الذي كفر بالقراة الصغرى قراة العرش، وآمن بالقراة العظمى قراة الشعب.

أَتَرَى الْأُمَّةَ لَا تَهْوَى سِوَى
 ظَالِمٍ قَاسٍ، وَجَبَّارٍ خَطِرٍ
 قَدَّسُوهُ وَمَشَّوْا مِنْ حَوْلِهِ
 مِشْيَةَ الطَّوَافِ مِنْ حَوْلِ الْحَجَرِ
 فِي دُحُولٍ لَيْسَ يَذْرُونَ بِمَا
 قَدْ أَتَوْهُ مِنْ غِبَاءٍ وَعُغْرٍ
 كُلُّهُمْ يَصْنَعُ شَيْئاً لَمْ يَرِدْ
 صُنْعُهُ لَكِنَّهُ جَمَعَ خَدَرَ
 هِيَ دُنْيَا الزَّيْفِ وَالْمَكْرِ فَلَا
 عَاشَ فِيهَا غَيْرُ شَرِّيرٍ قَذِرٍ

يا بحر

إني نديمك أيها اللسن
فأبثث إليّ خفي أسراركَ
أفصح فإنّ الناس ما فطنوا
ما قلت في هذان تيارك
لغة كأنّ الجنّ قد رطنوا
فيها وضجّوا ملء أغوارك

في حفلة العلم بإحدى المدارس بعدن

عَلِّمُوا النشء في الحياة الصعودا، واخلقوهم بالعلم خلقاً جديدا
وابعثوهم من وَهْدَةٍ قَبَعَ الآباء فيها دُونَ الأَنَامِ رُقودا
فَنَبَعُوا بالأحلام حيناً من الدهرِ فبادوا وخَلَفُوا عبيدا
لم نجد مذ جئنا إلى الأرضِ إِلَّا الجَهِلَ، والليلَ، والظلام الشديدا
ما نرى في الظهور إِلَّا سَيَاطِ العسف أو في الأقدامِ إِلَّا القيودا
أُمَّةٌ في الفَلَاةِ ضَيَّعَتِ النورَ فَضَلَّتْ فيها ضلالاً بعيدا
واستمرَّت في حيرةٍ تَقْطَعُ العمرَ وَلَمْ تَلَقَ لِلْفَلَاةِ حدودا
مُوهَّتْ حولها الحقائقُ بالوَهْمِ فَلَمْ تَلَقَ للحياةِ وجودا
فَتَجَلَّتْ لها البغاثُ نسورا، وتراءت لها القروُدُ أسودا!
وترى حيةً فَتَحَسَّبُهَا سُبْحَةً مُسْتَغْفِرٍ يُطِيلُ السجودا
حيرةً في متاهةٍ تغرُقُ الأفهامُ فيها ولا تَحَسِّنُ الوجودا
ليسَ إِلَّا بِالْعِلْمِ يستيقظُ الشَّعْبُ، ويمحو عنه الخُطوبَ السوداء

إِنَّ فِي الْعِلْمِ بِلِسَمِ الْعَالَمِ الرَّاحِ تَحْتَ الشَّقَاءِ دَهْرًا مَدِيدًا
 وَجَدُوا فِيهِ مُنْقِذًا مِنْ شُرُورِ الْكَوْنِ فِي طَيْهِ حَكِيمًا رَشِيدًا
 لَوْ فَقَدْنَا رِفَاهَهُ أَوْشَكْتَ الدُّنْيَا بِطُغْيَانِ أَهْلِهَا أَنْ تَبِيدَا
 إِنْ يَكُنْ شَجَّعَ الْخَرَابَ فَمَا خَرَّبَ شَيْئًا إِلَّا لِيَبْنِيَ جَدِيدًا
 حَسْبُهُ أَنَّ حَكَمَهُ نَافِذٌ لَا يَجِدُ الْعَالِمُونَ عَنْهُ مُحِيدًا
 هُوَ قَانُونُ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ يَجْرِي، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى هِدَاةِ سَدِيدَا
 تَتَمَشَّى لِأَمْرِهِ الذَّرَّةُ الصَّمَاءُ وَيَمْشِي فِيهَا قَوِيًّا وَطِيدَا

شكوى

ظَلَمَ الزَّمَانُ، وَجَرَتِ الدُّنْيَا، وَقَيَّدَنِي الْأَبَدُ
 كَيْفَ الْمَصِيرُ؟ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ بِلَا رَشَدٍ
 الْأَرْضُ تَرْجَفُ بِالْمَخَافِ، وَالْكَوَاكِبُ تَرْتَعِدُ
 وَالشَّمْسُ تَنْتَظِرُ الْمَصَارِعَ فِي يَدِ اللَّهِ الصَّمَدِ
 وَخَمَاقَةُ الْإِنْسَانِ تَخْفِلُ بِالْحَيَاةِ وَتَسْتَعِيدُ
 وَالْحَاكِمُ الطَّاعِي يَجُورُ عَلَى الْبِلَادِ، وَيَسْتَبِدُّ
 (هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ، وَمَا جَنِيْتُ عَلَى أَحَدٍ)
 يَا رَبُّ فَاجْعَلْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِنَارِكَ تَتَّقِدُ
 لَوْ شِئْتَ تَطْلُبُ مَنْ يُطِيعُكَ مِنْ بَنِيهَا لَمْ تَجِدْ
 وَلَرُبَّ جَبَّارٍ يَغْشُكَ بِالصَّلَاةِ، وَيَجْتَهِدُ
 وَيَقُولُ: عَبْدُكَ: وَهُوَ دُونَكَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ عَبْدَ!
 وَإِذَا رَأَى مَنْ يَغْبِدُونَكَ ثَارَ مِنْهُ لَكَ الْحَسَدُ
 نَسَبَ الْجُحُودَ إِلَى الْأَفْضَلِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَدَ
 تَبْكِي دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ بِرَاخَتَيْهِ إِذَا سَجَدَ

حرب الطغيان الهتلري

حَطَمِي الأَسْرَ يا أوربا وقومي
وانثري في الفضا قيودَ الزعيم
ومُري يومكِ المَقْدَسَ يكسو
صفحةَ الشَّمْسِ من دماءِ القروم
وانثري في السماء أنفاسكِ الحريّ، وأثّات قلبك المكلوم
فإذا هاجمكِ أجنحةُ الألمان يوماً تعثرت بالجحيم
دمري لعنةَ القيودِ فلم تعرف قيود تُؤدي بشعبٍ عظيم
لَنْ يُطيق الحديد أن يطبع العار على «المارن» الأشم الكريم
واسمحي بالدماءِ فالمجدُ لا يُصنَعُ إلّا من الدّمِ المظلوم
إنَّ صَوْنَ الأرواح يفسد ما فيها من العز، والإبء الصميم
إنَّ قَلْباً يحتلهُ شبحُ الذل، جديرٌ بالحرق، والتحطيم
إنَّ عَيْشاً يُعطى من الغاصِبِ القَطْ لعيشٍ ملوثٍ بالسموم

لا تخافي الردى فإنَّ حياةَ الدُّلِ ملكٌ للمستبدِّ الظلوم
 إنَّ طعمَ المنونِ عندَ أباةِ الضَّئيمِ أحلى من الشِّفا للسقيم
 وثبَةُ الروسِ أنجدتك، وجاءتك لتحطيم كل عرشٍ أئيم
 فثبي نحوها لكي تَنزَعَ المِخلب من جرحك البليغ الأليم
 وافتحي للعدوِّ قبراً يوارى، مِن شَطايا جَبينه المحطوم
 وأعدِّي نِعشاً لطاغية الدنيا لترمى أشلاؤه في الجحيم
 وافسحي للحياة من صدرك الرُّخب فقد زال عنك عهد الهموم
 أطلقِي الألسنَ التي سَجَنَتِها، لهواة الوحشِ العنيدِ الغشوم
 طَهِّري الأعينَ التي أَطَبَّقَ الليلُ عليها كل لونٍ دميم
 وانظري الأفقَ كيفَ ينصب ناراً، تنثر الراسيات نثر الهشيم
 واسمعي الأسدَ كيفَ تزارُ ملء الأرض ملء السماء ملء السديم
 هائماتٍ في الجوّ تَنهَبُ الآجال من شأوها بهولِ الهزيم
 كلما دمدت بآفاقِ «برلين» اجتوتها فأصبحت كالصريم
 ربّ ماذا دهى القضاء وماذا حلَّ فيه من المُهولِ الجسيم

أَجَحِيمٌ تَطِيرُ فِي الْجَوِّ طَيْرًا، أَمْ طَيُورٌ تَرَعَرَعَتُ فِي الْجَحِيمِ
 أَمْ شَيَاطِينُ تَحْضُرُ النَّارَ لَا تَخْشَى رَجُومًا لَكِنَهَا مِنْ رَجُومِ
 أَمْ نَجُومٌ ثَارَ عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ وَالْكَائِنَاتِ وَالتَّنْظِيمِ
 حُبْلِيَّاتٍ يَلِدْنَ لِلْأَرْضِ أَهْوَالًا وَيُنْجِبْنَ كُلَّ خَطْبٍ عَظِيمِ
 يَتَنَفَّسْنَ عَنْ رَعُودٍ وَبَرْقٍ، وَمَنَايَا مَسْوَدَّةٍ وَسُمُومِ
 يَتَمَخَّضْنَ عَنْ دُمَى تَقْدَحِ الْحَشْرِ بَنِيرَانِ جَوْفِهَا الْمَشْؤُومِ
 تَنْزَوِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِذَا مَا، وَثَبَتْ فِي الْمَطَارِ لِلتَّحْوِيمِ
 حَمَلَتْ جُنْدَهَا الْأَشَاوَسَ يَنْقُضُونَ مِنْهَا كَصَاعِقَاتِ الْغَيُومِ
 لَمْ يَبَالُوا غَزَتْ بِهِمْ خَطَّ «بَرْلِين» أَمْ اسْتَفْتَحَتْ قَبَابِ النُّجُومِ
 رَكَبُوا فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ نَارًا، وَحَدِيدًا يَجْرِي بِضُوءِ الْعُلُومِ
 وَتَبَارَوْا إِلَى الْحَصُونِ كَمَا يَنْقُضُ صَقْرٌ عَلَى الْعِظَامِ الْهَشِيمِ
 وَتَهَاوَوْا مَعَ الْقَنَابِلِ فِي الْجَوِّ فَكَانُوا أَبْطَالَهَا فِي الْهَجُومِ
 فَيَلْتَقُ فِي السَّمَاءِ يَكْتَسِحُ الْأَرْضَ وَيُذْرِي حَصُونَهَا فِي النَّسِيمِ

عيادة مريض

تَقَبَّلْ تَحِيَّاتِ الْكُئِيبِ الْمُفْجَعِ
وَلَهْفَةِ صَبٍّ مِنْ شَكَاتِكَ مَوْجِعِ
وَأَنَّكَ إِذْ تَشْكُو عِضَالاً فَإِنِّي
لَأَجْلِكَ أَشْكُو مِنْ فَوَادٍ مِصْدَعِ
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ فِي الزَّائِرِينَ فَإِنِّي
أَزُورُكَ فِي شِعْرِي وَحُزْنِي وَأَدْمَعِي

وداع طبيب دانمركي إنسان

يعود إلى بلاده بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية

قَفْ بِنَا يَا بَنَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْوَدَاعِ
 نَنْتَزِعُ مِنْكَ نَفْحَةً لِلِيرَاعِ
 جَمَعْتَنَا بِكَ الْفُضِيلَةُ مِنْ أَقْرَبِ حَدِّ لَهَا وَأَقْصَى الْبَقَاعِ
 أَرْعَجْتَنَا مَعًا جَابِرَةُ الْقَهْرِ وَأَوْدَتْ بِنَا طَغَاةُ الصَّرَاعِ
 عُصْبَةُ فِظَّةٍ رَمَتْ بِشُعُوبِ الْأَرْضِ مِنْ حَالِقِ كَرَمِي الْمَتَاعِ
 فَاجْتَمَعْنَا كَمَا تَجَمَّعَتْ الْأَنْقَاضُ فِي وَحْشَةٍ مِنَ الْاجْتِمَاعِ
 وَلَقَدْ شِئْتَ أَنْ تَعُودَ إِلَى شَعْبِكَ بَعْدَ الشَّتَاتِ وَالْانْصِدَاعِ
 وَتَرَى فِيهِ أُمَّةً أَخْرَجَتْهَا، قُدْرَةُ اللَّهِ مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ
 أَنْتَ أَحْرَى بِأَنْ تَتِيَهُ وَتَخْتَالَ وَتَزْهَوْ زَهْوَ الْكَرِيمِ الشَّجَاعِ
 وَتَجُوزَ الْأَجْوَاءَ هُمُكَ فِي النَّجْمِ وَمِثْوَاكَ فِي أَنْوْفِ الْقَلَاعِ
 خَرَجَ الْغَاصِبُونَ مِنْ وَطَنِ كَدْتَ عَلَيْهِ تَقْضِي مِنَ الْإِلْتِيَاعِ
 تَرْكُوهُ لَكُمْ بَغِيرِ قِتَالٍ، وَتَخْلَوْا عَنْهُ بِدُونِ نَزَاعِ

فُرِصٌ أَنْقَذَتْكُمْ وَحُظُوظٌ، خَوَّلَتْكُمْ مَا لَيْسَ فِي الْمُسْتَطَاعِ
كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَعِيشَ بَنُو الْإِنْسَانِ فِي مَأْمِنٍ مِنَ الْأَطْمَاعِ
كَلِمَا اسْتُعْبِدُوا بِمَخْتَرَعَاتٍ، جَاءَهُمْ مَنَقَذٌ مِنَ الْإِخْتِرَاعِ
هَكَذَا شَاءَتِ الْمَقَادِيرُ أَنْ تَسْخَرَ مِنْ شَهْوَةِ الذَّنَابِ الْجِيَاعِ

دَعِي

وَدَعِيٌّ فِي الشَّعْرِ لَا يُحْسِنُ الشَّعَرَ وَلَكِنَّهُ يَجِيدُ الْمَزَاعِمَ
يَنْبُشُ التُّرْبَ وَالْحَصَا زَاعِماً أَنَّ الْقَوَافِي قَدْ خُبَّتْ فِي الْمَنَاجِمِ
فَإِذَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْأَرْضِ أَضْحَى، نَاقِباً عَنْهُ رَأْسَهُ بِالمَحَاجِمِ
وَإِذَا سَالَتْ الدَّمَاءُ، وَلَمْ تَجِرِ الْقَوَافِي رَأَيْتَ أَضْغَاثَ حَالِمِ

استقلال الهند وباكستان

أَطْلَقَ اللَّهُ شَعْبَهُ مِنْ عِقَالِهِ
 وَأَزَالَ الثَّقِيلَ مِنْ أَغْلَالِهِ
 وَأَعَادَ الْحَيَاةَ لِلوَطَنِ الدَّامِي وَلَمْ الرِفَاءَ مِنْ أَوْصَالِهِ
 وَاصْطَفَى الْبَاكِسْتَانِ صَفْوَةَ أَرْضِ اللَّهِ خَصْبَهُ وَبَأْسَ رَجَالِهِ
 طَهَّرَتْ جَوَّهِ الْمَلُوثِ أَنْفَاسُ الضَّحَايَا الْعِطْشَى إِلَى اسْتِقْلَالِهِ
 وَمَحَتْ كُلَّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَارٍ دِمَاءِ الْكِمَاةِ مِنْ أَبْطَالِهِ

عَادَتِ الْيَوْمَ عِزَّةُ الشَّرْقِ لِلشَّرْقِ وَأَمْسَى الْغَرِيبُ فَوْقَ رَحَالِهِ
 كَبَّرَ الشَّرْقُ أَنْ يَكُونَ مَتَاعًا، تَافَهُ الشَّأْنُ فِي يَدَيْ نَشَالِهِ
 هَكَذَا تَبْلُغُ الشُّعُوبُ مُنَاهَا، وَيَفُورُ الْغَادِي إِلَى آمَالِهِ
 وَالَّذِي أَخْرَجَ الْغَرِيبَ رَجَالًا، قُتِلُوا فِي صِرَاعِهِ وَنَزَالِهِ
 أَنْقَذُوا الْهِنْدَ ثُمَّ لَمْ يَنْظُرُوا الْهِنْدَ وَلَمْ يَحْضُرُوا يَوْمَ احْتِفَالِهِ
 هَؤُلَاءِ الْمَتَوَجِّعُونَ وَإِنْ مَاتُوا وَإِنْ مَاتَ ذِكْرُهُمْ مِنْ هُزَالِهِ

كُتِبَ النصرُ للضحايا ولم يُكْتَبَ لمن عاشَ سادراً في خياله
وإذا كان في التحرُّر عبءٌ، كانَ في الهندِ طاقةٌ لاحتِماله

إنَّ في باكستان قلبَ جناحٍ، يستكن الإسلامُ تحتَ ظلاله
إنَّ في الشرقِ قوةَ الروح لا تبرُحُ من أرضِهِ ومن أجياله
ولئن نامَ في الليالي الخوالي، فلقد هبَّ من سُبَاتِ ضلاله
مطلعُ الشمس كانَ أخلقَ بالنورِ وأولى بشمسه وهلاله
لكِ يا هندُ يومَ عيدٍ مجيدٍ، ما أتننا شمسُ الضُّحى بمِثاله
هوَ عيدٌ للشرقِ تبرُّزُ فيه، روحُ ماضي جهاده ونضاله
وهوَ سلوى لكلِّ شعبٍ مُهانٍ، مُستضامٍ يئنُّ في أغلاله

محمد سيد الأنبياء

أطرقى يا سماء للشعراء
واسمعى للترحيب ملء الفضاء
جذبت للأرض من نذاك بأسمى
كوكب من نجومك الزهراء
عكفت حوله القلوب عطاشاً
تحسسى من سحابة بيضاء
قطفت للفلا يد الله أزكى
ثمر من رياضه الغناء
لم تلد مثله السماء ولم تُنجب له الأمهات من أكفاء
صادقت حظها الحياة وواتى
كل قلب ما يبتغي من هناء
عُرس في الدنا منير كأن الأرض فيه قد أصهرت من ذكاء
ظهر المصطفى اليتيم فراغ الناس ما فيه من سنى وسناء
ذهبت صوبه الممالك تستجديه من حكمة ومن آراء

وتولّت عنه وجوهٌ تخلّت، من حياءٍ وأفلست من ذكاء
كلّ عينٍ صغيرة لا ترى في الكون إلاّ صغائر الأشياء
لئس فيما وراءها غير قلبٍ، مُستطار مُلَقّقٍ من هراء
كلّ نجم يأوي الفلاة غريبٌ، ما له في البيداء من أقرباء
لمحوا نوره فقالوا سراب، يترأى في وقدة الرّمضاء
لئس يهدي من الظلام ولا تُشفى به غلّة العطاش الظّماء
وأبوا أن يُصدّقوا أنّ في طيّ الفيافي منابعا للضياء
ما لهذا السّنا يشبّ ويَنُمُو

في مَهَبِ العواصفِ الهُوجاء
كيف تَسْتَوْلِدُ المفازة نجماً

كيف تحنّو الصحراء على ابن السماء
ألفوا الليلَ والظلام فكانوا، في شعاع الضّحي من الغرباء
ساءهم أن تكشف أوجه الحقّ وكانت من غشّهم في غطاء
جزعوا للشيطان إذ فرّ واستخفى من الوحي أيما استخفاء
وبكّوا للأرباب حين توارت، عنهم في الحجارة الخرساء

خذلتهم سيوفهم حينَ ساموها قتال الملائك الحُنفاء
واقشَعَرَتْ قلوبهم من ذهول، وتندّت وجوههم من حياء
ورأوا أنهم يسiron للهوة من خطّة لهم عَوْجاء

نامت اليد واستجمعت سيوفُ الهند من كل غارة شعواء
وكأنّ الديجور روحٌ مريضٌ، يتوخى علاجه من (حراء)
وكأنّ اليتيم وسط دجاء، ثورة في خواطر الظلماء
وكأنّ الأصنام فيه طغاة، توجّتهم سَخَافَةُ الأغبياء
أسرتهم صوارم الحقّ فانصاعوا إليها وأحضروا للقضاء
كوكبٌ ظلّ حائراً ليس يدري، أين يلقى ما فيه من أضواء
ضياء في الغار وجهه ضوء مصباحٍ منيرٍ في مقلةٍ عمياء
ومشى في الصحراءِ فألبسها ظل فؤادٍ كالسُدرةِ العصماء
وأتى المسجد الحرام ليمحو، عنه دعوى أربابه الأدعياء
ورأى ملء البيتِ آلهةً صماء أودت بالأمّة الصماء
وتحدّى قريش بالحربِ واستنزلَ أربابها إلى الهيجاء

وإذا بالأصنامِ محطومة الهاماتِ منشورة على البطحاء
وتدافعُ عنها أكف المصلّين لها أو عبادة السخفاء
غَرِقَتْ في بحرٍ من التورِ لا تحيا به غيرُ أنفسِ الأذكياء
وتلاشت تلك الألوهية التّكرا وطارَت عروشها في الهباء
وتخلّى العبادُ عنها وقد كانوا أعدوا أرواحهم للفداء
وكذاك الجمهورُ عُشاقُ أوهامٍ وعباد صولةٍ ورياء!

طَلَعَ المصطَفى كما تَطْلُعُ الشَّمْسُ بأعقابِ لَيْلَةٍ لَيْلَاء
فاستفاقت به قريشٌ من السّكرة واستيقظت من الإغماء
ورأوا فيه غرة يترأى، في سناها لهم شعاعُ الذكاء
تَتَجَلَّى كأنها فلك شَعَتْ رؤاهُ بكل ما في السماء
ينطقُ الحكمة التي سَكَبَتْ في، مصنع الشمس والنجوم الوضاء
ما بنى جملةً من اللفظ إلا، وابتنى اللفظ أُمَّةً من عفاء!
أطَرَقَتْ للتنزيلِ مَكَّةُ إطراقٍ مشوقٍ إلى بشيرِ اللقاء
سمعتُ منطِقاً عَجاباً عليه
مِسْحَةٌ مِنْ قَدَاسَةٍ ورُوءاء

وَكأَنَّ قَدْ سَالَتْ مَسَارِبَهَا الظَّهْرُ بِفَيْضٍ مِنْ نَشْوَةِ الصُّهْبَاءِ
عَسَلَتْ ظِلْمَةُ الْقُرُونِ الْخَوَالِي، وَمَحَتْ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَأْسَاءِ

سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ قُمْ، وَاَنْظُرِ الْأُمَّةَ مَاذَا يُصِيبُهَا مِنْ شَقَاءِ
وَتَأْمَلْ كَمْ فِي الْكَوَاهِلِ مِنْ نِيرٍ وَكَمْ فِي الرِّقَابِ مِنْ أَعْبَاءِ
أَطَبَقَتْ فَوْقَهَا الْخُطُوبُ فَمَا تَخْلَصُ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا ضِرَاءِ
جَرَفَتْهَا السِّيُولُ فَانْتَشَرَتْ فِي شَاطِئِ الدَّهْرِ كَانْتِشَارُ الْعُثَاءِ
قَذَفَتْهَا الْعَوَاصِفُ الْهُوجُ لِلْهُوَّةِ مِنْ قَمَةٍ لَهَا شَمَاءُ
وَهَوَتْ مِنْ عَلٍ فَمَا بَلَغَ الْهُوَّةُ مِنْ جِسْمِهَا سِوَى الْأَشْلَاءِ
أَنْبَتَ الدَّهْرُ فِي مُضَاجِعِهَا الشُّوكَ فَلَمْ تَلَقَ رَاحَةً فِي وَطَاءِ
وَتَوَلَّى شُؤْنُهَا كُلَّ وَحْشٍ، مَرَهَفُ النَّابِ مَوْلَعٌ بِالدَّمَاءِ
يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِاسْمِكَ مَكْرَأً، وَاخْتِدَاعاً لِلْسَدَجِ الْأَغْيَاءِ
وَيَعِدُونَ غِشَّهُمْ لِلْمَلَايِينِ مِرَاناً عَلَى فَنُونِ الدَّهَاءِ
كَيْفَ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي عَبَدَتْهَا فِي مَنَاقِبِ الصَّحْرَاءِ
مَضَتْ الْأَعْصُرُ الطَّوَالَ وَمَا زَالَتْ هَدَى الْمَصْلِحِينَ وَالْحُكَمَاءِ

طُرُقَاتٍ غُرٌّ يَسِيلُ بِهَا فِي الْأَرْضِ ضَوْءُ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ
 أَلْفُوا مِنْ خُطَاكَ رَوْحَ الْقَوَانِينِ وَصَاغُوا مَعَارِجَ الْعُظْمَاءِ
 يَنْظُمُونَ الْحَيَاةَ مِنْهَا كَمَا يُسْتَنْبِطُ التَّلَطُّقُ مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ

أُمَّةٌ لَمْ تَكُنْ تُرَى فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ أَسْكَنْتَهَا مَكَانَ ذُكَاةٍ
 وَحَبِيسٍ فِي الْغَارِ يَطْمَعُ أَنْ يَحْتَلَّ فِي الْأَفْقِ مِنْكَ الْجُوزَاءِ
 وَفَقِيرٍ فِي الْكُوخِ يَسْمُو إِلَى أَنْ يَجْعَلَ الْأَرْضَ فِي يَدِ الْفُقَرَاءِ
 وَمَسِيمٍ لِلشَّاءِ يَطْمَحُ أَنْ يَرعى مَلُوكَ الْوَرَى مَكَانَ الشَّاءِ
 تُغْلِنُ الْحَرْبَ يَا مُحَمَّدُ لِلدُّنْيَا وَمَا فِي يَدَيْكَ جَرَعَةَ مَاءٍ!
 وَتُعَادِي فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ كُلَّ النَّاسِ حَقَّ الْأَقَارِبِ الْأَدْنِيَاءِ
 لَسْتَ تَدْرِي تُثِيرُ حَرْباً عَلَى الْأَرْبَابِ أَمْ تَسْتَعْدِي عَلَى الزُّعْمَاءِ
 شَدَّ مَا قَدْ لَقِيَتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُرْبَةٍ وَمِنْ لَأْوَاءِ
 أَيِّ قَلْبٍ يُغْنِيكَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي مَا بِهَا سِوَى الْأَعْدَاءِ

في محراب الإمام يحيى

أيها الظالمُ الذي يتباهى
 أَنَّهُ ابنُ الوحي أو سبطُ طه
 تشهدُ النَّاسَ يركعون حواليك
 ... دهوراً ويخفضون الجباه
 تتوخى بأن تكون شريكَ الله
 ... فيهم أو أن تكون الله
 لا تُبالي سَمِعْتَ أنغامَ موسيقى
 ... تغنيكَ أو سَمِعْتَ الآها
 كلُّها لذَّةُ الألوهية النكراء
 ... في سمتها وفي معناها
 وإذا جئت للمُصَلَّى رأيناك
 ... نفاقاً موحداً أوها
 إن تَكُنْ أنتَ مؤمناً بإله
 فلماذا تكونُ أنتَ الإله

يوم الجلاء

إلى شهداء الحرية في كل مكان

يوم عيد نلقى به الشهداء

ونراهم مباهجاً وهناء

صنعوا يومَ مصر ثم استحالوا

في ضحاؤه أشعةً وسناء

لو نسينا يومَ الجلاء لكانوا

هُم بحق لفَجْرَةِ الآباء

ولكانوا هم الموكب، والأفراح والمنشدين، والخطباء

فتحسّسهم بروحك يا شعب، تجدهم في غورها أحياء

وتراهم بعرقك النابض اليوم، حياة جيّاشة ودماء

وتلمسهم تجدهم لواء، وتجدهم حكامك الأوفياء

أنهم أنجبوا «جمالاً» وأصحاب «جمال» والنهضة الشّماء

وهبوا للجلاء حياتهم الحمراء وأعطوك ثورةً بيضاء

حرروا عنقك الأسير، ولقوك الآباء الأبى والكبرياء
 فانظر النير والقيود تجدها، كلها في الفضاء طارت هباء
 وانطلق في الحياة والنور، فالسجّان في البحر يلفظ الحوباء
 ضغ مكان القيود منك جناحاً، وتأهب للعلياء أوغر السماء

نحن أصحاب هذه الأرض يا غرب، جناناً تكون أم صحراء
 ومياه النيل العذاب، حبتناها السموات مئة وعطاء
 والدماء التي تضح بأعراق الملايين، نخوة وإباء
 هي نبغ الحياة فينا ملكناها لنحيّا، كما حيتم سواء
 وبنونا الصغار نحن ولدناهم لنا، كي نراهم أبناء
 والتراب الطهور نحن سقيناه، لنمشي في مرجّه سعداء
 وخلايا أجسامنا نبتت في تربة النيل، غضة سمراء
 نتملى بها نصيباً من العيش، ونبقى أعزة شرفاء
 كل هذا حقّ لنا فلماذا، جئتمونا في أرضنا أوصياء
 ولماذا أعددت الجحفل الضخم، وجئتم الوحوش الظماء

أَحْفَظاً مِنْكُمْ عَلَى مِصْرَ مِنْ مِصْرَ، وَعَدَلاً وَرَحْمَةً وَوَفَاءً
 أَتَخَافُونَ أَنَّا نَخْنَقُ الْأَبْنَاءَ مِنَّا، وَنَحْرِقُ الْآبَاءَ
 أَخْشَيْتُمْ أَن يَغْدِرَ النِّيلُ بِالشَّعْبِ وَيَمْحُو جَنَانَهُ الْغَنَاءَ
 فَلَبِثْتُمْ تَقْدُمُونَ ضَحَايَا إِلَى، وَتَسْتَنْكِفُونَ الدِّمَاءَ
 لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ كُنْتُمْ لِمُصْرَ عَلَى الْمَدَى، خُبْنَاءُ
 غَاضِبَتْنَا السَّمَاءُ فَجَاءَتْ بِكُمْ فِي أَرْضِنَا، لَعْنَةُ لَنَا وَازْدِرَاءُ
 فَعَمَلْتُمْ لِكِي نَعِيشَ عِبِيداً لَكُمْ فِي دِيَارِنَا غَرْبَاءُ
 تَقْتُلُونَ الْبَرِيءَ وَتَسْجَنُونَ الْحَرَّ مِنَّا، أَوْ تَسْرِقُونَ الْغَنَاءَ
 فَلَنْ كُنْتُمْ جُلُوثٌ وَأَقْلَعْتُمْ، فَإِنَّ الْإِنْصَافَ لَيْسَ الْجَلَاءُ
 كُلُّ لَحْمٍ فِيكُمْ دِيُونٌ إِذَا لَمْ، تَرْجِعُوهَا فَلَسْتُمْ شَرْفَاءُ
 فَدَعُونَا لَا نَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَلَكِنَّا، سَنَقْسُوا لِنُنْصِفَ الْأَبْرِيَاءَ
 سَوْفَ لَا نَظْلِمُ الذُّثَابَ وَلَكِنَّا، سَنَحْمِي مِنَ الذُّثَابِ الشَّاءَ
 سَنَسْلُ الْآثَامَ وَالسَّحْتَ وَالطَّغْيَانَ مِنْكُمْ، وَالْحَقْدَ وَالْبَغْضَاءَ
 سَنُذِيقُ الْعَبِيدَ مِنْ نَفْحَاتِ اللَّهِ، ضَوْءاً حَرّاً وَجَوْاً رِخَاءَ

سَنَغِيثُ الْمَعْدَبِينَ وَنَحْيَا مَعَهُمُ أَخُوَةً لَنَا شُرَكَاءَ
 ذَاكَ شَأْنٌ لَنَا طُبِعْنَا عَلَيْهِ، لَا طَغَاةَ كُنَّا وَلَا جَبْنَاءَ
 لَمْ نَخَفْ أَنْ نَرَى الْحَيَاةَ، وَلَا أَنْ نَجِدَ النَّاسَ حَوْلَنَا أَحْيَاءَ

أَيُّهَا النَّيْلُ كَمْ رَسَفْتَ عَلَى الْقَيْدِ، وَكَابَدْتَ مِنْ غَزَاةٍ بَلَاءَ
 وَرَأَيْتَ الْعَدَى يَعْبُونَ عَبَاءً، مِنْكَ وَالْقَوْمُ مِنْ بَيْنِكَ ظَمَاءَ
 وَحَمَلْتَ الطَّغَاةَ نِيْرًا عَلَى عُنُقِكَ وَالشَّعْبَ أَدْمَعَاءَ، وَدُمَاءَ
 نَصَبُوا فَوْقَ صَدْرِكَ الْبِرَّ، أَنْيَابُ الرَّدَى وَالْمَشَانِقُ النُّكْرَاءَ
 وَأَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا مِنْكَ أَفْعَى، تَنْفُثُ السُّمَّ أَوْ تَبِثُ الْوَبَاءَ
 وَأَرَادُوا أَنْ تَشْرَبَ الدَّمَ مِنْ قَلْبِ الضَّحَايَا، وَتَأْكُلَ الْأَشْلَاءَ
 وَأَذَاقُواكَ لَحْمَ أَبْنَائِكَ الْغُرِّ الْأُولَى قَدَمُوا الْحَيَاةَ فِدَاءَ
 حَاولُوا أَنْ تَكُونَ قَبْرًا، فَأَصْبَحْتَ عَرِيْنًا تَرْوَعُ الدِّخْلَاءَ
 كُلَّمَا أَطْعَمُوكَ جِثَّةَ لَيْثٍ، صَغَتْ مِنْهُ كَتِيْبَةٌ خَرَسَاءَ
 حَسْبُوكَ النَّهْرَ الْوَدِيعَ سَتَجْرِي، كَيْفَمَا وَجَّهُوكَ رَهْوًا رِخَاءَ
 فَإِذَا أَنْتَ كُلُّ قَطْرَةٍ مَاءٍ فِيكَ، كَانَتْ جَمْرًا وَلَمْ تَكُ مَاءَ

وإذا أنت كنتَ أعمق غوراً من مقاييسهم وأمضى دهاء
 رزعوا حولك السياط فما أنبت، إلا حرية وإباء
 بذروا الشوك فاستحالَ بشطآنك، للشعب جنة خضراء
 يا بني النيل كيف عثتم على النيل ظمّاء، تكابدون العناء
 أنتم النيل هب من قمم التاريخ وأنصب، رحمة ورخاء
 لو بحثتم جذوركم وجذور النيل، كانت تلك الجذور السماء
 كم طحتتم من الغزاة وأذللتهم ملوكاً، وكَم دفعتم فداء
 منهم مَنْ قدتموا إلى البحر مطروداً، ومنهم إلى الضفاف عفاء
 وبقيتم أنتم على النيل حراساً، تؤدون حقّه أُمّناء
 إنه اليوم فوق أعناقكم يجري، ويُلقى عليكم الأعباء
 سحق الغاصبين سحقاً ومَنْ أولاهم، والملوك والأمراء
 وأذاق الجيوش من مائه العذاب، سموماً أملت عليها الجلاء
 وغدا اليوم وحدة حاكم الشعب، يربي أبنائه كيف شاء
 فاحذروا يا بنيه أن لا يراكم، حيث يلقي أبنائه الأوفياء

وزَعَوْا كُلَّ قَطْرَةٍ مِنْهُ عَدْلًا بَيْنَكُمْ، وَاصْنَعُوا الْحَيَاةَ سَوَاءً
 أَنْتُمْ كُلُّكُمْ بَنُوهُ وَلَنْ يَقْبَلَ إِلَّا عَدَالَةً وَإِخَاءً
 إِنَّهُ صَارَعَ الْغَزَاةَ طَوِيلًا، كَيْ يَرَاكُمْ مِنْ حَوْلِهِ سُعْدَاءَ
 لَنْ يَرْبِي فِيكُمْ طَغَاةً، وَلَنْ يَرْضَى لَكُمْ شَقْوَةً، وَلَا أَشْقِيَاءَ
 قَدْ طَرَدْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ فَاحْذَرُوا، أَنْ تَصْبَحُوا الْيَوْمَ أَنْتُمْ أَعْدَاءُ
 حَسْبِكُمْ نَكْبَةُ الْعَدُوِّ، وَمَا مَزَقَ مِنْكُمْ، وَمَا جَنَى وَأَسَاءَ
 قَدْ تَجَاوَزْتُمْ الْحُدُودَ وَلَا قَيْتُمْ، إِخَاءَ مِنْ خَلْفَهَا وَوَفَاءَ
 وَصَنَعْتُمْ مِنَ الْعَرُوبَةِ جَيْشًا، يَتَحَدَّى الْأَحْلَافَ وَالْحُلَفَاءَ
 وَتَسَلَّحْتُمْ بِمَا قَتَلَ الْأَعْدَاءَ غِيظًا، وَوَرَعَ الْأَقْوِيَاءَ
 وَبَعَثْتُمْ وَعِي الشُّعُوبَ فَهَبَّتْ، تَحْطُمُ الْقَيْدَ أَوْ تَشِيدُ الْبِنَاءَ
 وَتَهَاوَتْ أَصْنَامُنَا حَذَرَ النَّارِ وَصَارَتْ قَبْلَ الْحَرِيقِ شَوَاءً
 أَيُّهَا الثَّائِرُونَ فِي مِصْرَ ثُورُوا كُلَّ يَوْمٍ وَعَلِّمُونَا الْفِدَاءَ
 قَدْ قَبَسْتُمْ فِي الصَّخْرِ رُوحًا، وَفِي الثَّلَجِ سَعِيرًا وَفِي الْغُيُومِ ضِيَاءَ
 حَطَّمُوا كُلَّ صَخْرَةٍ فِي طَرِيقِ الشَّعْبِ، فَالشَّعْبُ لَا يُطِيقُ إِلْتَوَاءَ
 قَدْ صَنَعْتُمْ لِلصَّقَرِ رَيْشًا، فَلَنْ يَسْكُنَ سَجْنًا وَلَنْ يَرَى السَّجْنَاءَ

وقد حتم له شعاعاً فلن يروي صده حتى يعبّ الفضاء
 سوف نمحو الأصنام حيث وجدناها، ونُلغي وجودها إلغاء
 سوف لا نخفض الرؤوس من الذل، ولا نُذرف الدموع بكاء
 سوف لا نستجدي حقوقاً، ولا نشكو سيّطاً ولا نداري داء
 إننا نأخذ الحقوق ولن نقبلها، منحة، ولا استجداء
 سوف لا يشتري الطغاة سوى عبد، نبذناه يستحق الرّثاء
 سوف لا تأخذ الخيانة إلّا، هملاً من صفوفنا أو غثاء
 سوف لا يشتري الطغاة سوى عبد، نبذناه يستحق الرّثاء
 كلما أطعموه سحتاً تغنى فاتحاً فاه يستزيد العطاء
 لا يُبالي يُبايع الله صباحاً، ثمّ إبليسَه اللّعين مساء

القاهرة ١٩٥٦

صفقة الأسلحة

«كانت صفقة الأسلحة وثبة من وثبات مصر
المتحررة المستقلة وعاملاً هاماً في تغيير
مجرى السياسة في الشرق العربي».

يا سلاحاً بالأمس كنتَ القيودا
أنتَ حررتنا - وكُنّا العبيدا
كنتَ أنتَ الرجاء في أنفسِ الأحرار
منا وكنْتَ أنتَ التَّشيدا
كم سمعنا الأغلال، وهي تناجينا
بأنَّ الحديدَ يفري الحديدَا
كم بعثنا إليك من ثورة شعواء
وخضنا هولاً وبأساً شديدا
كم طلبناكَ خلفَ كلِّ شهيدٍ
غيرَ أنا كُنّا نراكَ الشهيدَا

أَنْتَ مَغْزَى الدَّمْعِ الْيَتِيمِ وَقَدْ سَالَ
عَلَى الْأَرْضِ مُسْتَطَاراً بَدِيداً
ذَرَفَتْهُ الْخِيَامُ ثَكْلَى يَخُوضُ الْبُؤْسَ
وَالْكَرْبَ وَالْدُّجَى وَالْجَلِيداً
بَاحِثاً عَنْكَ: أَنْتَ: لَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ
الْمَرْجَى وَلَا الْأَبَ الْمَفْقُوداً
ضَارِعاً لِلسَّمَاءِ يَسْتَنْزِلُ الشَّهْبَ
سِلَاحاً وَيَسْتَحِثُّ الرِّعْدَ
إِنَّهُ الدَّمْعُ أَوْقَدَتْهُ عَيُونُ الثَّكَلِ
حَقْداً حَتَّى غَدَا بَارُوداً
ارْجَفُوا إِنَّهُ سِلَاحٌ عَلَى الْعَرَبِ
حَرَامٌ وَهَدَدُوا تَهْدِيداً
وَأَرَادُوا أَلَا نَشُورَ، وَلَا نَأْ
بِى، وَأَلَا نَحْيَا، وَأَلَا نَسُودَا

ما علينا بأسٍ إلا ما فرشنا
 في طريقِ المصفحاتِ خدودا
 ما علينا إذا سكنّا خياماً
 ما علينا إذا نزلنا اللحودا
 إننا أمةٌ تسلّحتِ الصبر ونالت مقامه المحمودا
 إننا جثة وما يزعج الجثة إن بدّدوا بها تبديدا
 إننا أمةٌ لها ألفُ سلطانٍ وتاجٍ ما ضرّها أن تجودا
 إنه الغرْبُ سوفَ يبعث للمريخ منّا مَنْ صارَ منا طريدا
 إننا نحنُ لاجئونَ نُلاقِي
 كرمًا باذخاً وغوثاً وجودا
 عجباً أمةُ العروبةِ لا تُلقي
 عن الغرْبِ مهرباً أو محيدا
 سجت نفسها وشادت من الوهم جداراً صلباً وصاغت قيودا
 وأشاعت في جوّها المشرق الوضاء ليلاً مزيفاً منكودا
 وأتاحت للسوط أن يجلد الأحرار من أهلها أو يشوي الجلودا

أقسمت لا تفيض إلّا على السجّان من حُبّها وألّا تجودا
وانطوت كالعذراء في ظلّه الأسود تبغي الرضا وتخشى الصدودا
نتوقى من بسمّة تعبّر السجّن

ومن نظرة تجوز الحدودا
جرعت ذلّه فما غيّرت وجهاً

عليه ولا أشاكت جيّدا
شبعّت محنةً وضيماً ولكن حالها حال من يريد المزيد
ما كواها الطغاة إلّا وزادتهم حديداً لكيّها ووقودا
أدرك الغرب أنّ خمسين مليوناً

ثراء ضخم يدرّ النقودا
أنهم أمة من العرب العرباء، يعيشون في الظلام عبدا
ما لهم مخلب يصول فهم لحم،

شهّي وثروة لن تبيدا
لو أحسوا لأدركوا أن روح العصر في أرضهم تسود الوجودا
خطر... أن يدبّ في أرضهم بعث

وأن يعرفوا الطريق الرشيدا

هم صقورٌ إن لم يكونوا أسارى
 هم حريقٌ إن لم يكونوا جليدا
 لو صحوا صحوة تغيّر ميزان القوى واستحال شيئا جديدا
 ولأمسى الغربُ السعيد شقيّا
 ولأضحى الشرقُ الشقيّ سعيدا
 فليكونوا دون اليهود سلاحاً
 واقتصاداً أو فليصيروا يهودا
 ذاك أمرٌ يريده الغرب إلا
 ثورةً أرغمته أن لا يريد
 إنها ثورةُ الشعوبِ أنارت
 في «جمالٍ» فتى جريئاً عنيدا
 جمعت عزمها الملايين في زنديه يسطو بها قويا جليدا
 فمضى في رفاقه يحطّم القيد ويرمي على الحديد الحديد
 ويدكّ الأصنام حتى لخافَ الناسُ ألا يروا لهم معبودا
 مدّاً كفاً للغربِ يبغى انتصافاً
 للملايين أو يسيرَ بعيدا

واستخفوا به استناداً إلى الما
 ضي وظنّوا اعتزامه تهديدا
 وإذا بالسّلاح يهبط مصراً
 ويشقّ السّور العسير العتيدا
 وإذا بالقضبان تنماع كالثلج
 وبالشّؤم يستحيلُ سعودا
 وإذا العرب من وراء «جمال»
 يُعلنون الميثاق والتأييدا
 أصبحوا كلهم «جمالاً» وصاروا
 جحفاً من ورائه وجنودا
 وانطوى العاجزون لا كيدهم يمشي
 ولا جُبْنُهُمْ يُطيقُ الجمودا
 وطغت فكرة الشعوب فلا استعمار في أرضنا ولا تهويدا
 وهوى الغرب ذاهلاً مستطار اللب ينعي نصيبه المنكودا
 كيف يلغي وجودنا؟ وهو إن نحن نبذناه لا يُطيقُ وجودا

هدأت فجأة جهنمه الغضبي
 فكف الأذى وألغى الوعيدا
 وصحا ينبش القرارات في شأ
 نِ فلسطين علّها أن تفيدا
 آمَنت بالشعوب ذرّته الشنعاء
 وكانت كفرأ بها وجحودا
 ذكرت حقنا العتيد وكادت
 تتبنى الإسلام والتّوحيدا
 هكذا الحقّ حين يلقي رجلاً
 (كجمال) وحين يلقي أسودا
 قوّة اللّهِ لا تُتوج إلا
 بطلاً من عباده صنديدا
 صانها اللّهُ من هوانٍ فلم يكرم
 ذليلاً بها ولا رعيديدا

أيها الغربُ لا يغرِّك أذنان
 يطيلون في ذراك السَّجودا
 ويبيعونك الكرامة والذمة
 والعهد والوفاء والجدودا
 أنهم يحفرون قبراً كبيراً
 أنهم يطلبون أمراً بعيدا
 لا تصدق بأن يبيعوك غير القبر شيئاً
 ولا تكن موؤودا
 إن من خلفهم شعوباً تلظى
 غضباً منهم وخيلاً حقودا
 هم يتيهون في القصور وما
 يدرون في الأرض تائهاً أو شريدا
 وهم العمي لا يرون حوالِيهم
 حريقاً ولا يرون الوقودا

وهم الغلف لم يرقوا الصرعى
 في يديهم ولم يخافوا الشهودا
 وهم الصمّ: كيف يهديهم همسٌ؟
 وما يسمعون حتى الرعودا
 وهم البُلّه يجهلون «جمالاً»
 كيف أحيّا الموتى وهزّ الرقودا
 صارَ أقصى ما يفهمون من الدنيا
 ثراء ورشوة ونقودا

أيها الحقّ لا تَنّم قد بُعِثنا
 بعد موتٍ وقد نفضنا اللهودا
 قد طردنا الوباء من جونا الحر
 بعيداً، وقد كَنَسنا الدودا
 قد يموت الجنود خلفك لكن
 أنت يا حقّ تستحقّ الخلودا

يسقطُ الظالمون في الغربِ والشرقِ
وتبقى المُقَدَّسُ المعبودا
في يديكَ السِّياط تجلد «نيرون»
وتشوي «فرعون» و«النمرودا»

القاهرة ١٩٥٦

العجوز وعسكري الإمام

«من قصيدة ضاع معظمها»

المرأة:

يا ربّ كيف خلقت الجندَ ليسَ لهم
عندي طعامٌ ولا شاة ولا نعم
ويلاه مالي أرى وحشاً وبندقه
أذلك العسكري الغاشم النهم؟

العسكري:

نعم أنا البطل المغوار جئتُ إلى
عجوزة لم يهذب طبعها الهرم
إنّا جنودُ أمير المؤمنين فلمَ
لا تذبحي الكبش يا حمقاء دونهمو؟
أين الدجاجة؟ أين القات فابتدري
إنّا جياعٌ وما في حيّكم كرم

المرأة:

يا سيدي ليس لي مالٌ ولا نشب
 ولا رجالٌ، ولا أهلٌ، ولا رخم
 إلّا بُني الذي يبكي لمسغبةٍ
 وتلك أدمعه الحمراء تنسجم
 وهذه البید فاقطف من هواجرها
 ما شئت إنا إلى الرحمن نحتكم
 ماذا يريدون من جوعي ومسغبتی
 إني لكالحمل المشويّ بينهم
 يطلبون زكاة الأرض؟ ليس بها
 إلّا الحمام وإلا الحجر والرخم
 أم جزية الكوخ لا كانت جوانبه
 السوداء ولا نهضت في ظلّه قدّم

أَمْ قِيَمَةُ الْقَبْرِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَأَسْفَاهُ
الْكُوخُ قَبْرِي فَمَا لِلظَّالِمِينَ عَمَوَا؟

العسكري:

إِنِّي إِذْنًا رَاجِعٌ لِلْكُوخِ أَهْدُمُهُ
يَا «شَافِعِيَّة» إِنَّ الْكَذِبَ دَأْبُكُمْو

غربة

خذلتني حتى المقادير لما
 وجدتنى في غمرة الهول وحدي
 أتوقى من المصارع كيلا
 يتناهى إليكم الخطب بعدي
 لم أكن بالجبان لكن هواكم
 فوق بأس وفوق عزى ومجدي
 كلما أبت للحفاظ تصدى
 لي هواكم فشل كفى وحدي
 يطلب الهم للحريق وللتعذيب
 مني أضعاف لحمي وجلدي
 وتريد العلى وقوداً من الأعصاب
 لم تبق ذرة منه عندي
 قد - لعمرى - أفلسْتُ من كل صبر
 كنتُ أحيا به ومن كل جهدٍ
 قد عصاني قلبي وجئت أحاسيس
 وثارت نفسي مع الدهر ضدي

البلبل

بعثت الضباة يا بلبل
 كأنك خالقها الأول
 غناؤك يملأ مجرى دمي
 ويفعل في القلب ما يفعل
 سكبت الحياة إلى مهجتي
 كأنك فوق الربى منهل
 ترتل فن الهوى والصبأ
 شجياً وإن كنت لا تعقل
 وما الحب إلا جنون الحياة
 وجانبها الغامض المشكل
 غزتك إلى الوكر مأساته
 ومسك من خطبه المعضل
 فضاقت بك الروض في رحبه
 وأنت بأجوائه مرسل

نكبت بما نكب العاشقون
 وحملت في الحب ما حملوا
 هـدوؤك في طيه مرجل
 وريشك من تحته مشعل
 خفيف على الغصن لكنما
 فؤادك من لوعةٍ مثقل
 أنيئك ينساب بين الغصون
 كما أنساب من نبعه الجدول
 ويسري إلى القلب مسرى الحياة
 وفيه من الوجد ما يقتل
 حبيبك جارك بين الزهور
 وبينكما دوحة تفصل
 ولست بعيداً على ناظريه
 فما لك من أجله تعمل
 جناحك فيك فلم لا تطير
 إلى ما تحب وما تسأل

أفي عالم الطيرِ لؤمُ الوشاة
 ومَن يتجسّس أو ينقل
 وهل للبلابل دينٌ يصد
 عن الحبِّ أو آيةٌ تنزل؟

ألا أيها البلبل العبقري
 والصادح المدره الفيصل
 تنفّس فأنفاسك الخالدات
 روحُ الرِّياض التي ترفل
 جناحك آمن من ظلّها
 وريشك من زهرها أجمل
 وأنت السعيدُ الوحيد الذي
 حباك الزمان بما يبخل
 غناؤك للطبع لم تكثرث
 أضاعوا فنونك أم سجّلوا
 وتُنشد وحدك ما إن تحسّ
 بمن يُحتفى بك أو تحفل

وتأبى التصنع بين الجموع
وإن صَقَّوْا لَكَ أَوْ هَلَّلُوا
وتبكي لفنك لا للخطوب
وإن كان فيهنَّ ما يُذهل
تغني وترقص في دوحة
كأنَّ أَزهيرَها حفل
ترحب بالشمسِ قبلَ الشروق
كأنَّ جِماكَ لها موئل
توهمتها وقفت نفسها
لو لو كرك ضيفاً به تنزل
كأنك حاتم في خِذْرِه
يُحيي الضيوف ويستقبل
أتوه فقيراً وفي صدره
فؤاد وفي فيه مقول

١٥ ربيع الأول ١٣٥٦

١٦ فبراير ١٩٤٦

محمد محمود الزبيري

نقطة في الظلام

قصائد لم تُنشر من قبل باكستان - القاهرة

إلى زوجتي

بقلم: أبي الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيري

شعور الفراق البائس تجربة وجدانية مريرة، يعجز عنها الوصف، وهي لا تكاد تحدث إلاً عند المحكوم عليهم بالإعدام، وهم ينتظرون تنفيذ الحكم قابعين مستسلمين في ظلام الزنزانة.

هذا الشعور جرّبه أنا شاعراً وسياسياً ومشرداً ويائساً من وجود شبر على وجه الأرض يقبل وجودي إلاً المذبح في (حجة).

وفي مثل هذه الكارثة الوجدانية تنبعث من أعماق الحياة طاقة هائلة من الحب كانت كامنة خفية كخفاء القلب بين الضلوع.

والحبيب حينما يطول الاجتماع سنين طوالاً، لا تنطفئ حرارة الشوق إليه، ولكنها ترسب في مخبئات الكائن البشري، وتنطوي في الخفاء وتصبح كأجهزة الحياة الكبرى مثل القلب والكبد والدماغ والريئة. هذه الأجهزة التي لا يراها الإنسان، ولا يشعر بوجودها ولكنها إذا تعرضت للخطر انكشفت أهميتها فجأة، ويرتاع الإنسان أعظم ارتياح لشعوره بهذا الخطر الذي يهددها.

بهذه المعاني شعرتُ نحو زوجتي حينما كنتُ بعد نكبة الثورة يائساً من لقائها يائساً تاماً.

القصيدة:

يا حبيبي أين أنت اليوم من لوعة قلبي أين أنت؟
 أنت مثل الشرر الظالم أشعلت فؤادي وانطفأت
 إنما بيني وما بينك من بعد النوى ما قد علمت
 أنت خلق الهول، خلق الموت، خلق المستحيلات حبت
 إنها آلاف أميال لو اجتزت خطأ منها هلكت
 أنت لحم، ودم في الغاب طُعماً لدواهيهِ تركت
 وكأنني بك جوف الغيل^(١) من طهرك عن عطف، وإشفاق بحثت
 لم ترى في الغاب غير الناب، والمخلب والأشواك نبت
 أسعد الأحياء من مزقت ما بين يديه وسلخت
 كيف ألقاك ولو في الغيل أو أهواله أو حيث كنت
 كنت إلقي فإذا ما غبت أدنى ساعة عني جزعت
 ليت شعري كيف كابدت سنين البين - بعدي كيف عشت؟
 ليتني أسلوك كي أحياء، ويا ليتك عني قد سلوت
 (باكستان)

مقدمة

بقلم: د. عبد العزيز المقالح

بمناسبة صدور الديوان الثالث والأخير لشاعر اليمن وشهيدها الكبير الأستاذ محمد محمود الزبيري، والذي يضم ما لم يُنشر من قصائده، أسمح لنفسي بأن أتقدم بين يدي ذلك الديوان بهذه الخواطر:

١ - الشاعر... والشاعر التاريخي:

منذ سبع سنوات تقريباً سألني صديقي في حوار نشرته مجلة "الحكمة" في حينه عن الفارق بين الزبيري وبين بقية شعراء اليمن الكبار، قلتُ له - كما لا زلتُ أتذكر - إن الفارق بينه وبينهم - وباختصار شديد - هو نفس الفارق بين الشاعر التاريخي والشاعر الكبير في المفهوم النقدي المعاصر. وسمات الشاعر التاريخي - كما أفهمها - هي تلك التي تجعل اسمه يرتبط بتغيير جوهري في تاريخ الشعر وإليه يُنسب ذلك التغيير.

ولتقريب صورة الشاعر التاريخي إلى ذهن القارئ يمكن إيراد أمثلة كثيرة من شعراء عرب وعالميين، ومن شعراء الأمم والشعوب والأقطار، فشكسبير مثلاً هو الشاعر الإنجليزي التاريخي، و"جوته" شاعر الألمان التاريخي، و"دانتي" شاعر إيطاليا التاريخي، ويمكن لفيكتور هيغو أن يكون شاعر فرنسا التاريخي، و"بوشكين" هو شاعر الروس التاريخي، وفي تاريخ الأدب العربي - كما أرى - شاعران تاريخيان، هما: امرؤ القيس الذي كان شعره مؤشراً لبداية الصحوة في الجزيرة العربية، وأبو الطيّب المتنبي الذي كان ظهوره إنذاراً باقتراب عصر الانحطاط والتراجع.

أما الشعراء العرب التاريخيون في العصر الحديث - إذا ما نظرنا إلى كل قطر عربي على حدة - فهم لا يكادون يزيدون عن أصابع اليد الواحدة، وهم: أحمد شوقي في مصر، ومعروف الرصافي وبدر شاكر السياب في العراق، وأدونيس في الشام، والزبيري في اليمن. ثم مَنْ؟ مَنْ هو الشاعر التاريخي الذي حمل صوته وجه هذا القطر العربي أو ذاك في ظروف معينة، وكان شعره علامة أساء وعافيته في منعطف تحوّل ما، كما حدث بالنسبة لشوقي والرصافي والزبيري؟! ومن هو الشاعر التاريخي الذي شكّل صوته طليعة متمردة، وحمل ذلك التمرد طابع الابتعاد عن الخط التقليدي للشعر، كما حدث بالنسبة للسياب وأدونيس بالرغم من قسوة الأحجار التي يرمى بها الأخير؟!

والمعيار الذي تم على ضوئه الاختيار السالف للشاعر التاريخي عالمياً وعربياً ليس هو الشعر وحده وإلاّ لكان في اختيار الرصافي مثلاً قدر من الإجحاف في حق شعراء أكثر منه إبداعاً، ولو أن المعيار كان الموقف وحده لكان اختيار شوقي مجازفة غير مأمونة العواقب لأن مصر قد عرفت شعراء أكثر إلزاماً واحتفاءً بالدلالة السياسية والاجتماعية، الاختيار إذن تم على ضوء دراسة الأثر الجوهري للشاعر، وارتباطه العميق بالتغيير الذي حدث في لحظة تاريخية معينة، وكون ذلك الأثر مؤشراً لعملية تحوّل ما أو استعجالاً لإشراقة تغيير ما في الحياة الثقافية أو في الحياة بأبعادها المختلفة. ولا يعني هنا التدليل على نوع التغيير الذي أحدثه شوقي، ولا البحث عن دور الرصافي أو السياب في عملية التحوّل وإنما يعنينا الزبيري، الشاعر التاريخي الذي سعى في سبيل التغيير ليس إلى أن كاد يتعلّ الدماء - على حد تعبير حافظ إبراهيم - إنما إلى أن أنتعل الدماء حقاً وتعمم بالدماء حقاً، وكان ذلك في سبيل تغيير نظام الشعر - الثقافة - وفي

سبيل تغيير نظام الحكم - السياسة - وفي سبيل تغيير نظام الحياة بأكملها من خلال الكلمة وبالكلمة. ولا يستطيع أحد أن يُنكر أو يجادل في هذه الحقيقة إلا إذا استطاع أن يُنكر ضوء الشمس أو يجادل في حقيقة وجودها.

ومحنة الشاعر التاريخي وعظمته في آن، أنه يأتي في منعطف تاريخي حاس، ويكون همزة الوصل العميقة بين العصر والتراث، بين الحاضر والمستقبل، وهذه التاريخية تُلقى على كاهله العظيم مسؤوليات لا يحملها غيره، وتضع في رأسه من الهموم ما لا تضعه في رأس شاعر آخر وذلك لسبب واحد، هذا السبب - في تقديري - أنه قبل أن يكون، استجابة حقيقية لتحدي زمنه، وتأكيد طابع الابتعاد عن الخط التقليدي والمألوف لذلك الزمن. والزبيري - في ضوء هذا المفهوم لمحنة الشاعر التاريخي وعظمته - واحد من هؤلاء الشعراء التاريخيين الذين كان ظهورهم استجابة حقيقية لتحديات واقع اليمن في أهم فترة من فترات تاريخه المعاصر. ولم يكن استجابة على مستوى التعبير الشعري وحده وإنما هي - كما سلفت الإشارة - استجابة على مختلف المستويات، وقد تدرج مع فكر شعبه ثقافياً من قصيدة المدح إلى قصيدة التحريض والثورة، ومن الخطبة المنبرية إلى الرؤية الثورية، وتدرج مع فكر شعبه سياسياً واجتماعياً، من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الجبهة الوطنية أو "جبهة التحرير اليمنية" كما سماها في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، والتي أرادها بديلاً للاتحاد اليمني، ولم تسعفه الظروف لتوسيع نطاق الجبهة التي بدأت في تجتمع ضيق وجاءت الثورة لتضعه أمام مسؤوليات أعظم وأخطر، وهذا جانب صغير من تصوّر الزبيري للجبهة (تألف للقضية اليمنية هيئة للتحرير يُطلَق عليها "جبهة التحرير" على غرار "هيئة التحرير

الجزائرية". يلقن الأحرار شعاراً واحداً وهو: "النصر أو الموت". ويوجه اليمنيين الثائرين إلى قوة من العون والمدد لا تنفذ ملخصة في كلمة واحدة وهي: "كل مالك وسلاحك في يد عدوك فخذ من عبيده وقتله". مقر الجبهة غير ثابت وغير معلوم إلا للمسؤولين عنه. رجال الجبهة هم المشتركون في العلم المباشر ولهم أن يختاروا لمعاونتهم من يشاؤون ليساعدهم في الإدارة والتنظيم، وأن يعينوا قائداً في كل منطقة. الجبهة ليست إنشقاقاً عن هيئة أو حزب إنما هي التعبير العملي عن كل الهيئات والمنظمات والأحزاب، وهي تشبه أن تكون جهازاً تستخدمه العناصر الثورية كلها وتخرط فيه وتساهم في تغيير الوضع الحالي بالقوة بعد أن أجمع الشعب كله على أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ البلاد مما هي فيه). وأهداف الجبهة - كما حددها الأستاذ الزبيري - هي:

١ - الجمهورية.

٢ - الوحدة اليمنية.

٣ - الوحدة العربية.

٤ - الاشتراكية.

٥ - التحرر من الإستعمار والإقطاع والرجعية.

وفي تفسيره لمفهوم الوحدة يقدم الأستاذ الزبيري ثلاث ملاحظات هي:

- ١ - الوحدة الكاملة لجميع مناطق اليمن الطبيعية في ظل حكومة واحدة كخطوة أولى في سبيل الوحدة العربية الشاملة.
- ٢ - تحرير المناطق المحتلة من كل سيطرة استعمارية.

٣ - السعي بمختلف الطرق لتنفيذ ميثاق الاتحاد بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، واعتباره الوسيلة الفعالة الوحيدة للنضال الفعال ضد الإستعمار، وتحقيق الوحدة.

(مخطوطة الزبيري)

وإننا نكاد نشعر أن ظهور بعض آثار الزبيري الفكرية قد تصيب بقية خصوم الزبيري بالذهول، وخصوم الزبيري الذين عرفهم وعرفناهم هم من الجانبين، من اليسار الطفولي المراهق، ومن اليمين الرجعي المتخلف. بل هو الذهول قد لا يقتصر على خصومه هؤلاء وحدهم وإنما قد يصيب بعض أصدقائه، وعندما يتم نشر كتاباته ومذكراته سيجد الذين يدعون معرفتهم للزبيري أنهم لا يعرفون عنه إلا القليل.

وسوف يدرك هؤلاء كم كانوا مخطئين في تقييم رجل استطاع أن يقول في أشد الظروف ظلاماً وإرهاقاً: إننا لا نستطيع أن نبني حاضرنا شعراً أو ثراً، إقتصاداً أو اجتماعاً على الماضي، ليس لأن الماضي ناقص، وإنما لأنه قد مضى وانقضى. وعندما يقرأ الناس في بلادنا من وثائق الزبيري ومذكراته سيعلمون حقاً أن هذا ينطلق من الواقع وليس من مثاليات نرجو أو نتصور بأنها يجب أن تكون، وسيعلمون أيضاً أننا لا نُنقي وجه الزبيري النقي، ولا نبالغ في تضخيم صفاته أو نحاول التشهير به كإمام معصوم لأنه دفع عمره وحياته في محاربة الإمامة بكل أشكالها وألوانها، المعصوم منها والمستتر، اليميني منها واليساري، وأنه كان متنبهاً كأقوى ما يكون التنبه للذين يأكلون باليمين ويتحدثون باليسار، وأنه كان يكره بكل عواطفه أولئك الذين يحبون الإمام علياً لصلاته، ويحبون معاوية لمأذنبته الدسمة!

ومن العيب أن تمرّ هذه الخواطر - والحدث فيها ما يزال عن محنة الشاعر التاريخي وصدامه المرير مع عصره ومعاصريه - دون أن نشير إلى المحنة التي عاناها الزبيري من قسوة بعض معاصريه بسبب بعض قصائد المديح التي أُطلق عليها في وقت من الأوقات تسمية ظريفة ومثيرة هي "الوثنيات". وحاول بكل عبقرية بيانه أن يسوق لها من المبررات الحقيقية ما يكفي لتبرير كل مديح قاله ويقولها الشعراء على وجه الأرض، وحين كنتُ - منذ وقت قريب - أقلب في صحائف آثاره التي لم تُنشر أذهلني هذا العدوان وهذا الإيذاء قديماً ومبكراً ويجيء بعضه على شكل رسائل إعجاب وتهاني باللقب الذي أحرزه وهو لُقّب (شاعر اليمن)، ولم تكن هذه الرسائل لتخلو من التعريض الذكي كالذي جاء في الرسالة التالية التي تلقاها الزبيري في (٤/٢/١٩٤٤م) قبل فراره إلى عدن، وكانت من صديقه المرحوم يحيى بن إسماعيل الوداعي الذي كان يومئذ يدرس الحقوق في بغداد. تقول ديباجة الرسالة:

"سيدي بلبل قحطان الصادح شاعر اليمن محمد محمود الزبيري، سلام عليك. عزيزي وددتُ منذ زمن مضى - هو على وجه التحديد منذ خطواتك بجوار قائد نهضتنا مولانا ولي العهد - أقول وددتُ حينئذ أن أهتّك على فوزك الرائع، ولكن قصّر بي الحظ عن هذا الواجب آنئذ... ثم جدت مناسبة شيقة وهي توليك المنصب الذي ظلّ شاغراً منذ أجيال وأعني به رئاسة مدرسة الشعر اليمانية... ولا شك أن التوفيق حليف مولانا أيده الله - كما هو شأنه - حين أسند إليك أفخم لقب أدبي ومما لا ريب فيه أن هذا الحدث سيضاعف على عبقرتك عبء المسؤولية تجاه أمتك ووطنك".

تلك - في رأيي - ما تزال الديباجة لأن الموضوع الجوهري للرسالة لم يأت بعد وهو السبب الذي دفع بالمرحوم يحيى الوداعي إلى كتابة رسالته هذه وربما يبدأ مع هذه السطور: "وليس بسر أن النشاط الأدبي في اليمن لم يُجار زملاءه في مختلف الأقطار فقصر عنها وبالتالي نالت منه. ونحن الآن على أبواب نهضة عامة تعقد لواء آمالتنا فيها على تاج مولانا شمس الدين، ولا بد أن تكون هذه الوثبة شاملة ويجب ألا نجهل بأن الفن وعلى رأسه الأدب، وقلبه النابض هو الشعر يجب أن يكون في الصفوف الأمامية في ميدان الرقي فهو كما نعلم - أو كما يجب أن نعلم - يحرث الأفكار ويسقيها ويظهرها من الشوائب ويجملها، وإن بذرت فيها أو غرست فيها فصيلة لا تلبث أن تأتي ثمرها جنيًا. وإني أهيب بك إلى أن تولي النواحي الاجتماعية شطراً كافياً من ألمعيتك الشاعرة فإنها، فيما أحسب، سبيل غير مطروق في بلادنا ونحن في أمس الحاجة إلى معالجتها. وهناك طريق لم يكتشفه بعد رواد الشعر اليمانيون وهو الذي يسلك بالمجتمع صوب قوميتنا العربية المجيدة، ولا يخفى ما لهذا الاتجاه من الأثر النافع في بعث معنوية الشعوب، فالتغني بماضي الأمة وأسلافها يجعل من الأمة رجالاً يعلمون ويقودون ويزدادون إيماناً بمبادئهم وتمسكاً بزعمائهم وتسري في عقولهم نشوة الغرور القومي.

وقد فهم إخواننا العراقيون الأثر الحسن في هذا الانتهاج، فعمل علماءه وأدباؤه على إثارة حفيظته فكان لها التأثير الأكبر في نهضة العراق وسرعة خطواته وبلوغه المستوى الذي صار فيه في خلال عشرين عاماً أتاح الله له ولأقطارنا جميعاً المزيد النافع".

(من الآثار المخطوطة)

ولا أنكر ما تنطوي عليه هذه الرسالة الذكية من وعي مبكر بالصحوّة القومية، ومن إدراك لوظيفة الشعر وطنياً واجتماعياً، وأنها قد كانت بمثابة تذكير مقصود للأستاذ الزبيري حتى لا يستغرقه أدب الملوك وحتى لا يصادر القصر شعره لحسابه، لكن ما جاء فيها من أفكار لم يكن جديداً على الأستاذ الزبيري. فقد كتب في عام ١٩٣٩ قصيدة عن فلسطين كقضية أولى من قضايا الشعب العربي. وكتب في القاهرة في عامي (٤٠) و(٤١) مجموعة من القصائد ذات الإتجاه القومي، وكانت واحدة منها عن الوحدة العربية. لم تكن إذن أفكار الأستاذ الوداعي جديدة على المنطق الشعري عند الزبيري لكنها كانت جديدة على الواقع الشعري في يمن الأربعينات. ومن استقراء أثر هذه الرسالة ومن ردّ الأستاذ الزبيري نتبين أنه تقبّلها سعيداً معجباً، ونتبين كذلك أنه كان ناقماً على نفسه وعلى سوء حظه الذي جعله يقترب من القصر مهما كان القصد شريفاً من وراء ذلك الاقتراب، ولعله لم يدرك ما وراء سطور تلك الرسالة من غمز ولمز إلا بعد أن قرأ مقالاً عجيباً في صحيفة (الرابطة) يدافع فيه الأستاذ يحيى الوداعي عن نظام الإمام يحيى ويهاجم كل الذين يهتمون ذلك النظام بالتخلف والتحجر وهو في ذلك المقال يرجع أسباب التخلف إلى الشعب نفسه. وهو ما جعل الزبيري يشك في نوايا الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم..

ولننظر أولاً كيف استقبل الزبيري رسالة صديقه الأستاذ الوداعي، وكيف أجاب عليها ساخراً من إمارة الشعر ومن إمارة المؤمنين أيضاً:

"سيدي الأديب الألمعي النابه الصيت يحيى بن إسماعيل الوداعي حيا الله عبقرته النادرة وبارك لنا في علمه وأدبه وجعله قرّة عين لأمته.. تلقّيتُ كتابك الواصل إليّ بواسطة صديق الجميع الويسي، ومن أعجب

المصادفات أن الأقدار شاءت أن تسخر مني وأن تهزأ بحياتي فلم يصل كتابك عمق الهوة التي تفصل بيني وبينك فلم يصل كتابك إليّ إلا في الوقت الذي كنتُ قد تربّعت على إمارة سوق الواجبات في سوق الأحد بوادي من أودية الشرمان بقضاء ماوية. ولما لمحتُ الكتاب وعرفتُ العنوان شعرتُ بهزات عصبية عنيفة كانت نتيجة محتومة للصراع الفجائي الذي حدث عندي بين الحياة ولغة الموت، وبين الخواطر الاجتماعية الحكيمة وضوضاء السوق الشرمانية المضحكة، وقد ترقّفتُ بأعصابي وخبأتُ الكتاب في حقيبتني وأرجأت الإطلاع عليه إلى فرصة أخرى. كنتُ في ذلك الحين مأمور سوق واجبات الشرمان، ومعنى ذلك أنني قائد لثلة من الجيش والحرس الملكي في المعركة التي تدور كل سنة على الأقل بين الأمة والحكومة في سبيل تحصيل ضرائب الزكاة من الفلاحين الضعفاء الذين لا يقابلون جيوش الزكاة الجرارة إلا بالدموع. وقد تعلمون يا عزيزي أن قائد الجيش يجب عليه أن يخدم التعاليم التي يتلقاها من الجهات العليا. ولو كانت تعاليم وحشية بربرية. وقرأتُ في كتابك أنك تريدني أن أطرق الشؤون الاجتماعية وأن أثير النعرة القومية في الأنوف اليمنية السماء، ولم تذرْني أنني كنتُ إذ ذاك أحتل منصب المعول الهدّام لبقية الرمق المتردد في العظام النخرة، والأشباح الخاوية. ألم أقل لك أنها سخرية القدر التي ألّفت هذه الأضحوكة وإلا فكيف هذا يا عزيزي، ورأيتك تهنّئي على المنصب الأدبي الذي احتلته وتمتعت به في ظل العرش المجيد حيّاك الله. ولم يدُرْ بخلدك أننا كنا نعزي أنفسنا على تلك الحياة الشقية التي تضطرنّا لأن نتزعزع اللقمة من حلوق الجائعين باسم الزكاة، إنهم خلّقوا في أديم هذه الرقعة اليمنية المشؤومة!!".

(المصدر السابق)

هل استطاع أحد من الشعراء العرب القدماء أو المحدثين أن يحاكم نفسه بمثل هذه القسوة؟ وأن يعذّب وجدانه بمثل هذا العنف؟ ويضيف إلى مَنْ يحاول معاتبته أو غمزه بتهمة ما أنه متهم بما هو أخطر وأكبر، متهم بانتزاع اللقمة من حلوق الجياع؟ هل تكفي هذه الاعترافات المبالغ فيها للتعبير عن الزلازل الرهيبة التي كانت تتفجر في ذلك الوجدان البشري الحساس، وعن ردود فعل الإثارات في صاحب ذلك الشعور المرهف، لقد أعلن كراهيته للقلب الأدبي، وعبر عن كراهيته للشعر وللحياة في ذلك الواقع الطافح بالموت.

ومن عبث الأقدار، ولا أقول - كما قال الأستاذ الزبيري - من سخريتها أن كاتب تلك السطور المليئة بالحماسة الوطنية والدعوة القومية، أقصد الأستاذ يحيى الوادعي قد أدركه ما يدرك كثيرين من شباب هذا الوطن، وهي الشيخوخة المبكرة فقد كتب في نفس الفترة مقالاً نشرته صحيفة (الرابطة) لصاحبها المرحوم عبد الغني الرافي، يدافع فيه عن "العصر الحجري" الذي كانت اليمن تعيش في إطاره يومئذ، وقد أوجعت كلمات ذلك المقال قلب الأستاذ الزبيري لأنه يصدر عن شاب يعي ظروف بلاده ويدعو الشعراء تلميحاً وتصريحاً إلى العمل على النهوض بالشعب، وقد تصدى الأستاذ الزبيري للرد على ذلك المقال وأرفق رده برسالة بديعة البيان توجه بها إلى المرحوم عبد الغني الرافي صاحب الصحيفة التي نشرت مقال الأستاذ الوادعي، وجاء فيها: "وأرى بعض الإخوان سامحهم الله يجاملونها (أي حكومة الإمام) . . ونحن نشفق على سمعتهم ومكانتهم، ونأسى على الأمة من أن تُحرّم من نجدة ألسنتهم وأقلامهم. ونخشى أن يقول العصر الحديث إن عنصر الشعب اليمني منحط لذاته لا

للظروف الاستبدادية التي أحاطت به. ولذلك ترى شبابه المتعلم يمتدج ظلمات العصر الحجري في القرن العشرين.. أنا أعجب أشد العجب ممن يقدمون الزلفى إلى الحكومة اليمنية مع أن التجارب قد أثبتت أنها لا تقدر الجميل ولا تفرق بين المحسن والمسيء، وأنت لو سقت إليها عرش السيطرة على الدنيا لما منحتك من المثوبة أكثر مما تمنح سائق عربة الكنس، لأن الله خلق كل شيء في محبتها. يا حضرة الأستاذ... لقد نشرتم مقالة السيد الجليل يحيى بن إسماعيل الوادعي في واجب الشباب اليمني، واضطرتكم حقوق الحرية الصحافية أن تفسحوا له المجال في أن يضع المسؤولية العظمى على أمته فاسمحوا لنا أن ندافع عن هذه الأمة المسكينة ونضع المسؤولية على الحكومة، إذ ليس من العدالة أن توهب الحرية لأحد الفريقين المتنازعين دون الآخر. فإذا لم تكن الأمة فوق الحكومة فلا أقل من أن يكونا في نظر الصحافة سيان".

(المصدر نفسه)

ولم يكن رد الأستاذ الزبيرى على صديقه الأستاذ الوادعي قاسياً أو منفعلاً كما قد يتبادر إلى الأذهان، وإنما كان موضوعياً يفند آراءه بحكمة لمصلحة الوطن. وقد تجنّب ما استطاع أن يسيء إلى ذلك الصديق أو يشوّه مقاصده، وللذين لا يعرفون الأستاذ يحيى الوادعي فإنه واحد من ضحايا الإمامة ومن الكفاءات التي دفنها حكم الفرد الخائف من كل ضوء، وقد عاش مشرداً إلى أن توفاه الله بعيداً عن وطنه، وقد أسهمت الجامعة العربية في دفن مواهبه في إحدى إداراتها الشكلية "الإدارة القانونية". وكان رحمه الله - كما عرفته عن قرب - طاقة متوهجة الذكاء، يردد في صمت "أضاعوني وأي فتى أضاعوا". وهذا الحوار الساخن الذي دار بينه

وبين الأستاذ الزبيري كان في منتصف الأربعينات، وفي حياة الإمام يحيى، وكان جيلنا يومئذ في سنوات الطفولة الأولى...

وبما أنني قد أشرتُ إلى رد الأستاذ الزبيري على مقال صديقه فإنني لضيق المكان وتقادم عهد الحوار، أكتفي بدياجيته أو بالفقرة الأولى منه.

يقول الأستاذ الزبيري: "قرأتُ المقال الطويل للسيد الجليل يحيى بن إسماعيل الوادعي طالب كلية الحقوق وأول محام أنجبته اليمن، تحت عنوان: (واجبات الشباب اليمني)، جاء فيه العجب العجيب من الأغلاط الاجتماعية والتاريخية والنظرية، ولم يكن هذا الشاب - علم الله - ممن يرتكسون في تلك الأخطاء لعطل في تفكيره أو اختلال في رأيه، أو إفلاس في معلوماته. ولكنه أراد أن يقدم عقليته قرباناً بين يديّ العرش المتوكلي لغرض قد يكون نبيلاً فيما أعتقد. لأن ذلك الشاب النابه المستنير لا يمكن أن يكون عدواً لبلاده وأمته ولا سيما وهي تنتظر منه أن يأتي في خدمتها والإخلاص لها ما لا يؤذيه سواه".

(نفس المصدر)

لا أريد هنا على الإطلاق، بل لا أستطيع أن أبريء الأستاذ الزبيري من أنه كان يمارس لوناً غير مباشر من النقد الانتقامي - إذا جاز التعبير - وهو انتقام من صاحب تلك الرسالة المُنْهَرة التي حاول صاحبها أن يقف من الزبيري نفسه موقف المعلم، وأن يذكره بطريقة غير مباشرة ما يجوز وما لا يجوز في الشعر.

ولا أشك أبداً في أن الزبيري قد كان معجباً أشد الإعجاب برسالة صديقه الوادعي. فقد كشفت له على الأقل فكر مواطن يهمة أمر الوطن ويهمة أمر الشر. وحين أجاب على رسالته لم يتردد عن أن يفضي بكل

أحزانه ومخاوفه، وأن يكشف له من عيوب نفسه ما لم يكن يعلم وما لا يقدر عليه إلا رجل عظيم هان عليه إيفاء قضية الوطن كل شيء بما في ذلك شعره وحياته. ولكن ذلك المقال الذي يمدح الإمام وحكم الإمام أفسد الصورة الجميلة في نفس الزبيري وجعله يرى في صديقه مداحاً نثرياً، والمدح بالشر أسوأ أنواع المديح لأنه - على الأقل - يخلو من المميزات الفنية والذين يلزمون الشعر بالمواقف الاجتماعية أجدر بأن يلزموا النثر لأنه أقرب إلى التوصيل.

وهذا الموقف من الشاعر التاريخي سوف يجعله ينظر بنوع من المقت إلى جيل من الكتاب والشعراء يحاسبونه على أخطاء لم يكن من اقترافها بدّ في فترة التأسيس وغياب الرؤية، ثم لا يحاسبون أنفسهم أو لا يكفون عن تركية أخطائهم الفاضحة التي يقتربونها في ظروف أخف خطراً وأوضح رؤية. ومن الغريب أننا حين نستحضر أسماء الأشخاص الذين حاولوا الانتقاص من الدور الشعري للزبيري، وحاولوا التحريض بمذائحه الإمامية كلهم من الذين مدحوا الإمام حياً وميتاً، ومن الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح الأوضاع البائدة. ونادراً ما اختلطت الأمور على أشخاص - مع شدة وضوحها - كما اختلطت على هؤلاء فهم يتحركون في غرف زجاجية ويوهمون أنفسهم أنهم يتحركون خلف جدران سميكة من الفولاذ لا تكشف عن مقاصدهم ولا عن أهدافهم، يساعدهم في ذلك مراحل الانتقال التي طالت وتعددت وترتب عليها غياب الوعي الوطني جزئياً أو كلياً وانشغاله بما هو أهم وأخطر من أمور البلاد.

٢ - الشاعر التاريخي في مواجهة الاستقلال المزعوم:

ومن هموم الزبيري الشاعر التاريخي الذي حمل هموم الطليعة الأدبية في اليمن، في أخرج المنعطفات التاريخية وأشدّها قتامة، من بين هذه

الهموم هم يرتبط بمعاناته الناتجة عن قصائد المديح التي عرفنا سلفاً أسبابها ودوافعها، والتي لم ينل عنها لا جزاء ولا شكوراً، وقد كان آخر منصب رفعتة إليه تلك المدائح هو منصب (مأمور سوق) للواجبات وهو من المناصب أو بالأصح الوظائف الصغيرة التي يمنحها الحاكم للجند ولمن لا وظائف لهم لكي يجنوا من ورائها أرزاقهم المشؤومة.

وذلك الهم الذي يرتبط بمعاناته الناتجة عن قصائد المديح هو فراره إلى عدن واضطراره إلى البقاء فيها مع عدد من زملائه الفارين من بطش الإمام والذين لم يجدوا مكاناً آخر ينقذون به جماجمهم ويهربون إليه من توظيف ثقافتهم الأدبية لحساب الإمام دون مقابل يذكر. وقد شكّل الفرار إلى عدن همّاً من أوجع هموم الزبيري ومن أخطر هموم الحركة الوطنية في بداية ظهورها لأن (عدن) المدينة اليمنية والثغر التاريخي لليمن كانت آنذاك تخضع للاحتلال البريطاني، وتقف من حيث الشكل في مواجهة صنعاء (المستقلة).

وقد عبّرت ثلاث رسائل بعث بها الزبيري بعد انتقاله إلى عدن عن إحساسه بالتبرؤ من البقاء في عدن، بل والخوف من بقاءه في تلك المدينة التي لا تبعد كثيراً عن سيف الإمام، الذي تربطه بالاحتلال علاقة جيدة وإن شاب ظاهرها في بعض الأحيان شيء من الخصام وقد زارها ولي العهد أحمد متكرراً كما زارها علناً مع أفراد حاشيته..

وقد بعث الأستاذ الزبيري برسائلته الأولى إلى زميله الشهيد محمد صالح المسمري، وبعث بالرسالة الثانية إلى زميله الشهيد عبد الله بن علي الوزير والأستاذ يحيى زبارة، وكانت الرسالة الثالثة إلى الشهيد أحمد حسن الحورش، وفي كل رسالة رجاء بسرعة استخراج موافقة رسمية من أية جهة مسؤولة في مصر أو أية وثيقة سفر إلى القاهرة.

وفي إحدى هذه الرسائل - وهي رسالته إلى الشهيد المسمري - تحليل تفصيلي عن أوضاع اليمن وعن معاناة أبنائها وعن العذاب الذي وجده الزيري بعد عودته من مصر وفراقه لزميله المسمري، أي "منذ غادرت مصر إلى أن فررت من ظل الخلافة اليمنية الإسلامية الكبرى، العظمى، المقدسة، المعبودة من دون الله"، على حد تعبير الأستاذ الزيري في رسالته، والتي يقول فيها: (وما كان يقع في حسابني إذ كنت بمصر أنني سأتحول إلى عبد مسخر ذليل ! يحرك يده ولا قلمه ولا لسانه إلا بأمر شريف، وكم كنت أتحرق ألماً وحقدًا حينما كنتم تكتبون إلينا أحراراً دون أن نستطيع الإجابة عليكم ولو بحرف واحد إلا بنوع من المغامرة التي لا طائل تحتها...).

إن مأساتي منذ فارقتكم تنطوي على حقائق مؤلمة كثيرة لو شاء قلبي أن يسردها لجاءت في مجلد كامل على الأقل. ولئن مكنتني الظروف من جمعها فقد اخترت أن تكون تحت عنوان "مصارع الأحرار والأبرار"... لقد كنتُ اتخذتُ طريق الأناة والتعقل وتزلفت إلى ولاة الأمر بصنعاء علّهم يفسحون لنا المجال لشيء من الإصلاح الديني المحض ولكنهم لا يفرقون بين الدّين والسياسة ولا بين الإرشاد والنبوءة، فظنوا أن الوعظ عمل من أعمال النبوءة، وأن النبوءة قد تؤسس عرشاً أو تبني ملكاً ولذلك فقد كانت نظرة الإمام إليّ كنظرة العباسيين إلى أولئك الذين ادّعوا النبوءة في عصرهم من المختبلين والممرورين، هوجمت داري قبل الناس بثلة من الجيش يقودها الحاكم الأول عمنا لأنه خبير بالزوايا والخبايا، وفشلت حركة التفتيش وأعمى الله أبصارهم عن ذلك البرنامج المطبوع، فلم يعثروا على شيء مما كانوا يبتغون، ثم نقونا إلى الأهنوم ليقصونا (زعموا)

عن جمعيتنا. وسأعرض عن تفصيل بقية القصة إلا أنني أحييت أن تعلموا أن ذلك النفي والإعتقال والتشريد نفذ علينا دون أن يجدوا حجة واحدة تبرر تصرفاتهم القاسية. فما بالكم لو عثروا على شيء... إنا بالله عائدون.. وخاتمة المأساة أنني نُفِيْتُ إلى تعز نفيًا، ولكنني هذه المرة نُفِيْتُ مع عائلتي لتكون نائية عن قيود الأهنوم، وكنتُ قد نزلت تعز أعزم على الزواج لأول وهلة، وما كنتُ لأقيم بين ظهرائي قوم لا يرتبطون بدين ولا قانون ولا عاطفة ولا إنسانية).

ويصل الأستاذ الزبيري إلى خلاصة رسالته وهو بيت القصيد، وفيها يقول: "الخلاصة يا عزيزي أننا نستجد الآن غيرتكم وغيرة الشباب اليمني في مصر كلها كي تقدموا لائحة جماعية إلى الحكومة المصرية وتعرضوا فيها قضية الشباب اليمني المضطهد في الداخل والخارج، وأن تطلبوا منها الاحتجاج على الإمام وأولاده في مطاردة الشباب وتهديده بسفك الدم لمجرد تهمة بأنه يطالع في الكتب الأدبية العصرية لا غير، لا غير، كونوا على ثقة بأنه ليس علينا ذنب غير هذا وأن حياتنا الآن في خطر، ولكننا ولله الحمد نحمل روحاً فدائية لن نَجْبُن ولن نخاف، وقد خرجنا من أموالنا وأهلينا ولن نزال نجاهد الاستبداد حتى نفوز أو نموت، وإذا لم يكن من الموت بد... الخ، اطلبوا لنا من مصر جوازاً... إحتفظوا بهذا الكتاب عندكم".

كانت تلك فقرات من رسالة الأستاذ الزبيري إلى زميله الشهيد محمد صالح المسمري الطالب والمدرّس - حينئذ - في الأزهر، وفيها تسجيل دقيق لمعاناته، وفيها أيضاً يتبين أن الزبيري بعد خروجه من سجن الأهنوم لم يكن ينوي البقاء في تعز وإنما كان يتخذها طريقاً إلى عدن ومن عدن

إلى مصر حيث يستكمل دراسته الجامعية ويعمل مع بقية زملائه على فضح الأوضاع الظالمة في صنعاء، وفي رسالة الأستاذ الزبيري إلى زميله عبد الله بن علي الوزير ويحيى بن أحمد زبارة يقول: "والآن نلفت نظركم إلى ما كانت لنا، ولكم من المباحثات حول الاستبداد ودائه ودوائه، وأعتقد أن أكثر تلك المواقف كانت مبنية على أخطاء كثيرة لجهلنا بكنه القضية اليمنية، وكنا مجمعين إذ ذاك على أن زيارة اليمن ستفيد كثيراً في دراسة أمراض المستبد التي نعانينا وقد تبين لنا صدق هذه النظرية، وانكشفت لنا حقائق مدهشة ما كنا نخطرها على بال، زد على ذلك أن الأمة اليمنية قد نضجت ضماؤها من السخط والتبرؤ وصرنا في حاجة إلى استغلال هذه المواد الملتهبة لما نحن بسبيله والقضية المهمة التي نفاجتكم إلى النظر فيها هي أن الأمة اليمنية إذا اضطرتها نظريات الوحدة العربية إلى الصبر ستين متواليتين فستفقد لا محالة نصف السكان في كثير من المناطق التي أُصيبت بالتيفوس والجذري والمجاعة التي لم يسبق لها نظير، وهذا على أقل تقدير وإلا فقد رأينا قرى كثيرة جداً لم تبق فيها الأهوال المختلفة نفساً واحدة... ومع الأسف نرى رجال الوحدة العربية اليوم هم الذين يتحكمون في مصيرنا - كما نظن - وهم مع ذلك لا يقيمون للأمة اليمنية وزناً ولا يفهمون إلا أن هذه اليمن عبارة عن رجل واحد، وأن الخريطة كاذبة فيما زعمت أن اليمن قطر عربي في جنوب الجزيرة بل هو ملك فرد محتوم كبير السن يحب أن يواجه العالم العربي بأسره.

نحن الآن يا حضرة السידین المحترمين نريد أن تفسروا لنا موقفكم الغامض وسكونكم الطويل ولم يبقَ لكم بعد اليوم عذر عند الأمة التي هاجرنا الآن من بين ظهرانيها وهي والله تصيد القردة لتأكلها وتبحث عن

البغال والحمير الموتى لتسدّ من مسغبتها وتموت في الطرقات التي تمر منها الجمال الحاملة الملايين من أموالها إلى نغم ودار السعادة".

ويختم الأستاذ الزبيرى رسالته اللاهبة برجاء مماثل لذلك الرجاء الذي توجه به إلى الأستاذ المسمري وهو انتزاع الموافقة من الحكومة المصرية على دخول الزبيرى ورفاقه إلى مصر حين يقول: "نحن في أمس الحاجة إلى معاونتكم قبل الحكومة المصرية، وأهم شيء هو التصريح لنا بدخول الأراضي المصرية، فإذا استطعتم أن تحصلوا على ذلك فليكن التعجيل، ولو تعرضون لهم أننا نقصد زيارة مصر".

(رسالة بدون تاريخ)

لقد كان الأستاذ الزبيرى إذن يدرك منذ أول يوم وضع فيه قدمه على أرض عدن، وربما قبل ذلك أنه سوف يتعرض لهجوم من خصومه بسبب ذلك الاختيار. وإن كان أولئك الخصوم يعلمون أن عدن جزء لا يتجزأ من وطنه، ويعلمون كذلك أنه مهما كانت وطنية الوطنيين ومهما كان حرصهم على استقلال بلادهم فإن الذي كان يجري في صنعاء ليس من الاستقلال في شيء ولا حتى من الاحتلال في شيء، وأن الأوضاع التي كان يعاني منها شمال الوطن - يومئذ - لم يكن لها مثيل ولم يسبق لها نظير. وإذا كان ذلك الجزء من الوطن قد حافظ - كما يقولون - على استقلاله بفضل تضحيات أبنائه لا بتضحيات الحاكم الفرد، إذا كان قد حدث ذلك، فقد ظل استقلاله شكلياً خالياً من كل مضمون، وقد أفرغه حكم الفرد من كل معنى. وهذا ما كان يدركه الأستاذ الزبيرى ويعيه وعياً تاماً بعد تجربته المريرة مع الإماميين، وبعد قصائد التزلف والنفخ في قربة الاستقلال المقطوعة، ولعل في الرسالة المطوّلة التي بعث بها الأستاذ

الزبيري إلى الإمام يحيى بعد فراره من قصر ابنه - وهي أخطر وثائق الحركة الوطنية على الإطلاق - لعل فيها ما يشفي النفس، ويفضح أبعاد الاستقلال المزعوم، تقول بعض سطور هذه الرسالة الموجهة إلى الإمام يحيى والتي تضع بين يديه هموم اليمن بصراحة لم يعهدها من قبل: "لو أنكم فهمتم معنى الاستقلال وفائدته واستغليتم المركز الذي تتمتعون به في صالح الأمة لا في خرابها، أما وأنتم قد ركزتم همتمكم ووجهتم أنظاركم لجمع مال الأمة من كل سبيل، ومزقتم شملها وهضمتم حقوقها وقبضتم يداكم عن إحداث أي إصلاح فيها وحاربتم الثقافة هذه الحرب الطاحنة، وبلغ البؤس بشعبكم في هذه الآونة أمداً أكل الناس الحمير والقردة وفتوا الروثة والبعرة ليأكلوا حطام الحبوب التي لفظتها أمعاء البغال والخيول، وحتى بلغ الناس من العنف والاضطهاد أن هاجرت النساء أفواجاً إلى عدن فراراً من عنف العسكر وامتهانهم، وهذه حقائق حاضرة نحن على أتم استعداد في البرهان عليها حتى لا يكون فيها شك" ولا ريب . . .

نعم إن كان هذا هو الاستقلال الذي حصلتكم عليه فما أشبه حكومتكم برجل هاجمه عدوه ليقتل ولده فدافع عنه ومنع العدو عن قتله، ولكنه أخذ مدية كانت حاضرة لديه وطرح ولده على الأرض وأمر المدية على أوداجه ثم قال له: بيدي لا بيدك يا عمرو. هذا وجه، والوجه الآخر أنكم وإن كافحتم السياسة الأجنبية في عاجل الوقت فإنكم ولا شك قد مهّدتُم للإستعمار في المستقبل. إذ أن أمة هرب ربع سكانها إلى الخارج وليس فيها طبيب ولا مهندس، ولا محامي، ولا جرائد ولا مطابع ولا زراعة ولا تجارة ولا صناعة، ولا جيش بمعنى الكلمة، فمن المستحيل أنها تدفع عن نفسها تيار الإستعمار الجبار فيما إذا هاجمها ولو بطائرة واحدة.

إن الأمة الحية المتعلمة لا يمكن أن تموت ولو وقعت تحت كلكل الإستعمار لأنها لا بد أن تتخلص منه ، وأن الأمة الضعيفة الجاهلة لا يمكن أن تعيش ولو خلق الله لها كوكباً مضيئاً يتعد بها عن الأرض وينجو بها من مخالب الإستعمار . نعم إنكم لم تسلموا البلاد إلى الأجانب ولكنكم قطعتم أوصالها وحطمتم قواها ، وعطلتم مواهبها حتى إذا مَدَّ العدو إليها يده وجدها لقمةً سائغةً وغنيمةً باردة وسيشكر لكم العدو هذا الصنيع ويقدر لكم هذه اليد البيضاء .

(من وثيقة طويلة لم يسبق نشرها)

هل في كل هذه الحقائق والحجيات الواردة في رسالة الأستاذ الزبيري إلى الإمام يحيى ما يكفي لإقناع خصوم الوطن وخصوم ذلك الشاعر التاريخي الذي وضعته ظروف بلاده ، ووضعت شعره وكفاحه في أشق امتحان وتحت شروط اجتماعية وثقافية محكومة بأقصى مستويات التخلف والإنحطاط ووسط أصعب المعادلات الدولية والعربية؟؟ وهل فيها ما يزرع الخجل على شفاه وأقلام أولئك الذين يريدون أن يمتوا علينا بالاستقلال المزعوم ، وأنهم أغلقوا الأبواب والنوافذ لكي نموت اختناقاً خوفاً من أن تصيبنا ضربة هواء؟؟!

وقبل أن ينتقل الحديث إلى موضوعات الديوان الذي أثار كل هذه الخواطر والشجون تجدر الإشارة إلى مقابلة صحفية تم العثور عليها بين آثار الأستاذ الزبيري بخطه ، ويرجع تاريخها إلى ما بعد قيام الثورة ، ولعله لم يسبق نشرها ، وربما كانت معدة للنشر ، في صحيفة الثورة بمناسبة الذكرى الثانية لثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، وفيها يتحدث الأستاذ الزبيري بالتفصيل عن مراحل العمل الوطني قبل حركة ٤٨ والذي تمثل في

ثلاث مراحل، وكانت المرحلة الثالثة كما يقول الأستاذ الزبيري: "المرحلة العلنية والمنظمة"، وهي تبدأ كما تقول سطور المقابلة: "بعد أن وجد الأحرار بأن العمل تحت رحمة الرجعية الحاكمة غير مأمون العواقب وغير مؤدّ إلى نتيجة حاسمة. وغير متجاوز إلى النطاق الشعبي الواسع قرروا ضرورة وجود حركة علنية خارج النطاق الإمامي، فخرج مجموعة من الشباب الأحرار هارين إلى أرض الكنانة عن طريق الحجاز. وكان أبرزهم محيي الدين العنسي وأحمد حسن الحورش، وخرج آخرون هارين كذلك ومتجهين إلى مصر أيضاً عن طريق عدن، وكان أول من وصل إلى عدن مطيع دماج وعقيل عثمان والشهيد عبد الله بن حسن أبو راس، وتبعهم أحمد محمد نعمان وزيد الموشكي ومحمد محمود الزبيري ومحمد بن ناجي القوسي وآخرون. فأما الفريق الأول فقد استطاع الوصول إلى مصر دون أن تعترضه عقبة، وأما الفريق الثاني فقد استطاع الإمام يحيى أن يطلب من فاروق أن يرفض دخولهم مصر فاضطروا إلى البقاء في عدن".

مرة أخرى لم تكن (عدن) في تفكير الشاعر التاريخي هي الهدف أو الموقع المناسب لإعلان الخروج الكبير على الطغيان، وكانت القاهرة هي الهدف والموقع المناسب لذلك، ولكن الضرورة وحين يختفي الماء تتم الطهارة بالتراب، وحين تشتد المجاعة تكون الميتة غذاءً مناسباً، هكذا تقول أصول الدين، وهكذا كانت تقتضي ظروف المعركة. وبالرغم من كل المحاذير لم تكن (عدن) سوى مدينة يمنية تعرّضت لمرض الاحتلال الطارئ وهو لا يقل خطراً عن الاستبداد وحكم الفرد الذي خضعت له صنعاء المستقلة.

والآن ماذا عسى يقول الديوان الجديد القديم والأخير للزبيري؟ إنه سؤال سوف يرتسم على شفاه كل الذين سيقرأون عن هذا الديوان، لكنه عندما يغدو بين أيديهم سيجدون أن معظم قصائده مما كتبه الشاعر وهو مشرد في الباكستان حيث لجأ إليها فراراً من الإعدام المحتم بعد نكسة ١٩٤٨. ويلاحظ القارئ أن قسماً كبيراً من قصائد هذا الديوان مترجم عن الأوردية، ومن شعر الشعارين الكبيرين (إقبال) و(حالي). ونرى لزماً - قبل الحديث عن قصائد الديوان - أن نشير ولو بشيء من الإيجاز إلى الفترة الباكستانية في شعر الزبيري، وهي الفترة التي كتب وترجم فيها معظم قصائد الديوان. فقد كانت إلى وقت قريب محاطة بالغموض، إلا أن الإشراق الأخير لبعض آثاره ومذكراته قد ألقى ضوءاً كافياً على تلك الفترة المشحونة بالخوف والقلق والترصد والتي أعادت صياغة الزبيري روحياً وشعرياً وثورياً، فقد وضعت الأقدار على كاهل ذلك الشاعر المشرد الفقير أمانة القضية الوطنية بعد أن سقط كل أنصارها بين قتل وأسير. وعندما يقرأ أبناء اليمن مذكرات الزبيري وآثاره الثرية والشعرية المرتبطة بهذه المرحلة سيعلمون أي رمز عظيم كان هو الزبيري، وأي وطني جليل كان ذلك الشاعر التاريخي.

ولن نتحدث طويلاً عن معاناة الشاعر وعن شظف العيش ومرارة الغربة التي احترق في أتونها، وربما نكتفي ب فقرات من رسالة كان الزبيري قد كتبها بعد عام أو أكثر وبعد أن تحسنت أحواله نسبياً بفضل توصيات الأصدقاء والمعجبين بفكره وشعره، وبعث بها على استحياء إلى وزير المعارف الباكستاني يومئذ "محمود حسن مخدوم"، تقول بعض فقرات الرسالة:

- ١ - جئت بأمر شيخ الإسلام لخدمة الجامعة العباسية .
- ٢ - أنفقتُ على نفسي كثيراً من حين سفري من كراتشي .
- ٣ - حالي سيئة من كل الوجوه، وحتى أنني لم أجد مكاناً أسكن فيه، وقد سكنتُ مع تلميذ من التلاميذ، وأنا الآن أسكن ضيفاً عند بعض الأساتذة .

٤ - لستُ مضطراً إلى الجامعة ومرتباتها لأنني أستطيع أن أطلب نفقاتي من بلادي، ولكني أعلم الله أكتُم حالي عن أهل وطني لئلا يقولون أن مثلي يضيع في باكستان .

٥ - حينما سألني أصدقائي في كراتشي عن مرتبي في الجامعة كتمته عنهم لأنهم قالوا لي أن أقل ما تأخذه أربعمئة روبية، ولما كشفتُ الواقع قالوا لي أن لا تأخذ مرتباً معيناً واطلب منهم أن يُنفقوا عليك بأنفسهم، ويكون تعليمك بدون مرتب وهو أشرف لك " .

(صورة بالكويتي عن الأصل المرفوع لوزير المعارف)

وكتب رسالة إلى أحد السفراء العرب ولعله سفير مصر، حينذاك في باكستان المرحوم عبد الوهاب عزام، وهي واحدة من الوثائق الهامة عن أسباب فشل حركة ٤٨، ومما جاء فيها: " لا أستطيع أن أقول أننا فشلنا لأن قضية الحرية ظلت قائمة تكمن في أعماق نفسيات الشعوب وتجري في دمائها وتجارب أمتنا كلها. وانضمت اليمن إلى قائمة الديون التي سجلتها الشعوب العربية على دولها حتى بهظتها هذه الديون، وأثقلت ظهورها. وأدرك رجال (حكومتنا) الحاضرة بعدئذ أن الحرية ليست فردية ولا خرافة، لأنه لو أبعد رجال اليمن جميعاً، ولو دفنوا أنفسهم في التراب، ووأدوا نساءهم وأطفالهم لبقيت الحرية حية تجادل عن نفسها في كل مكان!! " .

يا الله كم هو عظيم ذلك الشاعر المشرد، وكم هو شديد الإيمان بمستقبل الحرية لكل أبناء وطنه، وفي مثل هذه الظروف العصيبة والاستثنائية في تاريخ البشر تتجلى عظمة الرجال.. إن الذي حدث في مارس ٤٨ لم يكن فشلاً، وإن قضية الحرية في اليمن لن تموت حتى لو مات كل أبنائها، هذا الإصرار الذي يرتفع إلى درجة الثبات، وهذا الإيمان الذي يصل إلى درجة اليقين هو الذي جعل من الزبيري رفيقاً وفتياً للحرية إلى آخر لحظة من حياته العظيمة.

وفي هذه الفترة الباكستانية تلقى الأستاذ الزبيري مجموعة كبيرة وغير عادية من الرسائل، منها عدد من الرسائل التي تلقاها من الإمام أحمد بعضها عن طريق المرحوم القاضي محمد عبد الله العمري الذي يبدو أنه التقى بالأستاذ الزبيري في الهند، وبعضها عن طريق المرحوم الشيخ محمد سالم البرجاني، والبعض الآخر عن طريق شيخ الإسلام في باكستان السيد (شبير) الذي رعى الزبيري في غربته، وكتب عنه الزبيري قصيدة طويلة ومثبتة في هذا الديوان ومن الضرورة بمكان أن نشير إلى أن رسائل الإمام أحمد إلى الأستاذ الزبيري قد كانت تتضمن دعوته إلى العودة إلى الوطن لكي تستفيد بالعهود والإيمان المغلظة بأنّ الزبيري لن يناله أي أذى وأنه سيكون في مقام من التقدير والرعاية الإمامية وستكون أفكاره رهن التطبيق!!.

لم يستجب الأستاذ الزبيري لخدعة الإمام أحمد ولم يثق بعهوده، ولا اطمأنت نفسه للوساطة التي قام بها الشيخان الجليلان البيحاني وشبير. وقد ظل يماطل ويتهرب ويطلب في ردوده إلى الإمام إثبات حسن النية من خلال إصلاح أمور البلاد وإطلاق سراح السجناء. وقد سجل مشاعره في هذه الفترة في مذكرات قصيرة تضمنت يوميات العذاب الطويل. وقد

بدأ كتابة هذه اليوميات بشكل متقطع منذ أول يوم هبط فيه إلى باكستان . ولا يخالجنى شك في أنه قد كتب يوميات أو مذكرات أخرى تحكي صراعه مع المخاوف والمخاطر منذ غادر صنعاء لآخر مرة قبل سقوط الحركة متوجهاً إلى المملكة العربية السعودية وعودته منها إلى عدن، ثم فراره على ظهر باخرة إلى الهند بعد شهور من التيه ولا بد أن تكون تلك اليوميات والمذكرات قد تضمنت تفاصيل ما أوجزه في بعض رسائله الطويلة عن هذه الفترة فقد أوضحت كتاباته في الباكستان أنه كان حريصاً إلى أقصى حدود الحرص على تسجيل كثير من الملاحظات والمشاهد وقد اشتملت مذكراته على نماذج كثيرة من الملاحظات والمشاهد، وقد اشتملت مذكراته على نماذج صغيرة من قراءاته وعلى تصوير دقيق لمشاعره المتأرجحة بين الخوف والطمأنينة، بين اليأس والأمل، بين الشعور الطافح بالرضا وجمال التضحية والإحساس الفاجع بالخيبة المريرة وفي فقرة من هذه المذكرات اليومية إشارة إلى قرب نفاد الجيب من القروش القليلة، وقد كتب تلك الفقرة وهو وحيد منفرد في مقهى قديم من مقاهي كراتشي المتناثرة في الأحياء الشعبية بعد أن شرب كوباً من الشاي وأكل قطعة من الخبز سجّل ثمنهما في مذكراته .

وكانت كتابة القصائد وتسجيل التأملات الفكرية هو وسيلته الوحيدة والمتاحة إلى الخلاص من قبضة الآلام ومن الإستسلام لأحزان الخيبة، ومن أجمل خواطره أو بالأصح تأملاته الفكرية في هذه المرحلة هذه المقولة العميقة: "من أهم الأسباب فيما يقولون من أن التاريخ يُعيد نفسه ذلك أن المعجزين يهلكون أثناء التجربة، ويأتي الجيل الذي بعدهم فيحاول أن يعيد التجربة من جديد وكثيراً ما يقع في المصير الذي وقعوا فيه وبهذا يتأخر نضوج العقل الاجتماعي. للإنسان ويسير ببطء شديد لكثرة ما يعترض تطوره الطبيعي" .

آخر العناقيد الشعرية لشاعر اليمن التاريخي

للأستاذ الزبيري في حياته ديوانان من الشعر هما: " صلاة في الجحيم " و " ثورة الشعر " . وكان يعدّ الديوان الثالث للطبع حينما فاجأته الثورة بالانتقال من القاهرة إلى صنعاء أباً روحياً ، ووزيراً للتربية والتعليم وهو المنصب الذي شغله لعدة أيام في حكومة الشورى والدستور عام ١٩٤٨ . وقد اضطرتّه الأسفار والمعارك أن يطوي أوراقه ويتفرّغ لحماية الثورة وتصحيح مسارها . ولم يعد يفكر في الشعر أو الفن وهو يلهث من موقع إلى موقع ويخرج من معركة ليدخل أخرى ، وفي العامين اللذين قضاهما في خندق الثورة جندياً يقاتل بالكلمة والرأي ، والكلمة النضال ، في هذين العامين لم يُضف إلى شعره كثيراً ولا قليلاً .

ويحتفظ له زملاؤه الذين رافقوه رحلة الموت الأخيرة بقصيدة (سينية) شاعت وذاعت وقد رأيتها عند أحدهم بخط يده المعروف إلا أنني ما زلتُ أشك في بعض أبياتها ، وأنها قد تكون من القصائد الجماعية التي يكتبها رفاق المقيّل أو رفاق السفر وهي عادة أدبية يمنية ما تزال تنفس بيننا حتى اليوم بفضل مجالس القات . ثم أنني عثرتُ بين أوراقه الأخيرة على مشروع قصيدة يتاجي فيها صنعاء وهي من حيث فكرتها تشبه قصيدة (وطن النجوم) للشاعر اللبناني إيليا أوب ماضي الذي عاد إلى وطنه لبنان بعد أربعين عاماً من الغربة وبدأ يتحدث إليه متسائلاً :

وطن النجوم أنا هنا

حدّق أتذكر مَنْ أنا

أَلَمَحْتَ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ

فَتَى غَرِيرًا أَزَعَنَّا

ويبدو أن مشاغله وهمومه الكثيرة التي جعلته يندمج في الواقع قد منعه عن إكمال القصيدة ولم تُؤَقَّر له من الوقت ما يُصلح ترتيب بعض الأبيات غير المرتبة، وهذا هو الجزء الصالح منها للنشر دون أي حذف أو تغيير:

نسمات الوادي نشيد الهي

وعطّر مقدّس وأغاني

عَرَفَتْنِي طفلاً ويدهشها حين

أراها شيخاً، وحين تراني

عشت من بعدها دهوراً من الهول، أعادت طفولتي في ثواني

حملت قبلة الإله من الجنة

تعطي الدنيا بذور الجنان

طبعتها محمومة الشوق حرى

في خدود التّفاح والرُّمان

وطيور سكرى تعب الخطايا

وهي ريانة من الغفران

لا تخاف الجحيمَ فهي منَ الفِرْدَوْ

سِ مخلوقة، ومن رضوان

(مخطوطة)

لن يجد الدارس - فيما عدا مشاركة الأستاذ الزبيري في القصيدة السنية وكتابته لهذا المقطع من مشروع قصيدة - لن يجد الارس أي شعر يُذكر، وقد كتبتُ ذات مرة أقول - وربما يكون آخرون قد سبقوني إلى هذا التعبير - إن القصيدة الوحيدة التي كتبها بعد عودته إلى أرض الوطن هي تلك القُبلة التي طبعها على وجه التراب اليمني وزكّأها بدمه الطهور...

وكان يمكن لما تبقى من شعر الأستاذ الزبيري الذي لم يُنشر أن يذهب أدراج الرياح وأن تذهب معه مذكراته وكتاباتة الفكرية ورسائله والرسائل التي تلقاها في أثناء قيادته للحركة الوطنية أدراج الرياح أيضاً، أو على أقل تقدير تتبدد هنا وهناك، كان يمكن لذلك أن يحدث لولا وعي زوجته الفاضلة التي أخفت آثاره الفكرية عن كل العيون، واحتفظت بها بعيداً عن كل التيارات التي حاولت أن تزجّ بالزبيري في خلافاتها الآنية، وبفضل هذا الحرص النبيل بقي فكر الزبيري كما هو فكر المناضل الرمز، والرائد الأب.

يقدم الديوان الجديد للأستاذ الزبيري - كما سلفت الإشارة إلى ذلك - القصائد التي لم تُنشر في ديوانيه السابقين، ومنها قصائده العاطفية القليلة التي كان يتحفظ إزاءها، ويرى أن نشرها قد يكشف جوانب من ضعفه الإنساني وبأنه قد أشرك في حبّه الكبير والوحيد عندما غافل الحبيبة الكبرى (اليمن) وتغرّلت في مفاتن غيرها وشغل عينيه ولو للحظات بالتأمل

في غير محاسنها. ومن بين قصائد الديوان بعض القصائد السياسية، كقصيدة (ملحمة السويس) التي تتحدث عن حرب القنال، وكقصيدة (ثورة عمان)، ثم قصائد إسلامية كقصيدته الشهيرة في (جناح)، أو القصيدة التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في باكستان بعد فراره إليها وقد كان ذلك المؤتمر بالنسبة للزبيري بمثابة طوق النجاة، فقد تحول بعده من مشرد يتخفى ويتربص مصرعه في أي منعطف إلى شخصية إسلامية معروفة وإلى مدرس في إحدى الجامعات الباكستانية، وقد كان لظهوره في ذلك الملتقى وشرح مأساته على أقطابه أثر بالغ الأهمية، دفع الإمام إلى كسب وده وتكرار دعوته للعودة عزيزاً مكرماً بعد أن كان يُطالب به كمجرم هارب من وجه العدالة، وكواحد من قتلة الإمام يحيى.

والجانب الآخر من القصائد التي يقدمها هذا الديوان هي تلك الترجمات المنظومة عن الشاعرين إقبال وحالي، وسوف نرى أن هذه الترجمات الشعرية وإن تكن قد تمت في جو الشاعرين المذكورين إلا أنها نابعة من روح الزبيري أيضاً فلم يكن قد أجاد اللغة الأوردية عندما بدأ الترجمة وقد وجد فيها تعبيراً صادقاً عن مشاعره الروحية والثورية وبخاصة تلك القصائد التي تحدثت عن الظلم والقهر وعن الطغاة والمستبدين، وعن الفقراء والفلاحين وغيرهم من مستضعفي الأرض وضحايا القهر والإذلال.

وتبدو القصائد أو بالأصح المقاطع العاطفية في الديوان - باستثناء قصيدة الشاعر إلى زوجته - تبدو في ندرتها كالأزهار الغربية الأريج في وسط الحقل الأخضر، فالوطن، هو المحور الأساسي الذي تدور من حوله كل أشعاره. ولأنه - في تقديري - لم يمارس كتابة القصيدة الغزلية

كبقية الشعراء المعاصرين فقد ظَلَّتْ غزلياته أقرب شعره إلى التقليدية، ولننظر إلى هذه المقطوعة وعنوانها "غازية" والغازية بتحريك الياء هي التي تغزو القلوب والوجدان، وليست "الغازية" بتشديد الياء وهي الاسم الذي يطلقه أشقاؤنا في مصر على العجربة:

أخذت تلاحظني بطرف فاتك

ذرب على فري الجوانح هاتك

يبدو بأن له نصلاً في الهوى

وبأنه ابن ملاحم ومعارك

يغزو الفؤاد بومضة أخاذة

عجلى ويدخله دخول المالك

نتخالس النظرات بين عواذل

يَقْطِى، وبين مصارع ومهالك

إن جزالة اللفظ هنا، والإقتراب من موضوع الحب والجمال بقدر لا يُخفى من الكبرياء هو ما يمليه واقع شاعر التحمت أداته الشعرية بالوطن وارتبطت صورته وتشكيلاته اللغوية به، لكن قيمة هذه المقاطع العاطفية وهي تظهر بنسبة ضئيلة جداً في شعر هذا الديوان تؤكد أن الأستاذ الزبيري قد كان إنساناً كسائر البشر تشده النظرة الساحرة ويُبهره جمال المرأة، كما يُبهره جمال الكون وجلال الطبيعة. ولا شك في أن يكون الزبيري قد

استبعد كثيراً من نظائر هذه المقطوعات العاطفية وتخلص منها بحجة أنها قد تُشغل قارئه بما لا يراه نافعاً ومؤججاً للثورة المنتظرة.

وتمتاز قصائده الإسلامية سواء تلك التي تظهر في هذا الديوان أو تلك التي ظهرت في ديوانيه السابقين بأنها خالية من التناول المباشر والوعظ المنبري وهي تتناول الجانب المشرق والمضيء والخالد في الإسلام، روح الدين وعنصره المتطور والمتمرد فكرياً وحضارياً، الدين في شعره إحدى الطاقات الهائلة التي تسعى إلى تقوية الإنسان وتحريره من ربة الإستبداد ومن كل أنواع العبودية، وفيما يمكن أن يُستقى خطوطاً عريضة لتنظيم ثوري بعد قيام الثورة كتب الأستاذ الزبيري عن ضرورة استناد التنظيم إلى عقيدة روحية ثم يقول: "إنه يشترط في القصيدة المُشار إليها أن تكون عقيدة إسلامية سليمة وثورية وتقدمية ومبرأة من ثأر الطغيان الإمامي والرجعية والجمود، والمقياس العملي للثورية والتقدمية قدرة العقيدة على دفع الشعب للعمل الحضاري ورفع مستوى المعيشة للمواطنين... الخ".

(من الوثائق المخطوطة)

في ظل هذه الرؤية الإسلامية السليمة كما يصفها الزبيري نفسه كتب إسلامياته، ومن بين إسلاميات الديوان قصيدته في ذكرى محمد علي جناح وفيها هذا الإحساس الحميم بوجود الجماهير، أي جماهير:

أمم الأرض لا يرقعها الراقع

ترقيع ثوبه وكسائه

وشعور الجمهور أقوى من العقل

ومن حكمه ومن حكمائه

وإذا بالسجون تهوي

وبالسجان يبغي الفكاك من سجنائه

أما القصائد السياسية في هذا الديوان بخاص فهي أقرب ما تكون إلى المباشرة أملتها ظروف القاهرة حادة، وفرضها التزام فكري بهموم الوطن الخاص والعام. وكان لا بد أن يرتفع فيها صوت الشاعر ويخفت صوت الشعر أو بعبارة أخرى كان لا بد أن تسيطر اللحظة التاريخية بضرورتها على اللحظة الشعرية، وهي سمة تجلّت في قصائده السياسية التي كتبها في مصر في النصف الثاني من عقد الخمسينات وتختلف عن قصائده السياسية الأولى تلك التي تجلّى فيها خصب التصوير الفني وتوهج الوجدان الثائر وهو في مطولة عن (السويس) يقدم لنا تجسيمات أو لوحات فكرية تنداح وتنامي من خلال المواقف الإنفعالية القادرة على الإتصال الحميم بالجمهور. تقول بعض هذه اللوحات الفكرية الخالية من الفن الشعري:

إلى لعنة الله انكلترا

إذا شئت أو لعنات الورى

فلن تبصري رحمة في السماء

ولن تجدي موئلا في الثرى

صحونا برغمك يا (ايدن)

فللفجر ربّ به نؤمن

لقد كنت وهماً به نفتن
 ونُخرس من أجله الألسن
 فإن ضقت أنا أتانا الصباح
 وغادرنا ليلك المزمّن
 وأبرق (موليه) من حمقه
 وأرعّد ضد القضا والقدر
 يؤرقه أنا أمة
 تُعَدّ كأمته في البشر

في هذه الأبيات صورتان شعريتان مما ألفتناه وأحببناه في شعر الزبيري وهما: "للفجر رب"، و"الليل المزمّن"، أما بقية الأبيات فتقريرية مباشرة يقتضيها - كما أسلفنا القول - الالتزام الفكري الذي يجعل الإيصال شرطاً أساسياً ينسجم مع الواقع الثقافي العربي المتخلف لأبناء هذا الوطن العربي الممتد كالجرح على وجه الكوكب الأرضي، والذي يبدو أنه يسير إلى الخلف بخطوات موقفة.

وفي الديوان قصائد ومقاطع شعرية تنبض بالفن وتتدفق بالإلهام، ليست من هذا المحور الفكري أو ذاك من بينها قصيدة متعددة المقاطع كتبها الشاعر في الفترة الأولى من إقامته في باكستان، وهي بعنوان: "نقطة في الظلام"، وفيها يرسم إحساسه الفاجع بالوحدة وشعوره الحزين بالعزلة، ومنها هذا المقطع:

ها هي الهوة ما أعجزني
 في دواهيها وما أضيّعني
 ليت شعري مَنْ رمانى من ذرى
 أفقها الداجي ومَنْ حطمني؟
 أنا في الوهدة أهوي ويحها
 ما الذي في قعرها يجذبني؟
 إن شيئاً طالباً لحمي بلا
 مهلة، وبلا مَنْ يطلبني؟
 وهذا مقطع مستقل أو قصيدة في مقطع يتحدث فيه عن قوة الإيمان
 وعن أثر هذه القوة في صياغة التاريخ، وإعداد الأبطال لمواجهة أقدارهم
 على الأرض بعيداً عن اليأس والقنوط والخوف والإستسلام، إنه يخاطب
 الإنسان قائلاً:

لو كسبتَ الإيمان، إيمان إبراهيم
 يوماً لكنتَ إبراهيم
 ولأذلتَ مَنْ تأله في الأرضِ
 وحطمتَ أنفه تحطّوما

ولدمّرت كل مَنْ كان "نمروداً"
وأذريته حطاماً هشّياً
ولكانت دُنْيَاكَ برداً وأمناً
وسلاماً، ولو سكّنت الجحيماً

أليس في هذا المقطع الصغير من الناحية الفنية وحسب - قدرة شعرية خارقة على استغلال الرموز الدينية واستنطاقها من زاوية إنسانية معاصرة تؤكد عظّمة الإنسان وقدرته على تجاوز ضعفه إذا ما امتلك الشرط الوحيد إلى ذلك وهو الإيمان.

ويأتي دور الحديث - في هذه الخواطر - عن الترجمات الشعرية في هذا الديوان، وقد فاز فيها "محمد إقبال" بنصيب الأسد باعتباره الصوت الجهمير في (الأوردية) وهو الشاعر الذي علم ذرات الأرض - كما يقول - كيف تصبح جبارة في مقاومة الظالمين، وكان مع طاغور التوأم الذي أوصل صوت القارة الهندية إلى العالم المعاصر. وقد وجد الزبيري في شخصيته الفذة وفي شعره الإنساني عزاءً ودفئاً يؤنسان وحشته في ذلك المتنفى البعيد. وقد أراد أن يبدد أعوام الغربة في الاقتراب من شعر إقبال وفي محاولات مضيئة لترجمة القصائد التي تتفق مع إحساسه المتمرد وحلمه النبيل. وقد كتب ذات مرة يتحدث عن تجربته هذه بتواضع كبير ولأهمية هذه التجربة في حياة الزبيري الأدبية ينبغي أن نصغي إلى حديثه عنها بقدر من الاهتمام. يقول:

"كان الأستاذ محمد حسن الأعظمي يقدم لي معاني المقطوعات أو القصائد الشعرية لإقبال من الأوردية إلى العربية نثراً مقتصرًا فيها على

المعنى الأصلي، فأتناول هذا النص المنشور وأرجع أحياناً إلى الأصل أتلمس روح إقبال من وراء هذا الحائط الحديدي الذي يحجزني عنه - حائط اللغة الأوردية والمصطلحات الشعرية الخاصة بهذه اللغة ثم أنطلق بروحي في هذا الجو متحرراً من قيود الترجمة تاركاً حبل خيالي على غاربه، واثقاً من أن معاني إقبال التي تسكن في هذه القصائد المدونة ليست إلا ومضة من روحه الواسعة التي لا تخضع لحدود ولا لقيود. ولا ريب أنه ليس من اليسير أن يُترجم الشعر إلى نثر فكيف به أن يُترجم إلى شعر؟، وكيف بهذا الشعر إذا كان أجنياً عن لغة الشاعر؟ إنها لمعضلة كنتُ أشعر معها - إذ أترجم بعض المعاني ترجمة حرفية أحياناً - أن أظلم إقبالاً وأنتزع روح شعره من جثمانها ثم أرغمها على أن تسكن جثماناً آخر وهيئات...

إن عبقرية الشعر في أغلب أمرها تظهر في شكل قراءة متينة لبعض الكلمات فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين المعنى من جهة أخرى، ثم فيما بينها وبين بيئة الشعر من جهة ثالثة. وكل كلمة من الكلمات لها شخصية ولها تاريخ وحياة وأحداث جمة مرّت بها، ولها عمر طويل قد يطول عمر الفرد بالآلاف السنين. ذلك أنها وُلدت مع الأمة التي لا يعرف حين مولدها ثم نشأت وترعرعت في ملايين الألسنة وعاشت في ملايين العقول واصطبغت فيما لا يُعد من الخواطر والهواجس والذكريات، وزاملت تيار التاريخ وتقلّبت مع أحداثه فكأنها عين سحرية رقية انطبعت فيها صور الحركة الزمنية التي لا تراها العيون وسكنت فيها نبضات القلوب بعد أن ماتت وانطفأت وأكلها التراب.

هذه طبيعة الكلمة المنفردة لذاتها فإذا هي اقترنت بكلمة أخرى وتزاوجت معها وانسجمت، انضم ذلك التعقيد كله إلى تعقيد آخر وجاء

المعنى بعد ذلك وليدًا بالنسبة بينهما وثمره لهذه الأسرار المتزاوجة التي لا يُستطاع عذها ولا تصوّرها. ويأتي مع ذلك كلّ حساب البيئة المعقدة التي لا يُعد الإنسان وأدبه إلا صدى من أصداها. وكما أن الإنسجام بين الكلمة والكلمة يولد معنى خاصاً من النسبة بينهما ويخلقه خلقاً بحيث لا يتأتى إلا بهما فكذلك الإنسجام بين العبارة وبين البيئة يُعدّ أهم عنصر من عناصر البلاغة وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو أدق حدّ للغة كما يراها علماؤها. على أن هناك نواحي كثيرة في الحياة البشرية تُدعّن للترجمة وتنتقل من أمة إلى أخرى وتُحدّث أثرها في كل زمان ومكان.

أما الثروة الشعرية التي تتوالد بها عناصر اللغة وعناصر البيئة فذلك ما لا سبيل إلى ترجمته ولا إلى نقله".

(مجلة الوعي الباكستانية ص ١٧ بدون غلاف ولا رقم)

أكتفي في هذا المكان - من هذه الخواطر - بهذا القدر من حديث الأستاذ الزبيري عن الترجمة بعامة وعن ترجمته لقصائد إقبال بخاصة، وربما أعود إلى هذا الحديث مرة أخرى في إطار هذه الخواطر لتوضيح ما تتضمنه من قضايا نقدية في فهم الشعر تشكل رؤية متقدمة ومتطورة.

وإذا كنت قد اجتزت بعض النماذج من قصائده الأخرى فإننا لا بد أن نتوقف أمام نموذجين قصيرين من ترجماته الأولى عن إقبال والأخرى عن حالي، وهذا مقطع من قصيدة طويلة لإقبال بعنوان: "مناقشة إقبال لرَبِّه"، وفيها نقد عميق للمتاجرين بالدين والعائشين على اسم الله زوراً ورياء:

يا ربّ عالمك السيّار في نظري

حلو جميل ولكن فيه ما فيه

الطيبون وأهل الفن فيه أذلاء
وذو المال في عزٍّ وتأليه
والأرض تنظر نحو الغرب نظرتها
لسيد تتوقاه وترضيه
لم تعط ذا اللب في دنياءك من ورق
الصفصاف قوتاً بلا كبر يعانيه
وهؤلاء حملوا الفردوس مزدهراً
إلى الحمير لترعى في مغانيه
إن الكنائس فيها الخمر قانية
حمراء تشعل من فيها وتذكيه
وفي المساجد وعظ ميت حرج
يُميت سامعه غمّاً ويفنيه
قرآنك الحق، لكن من يفسره
يصدنا فيه عن أسمي معانيه
يلقي به جهله الأعمى ويجعله
كأنه سفر تضليل وتمويه

وهذا مقطع من سداسيات (حالي) وأعترف أنني لا أعرف شيئاً كثيراً أو قليلاً عن هذا الشاعر الباكستاني، ولا عن سداسياته التي ترجم الشاعر جزءاً منها، وقد قرأتُ أوراقاً متناثرة بخط الأستاذ الزبيري تشير إلى هذا الشاعر وإلى أهمية سداسياته بخاصة، وشعره بعامة في اللغة الأوردية، مع إشارة إليه مقترناً بإقبال، وهذا نموذج للسداسيات التي قد يتبادر إلى الذهن أنها ستة أبيات كالرباعيات مثلاً، ولكن كل سداسية تأخذ عدداً غير محدد من الأبيات وربما تكون الترجمة قد اضطرت الشاعر إلى أن يترجم كل ستة أبيات في سبعة أو ثمانية أو عشرة... الخ. كما هو الحال مع هذه السداسية:

أتى سائل بقراط يحذّر خطبه
ويسأله فتوى تعالج كربه
ألا أي داء في البرية مهلك
إذا مسّ إنساناً قضى منه نحبه
فقال له لم يخلق الله مرة
لنا مرضاً إلا ويخلق طبّه
ولكن داء هيّناً لا نخافه
هو الداء يستشري ويقتل ربّه
وأخطر أمراضاً علينا مغبّة
هو المرض السهل الذي لن نُطبّه

نرى أمره هوناً ونترك سمّه
 بأعماقنا يسري ويعلن حربيه
 ونعتدّ أقوال الطّيب بشأنه
 خرافة شيخ أصبح الهجر دأبه

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الأستاذ الزبيري قد حاول ترجمة بعض قصائد إقبال نثراً شعرياً جميلاً كما في هذا النموذج:
 أيها الهلال: ما أعجب المنظر الرائع الذي تتجلى فيه مضيئاً مشرقاً
 وسط هذا الظلام الحالك الذي يحيط بك.. ألا ما أشبهك بقلب الرجل
 المسلم تتجهّم حوله الحياة وتسود عليه الدنيا ويكفهر في وجه صاحبه
 العالم ولكنه يظل مشرقاً بنور الله يستمد منه الإشراق لأن يد الله هي التي
 صنعته، وأوجدت فيه عنصر الهداية والضياء فلو استمدت الحياة من غير الله
 لأظلم وتجهّم.

(مخطوطة)

نقد الزبيري ولغة ترجمة الشعر

كان في حديث الزبيري عن تجربته في ترجمة شعر إقبال، وما عاناه في سبيل نقل الشعر إلى الشعر، وفي اختيار التعبيرات القادرة على إبراز لغة الشعر الخفية من الأوردية إلى العربية، كان في ذلك الحديث من النظر النقدي ما يشكل نصاً نقدياً يمتزج فيه الشخصي بالعام وفقه اللغة بالبلاغة، وذلك النص - بغض النظر عن كل الملاحظات - نص وثائقي عن تطور النقد الأدبي الحديث في بلادنا جدير بالناية والمراجعة. وهو يُترجم عن مفهوم الشعر عند الزبيري كما يعبر عن إحساسه بدور اللغة في التركيب الشعري وفي عملية الإبداع والخلق الفني.

وإذا كنت - فيما سبق - قد اقتبستُ جانباً من ذلك الحديث يتعلق بترجمة لإقبال فإني هنا سأعدو مرة أخرى لكي أقرب من ذلك النص النقدي للتعرف على وجهة نظر الزبيري عن دور اللغة في بناء العمل الشعري واقتراجه من أحدث نظرية نقدية للشعر ترى أن القصيدة ليست سوى مغامرة في مجال التعبير في اللغة عندما يقول: "إن سر التركيب الشعري لا يستعصي حتى على نقل معناه باللغة ذاتها إلى تركيب آخر. وأعجب من ذلك أنه يتمرد حتى على الشرح والتفسير، فمن يشرح البيت الشعري الرائع أو ينثره إلى لغته ذاتها لا يستطيع أن ينقل عناصر الإحساس الكامنة في تركيب ذلك البيت إلى الجملة المنثورة أو المفسرة. فكيف به أن يستطيع إلى لغة أخرى؟ وانظر إلى بيت المتنبي مثلاً:

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي

وللحُب ما لم يبقَ مني وما بقي

هل يتسنى لشاعر أو ناثر أن يؤدي إليك عبارة مثورة أو منظومة تحمل كل أسباب التأثير التي نجدها في هذا البيت الفذ؟ كلا. ومع هذا فمعنى البيت الذي يمكن ترجمته أو تفسيره معنى عادي. ولكن أسباب الفتنة التي أبدعها هذا الشاعر العظيم تأبى أن تخضع لأي نقل أو لأي بيان. فإن نحن نثرنا البيت أو ترجمناه إلى لغة أخرى فإننا لا ننقل إلى الناس إلا معنى عادياً عرفه الأدباء قبل المتنبي وابتدلوه وشبعوا منه. وحينئذ فنحن لم نبرز خصائص هذا الشاعر ولم ننصف عبقريته ولم نقدم إلى الناس شعره الممتاز، بل قدمنا فكرة من أفكارنا ورأياً من آرائه.

فإذا صعب علينا أو استحال أن نستخرج أسرار التركيب ونصوغها في تركيب آخر. كما وجدنا أنفسنا إزاء هذا البيت الفرد، والحال أننا نجد هذه الأسرار ماثلة لأذواقنا في ثنايا هذه الأحرف المعدودة فكيف يقع في قدرتنا انتزاع أسرار البيئة إلى لغة أخرى والسيطرة على مقادير النسبة والتجاوب بين اللغة والبيئة ووضع ذلك كله في الموضع الملائم من تركيب آخر. إن هذا التلاؤم يصعب أو يستحيل. وبهذا تتجمع كل هذه المضلات في سبيل الحيلولة بيننا وبين ترجمة الشعر. ولكن هذا كله لا ينبغي أن يصدنا عن نقل ما نستطيع نقله إلى لغتنا من تفكير أو إحساس على أن نعتبره تقريباً بين العقلية البشرية وتلقيحاً للروح الإنسانية بعضها ببعض".

(مجلة الوعي - دون تاريخ - بلا رقم)

ولم يكن هذا النص الذي اجتزأت منه هذه الفقرات والذي تحدث فيه الزبيري عن تجربته في ترجمة شعر إقبال هو النص الوحيد الذي تركه في مجال النقد، فقد خلف نصوصاً أخرى تفوقه في الأهمية والرؤية النقدية، من بينها نصّ محاضرة طويلة بعنوان (الشعر والقومية) كان قد ألقاها في

وأخر الخمسينات في متدنى أدبي في القاهرة، وتحدث فيها عن دور الشعر في النهوض الوطني وعن خطورته في قيادة الأجيال. وقد تضمنت المحاضرة السالفة الذكر مجموعة من الإشارات النقدية والملاحظات الذكية. منها على سبيل المثال لا الحصر الإشارة التالية حول العلاقة بين العمل الأدبي، والمتلقي بين القصيدة والقارئ: "ومن طبيعة هذا الجمال الإنساني الدفين أنه لا ينشق من أغواره إلا عندما تتناهى إليه ومضات أعمال الفن الأصيل، فإذا تناهت إليه ومضة من هذه الومضات انبعث هذا الجمال المكبوت متجاوباً معها وممثلاً لنا في شكل هذه اللذة الفنية التي نحن بصدددها، فليست هذه اللذة إلا ضرباً من الإشعاع الروحي يحدث بمثل هذا التفاعل والتمازج بين عناصر الجمال الكامن في النفس والدافع إليها. وإذا كانت القطعة الفنية كما قلنا جزءاً من النفس الدفينة فإن من شأنها حينما تنقدح بها عناصر نفس أخرى أن يحدث فيها نفس هذا الإشعاع الذي تحدثنا عنه كعود الثقاب المشتعل يشعل النار في كل مادة قابلة للإشتعال".

(نص المحاضرة... مخطوط)

هكذا يتصور الزبيري العلاقة بين العمل الفني والأدبي والمتلقي، استعداداً دفيناً واستجابة مسبقة يحركها مؤثر حادث وهي وجهة نظر جديدة بالدرس والتأمل. وهو في مكان آخر من المحاضرة نفسها يوجز أهمية الشعر ومكانته في التاريخ العربي القديم والحديث فيقول: "تلك إشارة خاطفة إلى مكانة الشعر عند العرب، وكنا نود أن نسرد أحداثاً جمة في حياة الأمة العربية تأثرت بالشعر مباشرة في مختلف عصور التاريخ، غير أن محاضرة واحدة لا تتسع لكل هذه الغاية، فيكفي بصورة مجملة أن

نقول بأن الشعر في العصر العربي الأول كان يقوم مقام المدرسة والنادي، والمكتبة، والمطبعة، والصحافة، وسائر مؤسسات النشر والدعاية والتعليم. ومن هنا نستطيع أن ندرك خطورة شأنه في تسيير دفة الحياة العربية الأولى"

(نفس المحاضرة)

وفي مكان آخر من المحاضرة إياها تحدث الأستاذ الزبيري عن محنة كانت قد بدأت في التفشي منذ ذلك الحين وقد بلغت في أيامنا هذه إلى ذروتها وهي محنة الادعاء، فالكل شاعر، والكل أديب، والكل ناقد، لا يوجد قارئ متواضع واحد، ولا مستمع يحب الشعر دون أن يدعي مماسه، ويهوى الأدب دون أن يعتبر نفسه من أساطينه الكبار، هل كان شاعرنا الكبير يعاني يومئذ من المتطفلين كما يعاني منهم جيلنا، وهل كانت تلك المحاضرة مناسبة ذهبية يُطلق فيها صرخته التي تضمنت شكوى من هؤلاء الذين يشوهون مسار الكلمة ويجيدون كل بضاعة إلا الكتابة، يقول الأستاذ الزبيري مجسداً أبعاد هذه المحنة: "ولقد ارتفع مستوى التعليم، وتعلم الناس كل شيء يقع في نطاق المستويات العادية، فتشبه بالشعراء مَنْ ليسوا بالشعراء، وبالكتاب مَنْ ليسوا بالكتاب، فأصبح كل يستطيع أن يكتب، وكل يستطيع أن يشعر، وكل يستطيع أن يوجه دعوة ويخترع رسالة. وكما يُقال: لا يوجد أحد خير من أحد... لماذا إذن أقرأ مقالاً لم أكتبه أنا وأتأثر به؟ وأستجيب له ولا أستطيع أن أكتب مثله؟. وأخيراً لماذا أطرب بالبين من الشعر وأهتز له وأتأثر بوحيه وأنا أستطيع أن أنظم العشرات من أمثاله؟ وهكذا أغمتنا روح التساوي في الأشخاص والأشياء والنظريات والمواهب، فلا موهبة خير من موهبة، ولا نظرية خير من نظرية، ولا شيء خير من شيء؟".

(نفس المرجع السابق)

وتعكس هذه الكلمات العالية النبرة، الحادة الألم فجيفة الأستاذ الزبيري في الواقع الشعري كما كان يومئذ. ومما يدل على أن صرخته تلك كانت تعبيراً عن فجيفة وليس عن ألم طارئ، أنه كتب إلى أحد الطلاب القريبين من نفسه رسالة يُعبّر فيها عن تلك المحنة، وعن سيطرتها الشاملة على كل شيء، أنه يخاطب الطالب قائلاً: "إنك تعرف ما انحدرنا إليه من فوضى نقد ومهارات وتبادل إتهامات، ولست أدري إلى أية قاعدة يرجع الناقدون ما دام كل إنسان له حق التقدير وحرية التقييم وقدسية الحرية الشخصية في كل ما يقول وما يفعل. لقد أصبحنا بلا أزمة ولا معايير، وأصبح المعول على الشطارة، مجرد الشطارة...".

(الوثائق المخطوطة)

يتحدث الأستاذ الزبيري في هذه الفقرة وفي سابقتها عن همّ الهموم بالنسبة للواقع الأدبي المتدهور، وإذا كان واقع الأدب في أواخر الخمسينات قد وصل إلى هذا المستوى من التناقض وفوضى التقويم فإنه في الظروف الراهنة قد وصل إلى القاع وما الاتهامات الجائرة الموجهة - دون هدف - إلى كل مبدع وفي مقدمتهم الزبيري نفسه إلا التعبير الأخير عن بؤس الحياة الأدبية وانحدارها إلى أسوأ المستويات.

مداخلات عربية وعالمية:

وحتى لا يبلغ القنوط بنا مداه، وحتى لا نظن أننا - نحن الأدباء في هذا القطر - نبت شيطاني تسلق على أرض الجحود والتكران سوف نحاول أن ننقذ أنفسنا من هذه الكوابيس المفزعة ونحاول تسليتها ومغالطتها بما نقرأه من حين إلى آخر من الإهمال والجحود الذي يلقيه أدباء كبار في كثير من الأقطار العربية وفي العالم. وهاتان مداخلتان حزيتان: الأولى من

وطن عربي ما زالت حتى الآن تقطر ألماً وتشغ مرارة، والأخرى من عالم واسع توقفت بفضل تدخل الدولة وأصبحت مجرد ذكرى.

منذ عام وبضعة أشهر شكّا أديب عربي كبير من قسوة الإهمال ومرارة الحرمان بعد سنوات طويلة من الكتابة والعطاء والكفاح في سبيل الحرف العربي، يقول الدكتور عيسى الناعوري: "هناك شيء يهمني كثيراً أن أسجله وأنا أكتب عن حكايتي مع الأدب الإيطالي. فلقد وجدت في صلاتي بالآداب الغربية - وليس بالأدب الإيطالي وحده - أن الناس هناك يقدّرون العمل الأدبي، وأن للأديب مكانة مرموقة ومحترمة. وحين يكتب الإنسان شيئاً، يجد من يقدّره ويشكره، بل يجد من يشعره بأهميته، وبأهمية ما يكتب. والتقدير الذي لقيته على كتاباتي وترجماتي عن الأدب الإيطالي خاصة، وددت لو ألقى بعض بعضه في بلادي العربية فأنا أعيش مع القلم منذ أكثر من أربعين عاماً، لقيت فيها من الحملات والانتقادات من الأقلام العربية، ومن الإهمال من المسؤولين العرب أكثر من الكثير، وفي اشتغالي بالأدب الإيطالي، لقيت من التكريم والتمجيد والتقدير ما لا يحلم به أديب عربي ولو عاش عمره عشر مرات.

والأديب إنسان، يجب أن يرى أثراً لعمله، ويجب أن يجد من يقول له إنه أحسن العمل.

وهل أخطئ إذا قلت إن في الأديب شيئاً من طباع المرأة؟ فهو يحب الكلمة الحلوة يسمعها من أفواه مواطنيه وبني قومه. فكم هم الأدباء العرب الذين يسمعون الكلمة الحلوة من أفواه مواطنيهم وبني قومهم؟. وفي مقابل ذلك، من الأديب العربي الذي لم يسمع من أفواه مواطنيه التحقير ومحاولات التخطيم؟ فهل تكون هذه دعوة إلى أمّتي العربية لتعرف قيمة القلم وقيمة الكلمة، وقيمة الأديب الذي يعيش مع القلم، والذي يقول هذه الكلمة؟".

(الموقف الأدبي - عدد نيسان ١٩٨٠)

ومن الوطن العربي نتقل إلى الإتحاد السوفيتي لنقرأ حكاية ذات دلالة أعمق... عندما انتحر الشاعر (مايكو فسكي) خرج الشعراء الصغار في روسيا من جحورهم ينددون برجعيته ويثرثرون حول جنبه وانهزاميته، وأوجعوا بالثرثرات الصبيانية تراب قبر الشاعر الراحل، وسوف أترك بقية الحكاية للشاعر (بابلو نيرودا) الذي يحكي في مذكراته القصة كاملة: "كان مايكو فسكي) قد مات، لكن أعداءه الرجعيين العنيدون كانوا يهاجمون ذكرى الشاعر بأنياب وسكاكين مصممين مصرّين على محوه من خارطة الأدب السوفيتي. حينذاك حدث أمر غير كل ما يتوه وافترضوه. كتبت حبيبته (ليلي بريك) إلى (ستالين) تشير له فيها إلى ما هو مخجل، وعار في تلك الهجمات وتدافع بشكل مؤثر عن شعر (مايكو فسكي). كان المعتدون يظنون أنهم لن يعاقبوا على فعلتهم محمين بتآلبهم الجماعي. فأصيبوا بخيبة أمل. لقد كتبت (ستالين) على هامش رسالة (بريك): "إن (مايكو فسكي) لهو أحسن شاعر في العهد السوفيتي". منذ تلك اللحظة أخذت تُبنى المتاحف وتُقام النصب التذكارية تكريماً لمايكو فسكي وتكاثرت طبعات دواوين شعره الفاخرة جداً، فصُعقَ المخرصون وخمدوا أمام نفحة (يهوه في الصور).

(مذكرات بابلو نيرودا ص ٤٦٠)

فهل يتوقف إنصاف كل شاعر، واحترام عظامه في قبره على وجود (يهوه) يصرخ في وجه الدنس اللفظي والفجور الكتابي: قف... قف أيها الدنس اللثيم. وهل سيكون ظهور الديوان الثالث للشهيد الزبيري دعوة غير مباشرة إلى المناضلين والشرفاء وأنصار الثورة في الشطر الجنوبي من الوطن أن يقفوا في وجه ذلك المندس الآفاق الذي لن تستطيع أدبيات

التقدميين في العالم أن تغسل سطرأ واحداً من حقه الملكي على الزبيري؟. إن ذلك الملكي المتخفي وراء الأوراق الحمراء والتعابير اليسارية المشوهة يهاجم ذكرى الزبيري بأناب وسكاكين كل الإماميين الحاقدين على الثورة ورموزها النقية. ومن المؤسف أن تلك الأناب تظهر من خلال الصحافة الرسمية لثورة أكتوبر العظيمة. وفي كتب تحمل اسم المؤسسة التي تحمل اسم ١٤ أكتوبر!!.

هل كتب الزبيري شعراً جديداً؟ وبصيغة أخرى للسؤال؟ هل استهوت الزبيري موجة الجديد في الشعر والتي لم يسلم من تأثيرها سوى قلة من الشعراء العرب المحافظين؟ وإذا كان قد كتب شيئاً من ذلك الجديد فأين هو ذلك الجديد؟ لقد حاول الزبيري كغيره من شعراء الكلاسيكية الجديدة أن يقتربوا من شواطئ بحر الرومانسية. وأن يجددوا في حدود المفردات والجملة الشعرية وفي نظام المقاطع. وقد استوعب الزبيري أبعاد هذا التجديد وشارك فيه وكتب عدداً من القصائد الرومانسية المجنحة الأخيلة، واختار قاموسه اللغوي بدقة وعناية شعرية وكتب بعض القصائد الخارجة عن نظام القافية الواحدة مستخدماً نظام المقاطع المتعددة القوافي.

وكان في اتجاهه إلى الترجمة مضطراً إلى الإيقاع المتكرر الرتيب وهو ما لم يكن قائماً في القصيدة المترجمة. ولم يؤثر عن الزبيري أنه وصل بالتجديد في الشعر إلى أكثر من ذلك كما لم يؤثر عنه أنه كتب شعراً جديداً، جديداً بالمفهوم أو المصطلح السائد للشعر الجديد.

ولم يكن له موقف معلن من القصيدة الجديدة لا رفضاً ولا قبولاً، وإن كان قد أبدى عناية ملحوظة بقصائد الشاعر عبده عثمان واعتبر ما أذيع منها في صوت العرب أو ما نُشر في الصحف أو المجلات العربية شعراً نضالياً يعبر بحرارة وصدق عن ثورة الشباب وحساسية العصر.

وقد فوجئت وأنا أقلب في آثاره الشعرية أن أجد ملفاً صغيراً يضم مجموعة من القصائد الجديدة لم تكن بخط يده - وكثير من قصائده المشهورة ليست مكتوبة بخط يده - أقول لقد فوجئت برؤية هذه القصائد بين أشعاره وكان ترتيبها يأتي ضمن قصائد الفترة الباكستانية وإلى جوار القصائد المترجمة عن إقبال وحالي . وقد وقفت حائراً إزاء هذه القصائد هل هي من محاولاته التي أراد بها مسابقة الحركة الشعرية الجديدة في بداية ظهورها، ثم تراجع عنها لأنها لم تمنحه ما كان ينتظر؟ أم أنّ صديقاً من شعراء الشباب في ذلك الحين قد بعث بها إليه ليلقي عليها نظرة أو يعطيه رأياً نقدياً ثم غفل عنها؟

لقد اقتربت - بما عندي من ثقافة نقدية ضئيلة - من إحدى هذه القصائد، وحاولت أن أقرأها قراءة مقارنة مع قصائد أخرى من شعر الزبيري متبعاً أسلوب الشاعر في بناء الصور وفي التعبير عن مكنونات نفسه فضلاً عن قاموسه اللغوي ذي الكلمات المصفاة المنتقاة وكانت القصيدة تعكس الحالة النفسية القلقة الحائرة للزبيري الخائف المفجوع الذي لا يكاد يفيق من هول النكسة الوطنية . لقد كدتُ أجزم أن القصيدة للزبيري وأن دراسة متأنية أخرى لبقايا القصائد أو المقطوعات قد تثبت أن الزبيري هو صاحبها وليس أي شخص آخر، وأنه لم يحفل بنشرها لعدة أسباب، منها أنها قد كانت التعبير الحزين عن حالة الضعف الذي اعتراه بعد النكسة . وأنها من ناحية جمالية لم تكن تعبر عن طموحه الشعري ولغته الخطابية الفخمة وهذا نموذج صغير من تلك القصائد:

إنني هنا

ومشاعري تطوي الحياة

وأنا وقلبي

نتحسس الأمل الكبير

في أن أفيق

من نكستي

في أن أحرك كل ذرات الحياة

في أن أحطم كل قيد

وأثير إحساسي

بأعماقي

لأنني آدمي

أهب الحياة وأبتغي

وأنال من كل الحياة

إن أمانة البحث وحدها هي التي جعلتني أتردد كثيراً في تنسيب ما تم العثور عليه من هذا النوع من الشعر القريب من القصيدة الجديدة والذي يسايرها في أولى مراحل ظهورها، وهذه الأمانة هي التي جعلتني أقيم هذا القدر من المقارنة كما جعلتني أرفض نشر ما تم العثور عليه من هذه النماذج ضمن ديوانه الثالث والأخير حتى يتم التثبت لأن القصد من وراء هذا الجهد هو حماية آثار الزبيري والحفاظ عليها وإخراجها إلى النور. وليس القصد ولن يكون محاولة الزج بالأستاذ الزبيري في معركة القديم والجديد أو استنطاقه شعراً جديداً أو تقليدياً، ويكفيه شرفاً أنه كان بصوته وبحياته ثم بدمه المنارة التي أضاءت لكل جديد، وهو الذي أيقظ النيام وتحدث عن المستضعفين في الوطن وفي مقدمتهم الفلاح، بمثل هذه

الآيات التي يجد القارئ بقيتها في الديوان:

إذا المزارع الشقي
 في أراضِي السعداء
 لم يلق حظاً من حياة
 أو نصيباً من غذاء
 ولم ينل من جهده
 غيرَ احتقارٍ وازدراء
 ولم يعوّض من دموع
 ودم بجرعة ماء
 فأحرقوا سنابل القمح
 بسأرض الأغنياء
 ودمروا ما تجدون
 من حقول اللؤماء
 الشاربين العذب ظلماً من دماء البؤساء

الطاعمين السحت
من لحم الجياع التعساء
الراقصين للنشيد
من نواح وبكاء
المالئين للقبور
من ضحايا الأبرياء
الزاعمين أنهم
أشرف من تحت السماء

وبعد؛ فإن أصواتاً تتعالى بوقاحة؛ وأخرى بخجل تردد أن الأدباء قد أطلوا الحديث عن الزبيري وشعره، وهذا الديوان الذي تظهر معظم قصائده لأول مرة يؤكد أن محاولة دراسة الزبيري ومعالجة نصوصه الشعرية ما تزال في مهدها تحبو. وهيئات للكتابة - مهما تكاثرت - أن تُنصف صاحب هذا الصوت الخالد:

حسبي من الأيام أتّي عشتُ لا
أحتملُ الضّيمَ ولا أستعبدُ
ولا يموثُ ميت إن كان في
ذكراه، ما يبقى وما يخلدُ
نحن هدينا الناس من جهالة
وما علينا أنهم لم يهتدوا
نحن زَرَعْنَا، وسقينا زرعنا
دماً، ويأتي بعدنا مَنْ يَخْصِدُ

د. عبد العزيز المقالح

كلية الآداب - جامعة صنعاء

إنذار

أنشأتها بعد أن هدم الإمام بيت الشهيد زيد بن علي الموشكي .

أنشأت يحيى سُنَّةَ التَّخْرِيبِ

فابشُرْ بيومٍ للدمارِ قريبٍ

ستُخَرَّبُ الأيامُ هيكَلَكَ الذي

رَمَمْتَهُ بجرائمٍ وذنوبٍ

وتحطُّمُ التَّاجِ الذي كَلَّلْتَهُ

بركامٍ أنقاضٍ ودمعٍ حريبٍ

متى ينطلقُ شعبٌ وتسعدُ أمةٌ

ويُفَكَّ عن عانٍ وعن مكروبٍ

أنزلتْ باليمنِ المريضِ من الأذى

ما أنزل الشيطان في أيوبٍ

كانت حياتك محنة عاشت بها

قحطانٌ بينَ مخالِبٍ ونيوبٍ

ومنها:

لا تستمع للخائنين فإنهم
 غشوك بالتطيل والتطريب
 إن البواكي هنَّ أصدق لهجة
 من دجل مرتزق أو فك خطيب
 جعلوك معصوم الجناب تجلُّ عن
 نضح وعن لوم وعن تأنيب
 قد زيفوا لك كل شيء خيفة
 من صارم في راحتك خضيب
 فنشأت بين حقائق مقلوبة
 وكبرت عن عقل بها مقلوب
 فمتى تحل المشكلات وأنت تحرسها بكل مهئد مرهوب

ومنها(*)

قد كنتُ أعلم أنّ فيك تردّداً
 عن خوض معركة وشن حروب
 في قلبك الجبّار ما يقضي على
 شعب قوي المنكبين صليب
 الحرب دونك قسوة وفداحة
 منها على المتراجع المغلوب
 الجائع الصعلوك عندك معدن
 يغنيك عن بحث وعن تنقيب
 تضع العصا في ظهره فيجود بالمال الغزير وبالدم المسكوب

(*) هذا المقطع ينمي على الإمام تقاعسه عن الإشتراك في الحرب ضد المحور.

أنا آه

أنا أحيا في حومة الخطب وحدي
 شئت الأرض كلها الحرب ضدي
 ضرب الدهر حول كوشي حصاراً
 ليت شعري ما يطلب الدهر عندي؟
 ما أنا قلعة فتحتشد الأهوال حولي من أجل سحقي، وهدي
 أنا آه تطايرت من حطام الشعب، واستكبرت على المستبد
 أتقي نابه، ومخلبه العاتي
 بلحمي العاري، وصدري، وزندي!
 وبقلب مكبل في شباك
 من صلال ملء الجوانح رُبْد
 لا قصيدي يزلزل الحائط الباغي، ولا زفرتي تحطم قيدي

أقدار النكبة

رَامَ شَبِيرُ أَنْ يَضْمَدَ جَرْحِي
 فَعَدَّتْهُ يَدُ الْمَنَايَا الْعِجَالِ
 وَأَرَادَ الْوَزِيرُ طَبِي فَأَعْدَا
 هـ مصابي بالبعض مما جرى لي
 دَبَّرَ الْأَمْرَ لِي فَأَوْشَكَ أَنْ يَمْسِيَ وَقَدْ صَارَ حَالُهُ مِثْلَ حَالِي
 لَيْسَ هَذَا أَمْرًا عَجِيبًا فَقَدْ مَرَّ لِعَيْنَيَّ مِنْهُ أَلْفُ مِثَالٍ
 مَا كَبَا حِظُّهُ وَلَكِنَّهُ نَا
 لَ جَزَاءُ السَّاعِي لِأَمْرِ مُحَالٍ
 مَنْطِقُ الْحَادِثَاتِ أَقْوَى مِنَ الْحَقِّ وَمَنْ كُلُّ مَنْطِقٍ وَجْدَالٍ
 وَخُطُوبُ الزَّمَانِ أَثْبَتُ فِي الْعِزِّ عَلَى الْأَمْرِ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ
 وَلَهَا خَطَّةٌ تَسِيرُ إِلَى الْغَايَةِ مِنْهَا جَرِيئَةٌ لَا تَبَالِي
 وَلَهَا عَمْرُهَا الْمَقْدَرُ لَا نَبْتَزُّ مِنْهُ سَوِيعَةً بِاحْتِيَالٍ
 وَلَهَا شُرْعَةٌ عَلَى النَّاسِ تَمْضِي ، لَيْسَ تَصْغِي مِنْهُمْ لَقِيلٍ وَقَالَ

في صراعٍ مع الشرائع والأخلاق والمصلحين والأبطال
والسعيدُ السعيد من يتوقَّأها

ويمشي بحكمةٍ واعتدالٍ

لم تذقْ هدأةً من النومِ عيني
لم يجدْ هدنةً من الهمِّ بالي
لم أنلْ جُرعةً بغيرِ كفاحٍ
لم أسغْ لقمةً بغيرِ نضالٍ
لم أسزْ خطوةً على الأرضِ إلا
كان فيها أحبولة لاعتقالي
كلَّ شيءٍ صعبٌ لمن خُلِقَتْ دنياه من ظلمةٍ ومن أوحالٍ
مضجعي من شدائدٍ وخطوبٍ

وطريقي من أذؤبٍ وصلالٍ
ويحَ عيني ماذا ترى؟ ربما تسرف فيما تحسُّه وتغالي
مسخت لي طبيعة الأرض أم جُنَّ جنوني وضلَّ فيها ضلالي؟

أم تريد الدنيا تشوّه مرآها لعيني كي تستحثّ زياي؟
 ما أنا يا دنيا حريصاً على البقيا ولا جازعاً من أمر الرحالِ
 فافتحي لي الطريق إني لمشتاقٌ إليها شوقَ المُحبِّ الغالي
 فعلامَ التطويل أيتها الأقدار والسعي في الدروب الطوالِ؟
 وإلى ما هذي الصواعق حولي

والبراكين غاضباتٍ حيالي؟
 قد ظلمتُ الخطوب جرياً ورائي

وحطمت النبال فوق النبالِ
 أنا أدنى الأهداف منك فلا ترمي السهام الغضبي وراء الخيالِ
 ما أنا حامل الجبال فتنهّار على منكبي شَمُ الجبالِ
 ما أنا صخرها العنيد فتضطر إلى كلّ ذلك الزلزالِ
 فخذيني وحدي ولا تهدمي الدنيا لأجلي وعجّلي بزوالي
 حطّمي كلّ ذرة من كياني
 واطمسي كلّ خطرة من ظلالِي

واخرقي رقعة السمواتِ فوقِي
 واخسفي ما مشث عليه نعالِي
 وانسفي ما يحوم حولِي من الشؤمِ لئلا يقيمَ بعد ارتحالي
 واخلقيني خلقاً جديداً يوارِي
 فيه شخصي عن أعينِ الأهوالِ
 وضّعيني في كفةِ الله أشكو
 ما تحمّلتُ من همومٍ ثقالِ
 إنه وحده القديرُ على إيجادِ
 صلحِ بيني وبين الليالي

أشجاني وآلامي

في ذمة الشعبِ أشجاني وآلامي

وفي هواه تباريحي وتهيامي
أنفقتُ عُمرَ شبابي للحمية عن
قومي وأنفس أيامي وأعوامي
بيني وبينهمُ آلافُ مهلكةٍ
وهمُ دمي وهمُ خلفي وقدامي
ولي بقيةٌ عُمرٍ لا أضنُّ بها
على بقيةٍ أهدافي وأحلامي

بَحِثْتُ عن هبةٍ أحبوك يا وطني
فلم أجد لكِ إلّا قلبي الدامي
أعيشُ في الفلواتِ الرُبْدِ ليسَ بها
ظُلٌّ ولا منهلٌ يحنو على الظامي
وأنشُدُ الحبَّ في بيدٍ نسير بها
من نابٍ صلِّ إلى أشدّاقِ ضرغامٍ

حَرَّيْتُهَا إِعْتَاقُ أَعْنَاقِ الصَّلَالِ بِهَا
واعتَدَّهَا بعضُ أنصَابٍ وأعلامٍ

أَمَنْتُ أَنَّ لَنَا حَقًّا وَأَنَّ لَنَا
شعباً سينهَضُ من كابوسِنا الطامي
وَأَنَّ فِي ظِلْمَاتِ الْغِيلِ مَأْسَدَةٌ
عَضْبَى عَلَى كُلِّ خَوَّانٍ وَظَلَامٍ
وَأَنَّ فِي الشَّعْبِ أَبْطَالاً وَأَنَّ بِهِ
قَوْماً يُعَدُّ الْفَتَى مِنْهُمْ بِأَقْوَامٍ
هُمْ الْعَزَا لَجَرَّاحَاتِي الَّتِي حَمَلَتْ
عِزِّي وَهُمْ عِوَضٌ عَنِ قَلْبِي الدَّامِي
يُرْمِي إِلَى هَدَفٍ وَاهٍ فَتَنْسِفُهُ
هُوجُ الرِّيحِ إِذَا مَا أَخْطَأَ الرَّامِي

ضجران

تعوّدتُ في بلدة «بهاولبور» أن أخرج في الصباح
مبكراً إلى ضاحية البلدة حيث المروج الخضراء،
يتخللها نخيل باسق، وأشجار وارفة الظلال، وتعالى
أجواءها البيغاوات المرحّة.
وفي ذات صباح لم أجد هذه البيغاوات كعادتها
فبدت هذه الضاحية مقفرة موجشة، وعدتُ إلى
مقرّي فكتبْتُ هذه الأبيات:

ألا يا أيها البَبْغَاءُ
حَيِّنِي وَأَكْرِفِي
نزلنا في بهاولبور ذاتِ المعقلِ الثَبَتِ
أتينا الروضةَ الغنّا وبُغْيَتُنَا بها أنتِ
فما طَوَّفْتِ في أجوائها
الفيحاء، ولا طمرتِ
ولا أسمعَتِنا أنشودةَ الفجرِ ولا فُهِتِ
ولا غَنَّيَتِنا صوتاً، ولا شَلَّتِ ولا جُلَّتِ

لماذا لم تكوني اليوم
 نشوى مثلما كنتِ
 وأين رياشك اللاتي
 بفتننها تلففت
 وحلقت بها في جو
 من شئت وسيطرت
 أنائمة، وفي جنبيك
 عاصفة تحملت؟
 أكسلى والرياح الهوج
 طوعك حيثما رحبت؟
 أغاضبة على الفردوس
 من زهر، ومن نبت؟
 وقد سوى لك الخالق
 دنيالك كما شئت
 فكم سخب ترشفت
 وكم نهـر تذوقت

وكم من ثمر سُغِتِ
 وكم زهر تنسَّمتِ
 وكم دوحٍ حكمتِ بهِ
 الطيورَ وما ترفَّقتِ
 ظلمتِ الأبرياءَ بهِ
 وفُجِّغتِ، ورُوِّغتِ
 وعانقتِ الأخلاءَ
 وراقضتِ، وقبَّلتِ

أما يكفيك يا حسناء
 في الفردوسِ ما نلتِ
 ولو كنتِ لحواءَ
 تُسبِّتِ أو تحدِّزِ
 لقلنا قد ورثتِ الطبعَ
 منها، أو تعلَّمتِ

نقطة في الظلام

كتبها في «بهاولبور»

لَيْلُكَ الشَّاعِرُ فَاسْمَعْ شِغْرَهُ
 إِنَّهُ يَلْقِي عَلَيْنَا سِرَّهُ
 لَيْلُكَ الْمَظْلَمُ فَانْظُرْ أَفْقَهُ
 إِنَّهُ الْكَوْنُ يَلَاقِي قَبْرَهُ
 لَيْلُكَ الْجَبَّارُ مَنْ يَمْنَعُهُ
 رَجْفَةً حَيْثُ أَتَى أَذْكَرُهُ
 هُوَ يَجْرِي إِثْرَ يَوْمٍ هَارِبٍ
 أَبَدًا، وَالْيَوْمَ يَجْرِي إِثْرَهُ

هَدَأَتْ ثَرْتَرُهُ الدُّنْيَا بِهِ
 وَطَوَى كُلَّ لِسَانٍ غِيَّهَ
 وَغَدَا الْعَالَمُ فِي هَجْعَتِهِ
 كُلُّ صَمْتٍ فِيهِ يُمْلِي وَخِيَهَ

عافَ ثوباً زائفاً من كَذِبِ الشمسِ مصبوغاً، وأبدى زِيَّه
وتراءى مربعاً يكشفُ كالوخشِ في وجهِ السماءِ عُزِيَّه

وأنا المدفونُ في ظُلْمَتِهِ
وأنا التائهُ في آفاقِهِ
وأنا المنسيُّ في سرفتهِ
ضائعٌ حتى على خلاقِهِ!
نقطةٌ سوداءُ في عرضِ الفضاءِ
تختفي حتى على إشراقِهِ!
لا يراها ناظرُ العينِ ولو
دسَّه الناظرُ في أحداقِهِ!

ما أنا في ظلمةِ الليلِ الكثيفِ
ما أنا في هوةِ الكونِ المخيفِ
ما أنا في لُجَّةِ كوكبها
يتراءى لي كمخلوقٍ ضعيفِ

ضاعت الأنجم فيها كالهبا
أو كالأفاظ لثراءٍ سخيْف
ما أنا فيه؟ وما مشكلتي
ما بقائي، ما زوالي، ما الحتوف؟

أنا زيفٌ، أنا أوهامٌ، أنا
حلُم طاشَ إلى حقلِ الوجود
أنا إثمٌ قد نفاني التُّربُ عن
نفسه لكن إلى التُّربِ أعوذ
كذبٌ يغمرُ حيناً ثم يرتدُّ كالأصلِ إلى طينٍ ودود

كيف أرجو أثرَ الدمعةِ في
عالمٍ تُنبذُ فيه الأنجمُ
كيف أنجو أنا وحدي من دياجيهِ، والكونُ غريقٌ مظلُم
من يداوي جرحي، ومن يسمعي
من يداوي محنتي، من يرحمُ

أنا في الهوة وحش كاسرٌ
ليس يدري ما الذي يُلْتَهَمُ

ها هي الهوة، ما أعجزني
في دواهيها، وما أضيّعني
ليت شعري مَنْ رمانى من ذرى
أفّقها الداجي، وَمَنْ حطّمني؟
أنا في الوحدة أهوي ويحها
ما الذي في قعرها يجذبني
إنّ شيئاً طالباً لحمي بلا
مهلة، ويلاه، مَنْ يطلبني

ما أنا في ظلمة الليل الكثيف
ما أنا في هوة الكون المخيف
ما أنا في لُجّة كوكبها
يتراءى لي كمخلوقٍ ضعيف

عدوان وانسحاب

القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة في المسابقة التي
عقدتها جريدة "المساء" بين الشعراء في العدوان
الثلاثي على بور سعيد.

في دياجير الأساطير وأنقاض العصور
يتراءى في غموض
شَبَحُ الإثم الكبير
حاسراً عن وجهه المنكر أصباغ الدهور
شارباً من دَنِّه الوحشيّ أرواح الشرور
لابساً من سذفة الغاب ومن جلد النُمو
حُلَّةً تنزع عنه
كُلَّ حِسٍّ وشعور

يخرج السكّين للذبح كجزائر جسور
ويربّي الناب والمخلّب لليوم العسير

ويسوقُ الموتَ للطفلِ وللشيخِ الكبيرِ
 ويعدُّ الحبْلَ مسعوراً لخنقِ المستجيرِ
 ويصبُّ النارَ كي تطفى على الدَّمعِ الغزيرِ
 يعقِدُ المؤتمراتِ السودَ في العصرِ المنيرِ
 ويقودُ الغربَ في دربِ الخطايا والفجورِ
 عاصِباً عينيه يمشي خَلْفَهُ مَشْيَ الضَّيرِ
 ويريدُ الفجرَ أن يوادَّ من قبل الظُّهورِ
 ويريدُ الشَّمْسَ ألا تصبغَ الأرضَ بنورِ
 ويريدُ الروضَ أن يخمدَ أنفاسَ الزهورِ
 ويريدُ اللصَّ أن يمرحَ من خلفِ الستورِ
 آمناً من صحوةِ الشعبِ ومِن بطشِ الضميرِ

دَوْلُ العدوانِ ثالوثُ بلاءٍ مستطيرِ
 أمعنْتَ في الغدرِ بالإنسانِ في كلِّ العصورِ
 ضربتَ ليلاً على العالمِ من إفكٍ وزورِ

واستطالَ الليلُ حتى اغتالَ أضواءَ البدورِ
وبدا للكونِ وحشيَّ الرّؤى جمَّ الشرورِ
غيباً قاءتهُ أحشاءُ كهوفِ قبورِ
يسرُحُ الإجرامِ فيه وهو ذو طَرْفِ قريرِ

أعلنت أبواقها في الغربِ تقديسَ الضميرِ
رَتَلَتْ في كلِّ أذنٍ حقَّ تقريرِ المصيرِ
وبكَّت من فرطِ أحساسٍ ومن فرطِ شعورِ
خَلَطَتْ دمعَ جبانٍ بدموعِ المستجيرِ
وَهَبَتْ وجهاً لإقطاعِ ووجهاً لأجيرِ
ويميناً لغنيٍّ ويساراً لفقيرِ
قُبلاً في خَلَقِ القيدِ ودمعاً للأسيرِ

عَكَفَتْ للغربِ في محرابِ قَسَيسِ وقورِ
وبأمريكا استعارث، جسَمَ هنديٍّ فقيرِ

يجتدي لقمة عيش، في رُواحٍ وُبُكُورٍ
 يتباكى لقروضٍ ويصلي لنذورٍ
 عارضاً أضلاعَ نضوٍ دامياتٍ بالحصيرِ
 وهي في الشرقِ لصوصٌ لبست زِيَّ الخفيرِ
 تَهَبُ الأكفانَ للشعبِ وتزهو بالحريرِ
 تمتطي أجنحةَ الزيتِ على مثنِ الأثيرِ
 وذوو الزيتِ يُساقونَ لها عَبَرَ الحَمِيرِ

وهي في أجواءِ مصرٍ
 ذاتِ عدوانٍ مشيرٍ
 خلعت أقنعةَ الزيفِ ودانت بالسّفورِ
 لعنةٌ ملء الفضاء الرّخبِ للغزو الحقيقِ
 مائم باء به الجانون في الأفقِ الطهورِ
 جنب عين الله جبارِ السمواتِ القديرِ
 في رحابِ يلتقي القرآنُ فيها بالزبورِ
 وطريق كان للوحي وللسرّ الخطيرِ

ولأرواحٍ تطوفُ الكونَ تطوافَ العبيرِ
ولأحلامِ العذارى، ولأنغامِ الطيورِ
أضَبَحَتْ معبرِ غاراتِ وويلِ وثورِ
رجمَ من لعنةِ الحِقْدِ ومن رَجَسِ الضميرِ
تُمِطِرُ الموتَ على شعبٍ - كما ظَنَّتْ - صغيرِ
ما على مَنْ ضُبَّ فيه الموتَ من لومِ كبيرِ

وهي في البحرِ أفاعِ
سباحاتٍ في الشرورِ
ممسياتٍ في فحيحِ
مصباحاتٍ في هديرِ
ثملاتٍ من سُموومِ
راقصاتٍ من غرورِ
حاملاتٍ للشياطينِ
إلى الأرضِ الطَّهورِ

حشدت في بورٍ سعيدٍ
 كلُّ أهوالِ السعيرِ
 طمعت أن يركعَ الشعبُ ويعنو للمغيرِ
 روَّعته بدمِ الأطفالِ والدمعِ الغزيرِ
 وبقايا من أكفٍّ ورؤوسٍ وصـدورِ
 وعيونٍ طائراتٍ في مناقيرِ الطيورِ
 وقصورٍ حولتها الحربُ أشباهَ قبورِ
 وقبورٍ آوتِ الثوارَ من بعدِ القصورِ
 زاحمَ الأحياءِ موتاهم بها عبرَ الشعورِ
 أقسموا أن يُخرجَ الغاصبُ بالعارِ المريعِ
 أشهدوا موتاهم أن يصبروا صبرَ الصخورِ
 حُفِرَ الأشلاءُ صارتْ مثلَ آجامِ الثُمرِ
 نبعث من كلِّ شلٍ روحَ بَغثٍ ونشورِ
 توقظُ الشعبَ بصوتٍ، كالحريقِ المستطيرِ:
 يا دماءَ الشعبِ ثوري... واصنعي روحَ الصقورِ

حَطَمِي أَغْلَالِكَ الرُّبْدَ بِإِعْصَارِ السَّعِيرِ
وَانْصُفِي السَّجْنَ بِأَنْفَاسِكَ سَوْرًا بَعْدَ سَوْرٍ
وَاصْهَرِي بِاللَّهَبِ الْأَحْمَرِ نِيرًا بَعْدَ نِيرٍ
وَاسْحَقِي فِي حَقْدِكَ الْمَسْمُومَ أَنْيَابَ الْمَغِيرِ

فَإِذَا الْغَاصِبُ فِي خَطْبٍ مِنَ الْغَزْوِ عَسِيرٍ
لَمْ يَجِدْ أَمْنًا مُقَامٍ لَا وَلَا أَمْنًا عِبُورٍ
فَهُوَ مُحْصُورٌ لَشَعْبٍ بِأَسْلِ الرُّوحِ غَيُورٍ
وَجَحِيمٍ مِنْ حَوَالِيهِ وَحَقْدٍ وَنُفُورٍ
جَمَدَتْهُ بُورٌ سَعِيدٌ بِفَحِيحٍ وَزَثِيرٍ
فَهُوَ فِيهَا كَأَسِيرٍ بِجَمَاهَا مُسْتَجِيرٍ

وَإِذَا الْعَالَمُ يَهْتَزُّ مِنَ الْغَذْرِ الْمُثِيرِ
خُنِقَ الْعَدَوَانُ بِالْغَضْبَةِ مِنْهُ وَالنَّكِيرِ
سُجِّلَ الْخِزْيُ عَلَيْهِ
خَالِدًا عَبْرَ الدُّهُورِ

قاضياً بالطرد للمجرم والعار الشهير

خرج الغاصب كالهارب من سجن كبير
أثَقَذَتْهُ لعنة العالم من شر كثير
فانطوى في ليله المهزوم كاللص الوقور
هادئاً في عاصف من

لَعَنَاتٍ وصفير
عبقري الإثم والخسة مفقود النظير

ملحمة بور سعيد

عدو تلبمظ، واستأسدا
 وثار على عصرنا الطالع
 رأى مصر صامدة للعدا
 تقاوم في موقع رائع
 تجند أبناءها للفدا
 وتدفعهم للمدى الواسع

فضج، وأعول مما بدا
 لعينه من خطر واقع
 وراح كذي جنّة، واغتدا
 يصول على همّه الفاجع
 وقال لكفيه مستنجدا
 وليس لما قال من سامع

أتجمع مصر رفاة اللحود
 وتخرج من قبرها للحياة

وتفتَحُ أعيَنَها للوجودِ
 ويمتدُّ سلطانُها للقناةِ
 وتذكرُ للعُزْبِ حَقَّ الإخاءِ
 وتدعو لنكرانِ حَقِّ الضِراةِ
 ويمتلكُ الأرضَ فلاحُها
 ويأكلُ ما زرَعَتْهُ يداهُ
 ويشربُ مِنْ نيلِها أهلُها
 ولا يرْكعونَ لسوطِ الطغاةِ

فأينَ مذابحُنا الداميةِ
 وأينَ سياستُنا الغازيةِ
 وأينَ الفسادُ، وفاروقُهُ
 وما اجتاحتُهُ حُمُقُ الطاغيةِ
 أسبوعينَ عاماً قهرناهمو
 وتبقى لهم هذه العافية؟
 لقد أبَقَ العَبْدُ فَلْنَمْتَشِقْ
 عصانا ليعبُدنا ثانيةِ

وعادَ العدوُّ مئاتَ السنينِ
 لِيُحِثَّ عَنْ حَقِّهِ فِي الْجَنُونِ
 وَطَافَ بَنِيرونَ فِي قَبْرِهِ
 وَجَنَكِيزَ بَيْنَ رَمَادِ الْقُرُونِ
 وَسَادَتْهُ رُوحُ ذَوَاتِ النِّيَابِ
 فِي غَايِبِهَا، وَذَوَاتِ الْقُرُونِ
 وَحَلَّ اللَّصُوصُ، وَأَثَامُهُمْ
 بِهِ، وَالْجَرَائِمُ، وَالْمُجْرِمُونَ

وَكَانَ ضَلَالاً بِهِ يَنْحَدِرُ
 وَيُذْفَنُ فِيهِ الْكِيَانُ الْقَذِرُ
 كَأَنَّ جَرَائِمَهُ فِي الْعَصُورِ
 أَتَتْ تَحْتَ أَقْدَامِنَا تَنْتَجِرُ
 كَأَنَّ الشُّعُوبَ الَّتِي اغْتَالَهَا
 وَدَمَّرَهَا مِنْهُ حُكْمٌ عَسِيرُ
 ثَوَتْ فِي الْأَشَاوِسِ مِنْ بَوْرِ سَعِيدِ
 لِمَصْرَعٍ قَاتِلِهَا تَنْتَظِرُ

رمى بجهنمِهِ الحاقِدَة
 ليسَحَقَ أجيالنا الصاعِدَة
 ويوقِفَ أيامنا الزاحِقَة
 ويَحْنُقَ أنفاسنا الواقِدَة
 ولم يدِرْ أنَّ لنا أفئِدَة
 تعيشُ بها أُمَّةٌ خالِدَة

تسلَّلَ خنجرُهُ الغادِرُ
 فروَّعَهُ دُمنا الفائرُ
 وذابتْ مخالِبُهُ في الجراحِ
 وأخرَقَها ثأرنا الثائرُ
 وكَم راحَ يزأُرُ ملءَ البَحارِ
 وملءَ الفضا صوتُهُ الفاجرُ
 فلمْ يَكْ ذاكْ زئيراً لَهُ
 ولكِنَّهُ النَّفْسُ الآخِرُ

أَيْمَتِكَ اللَّصُّ بَيْنَ الشُّعُوبِ
 وَمَخَوَ الْحَيَاةِ، وَقَهَرَ الْقَدْرَ؟
 لِمَاذَا إِذَا تَتَعَالَى السَّمَاءُ
 وَتَجْرِي الشَّمْسُ، وَيَسْرِي الْقَمَرُ،
 وَفِيْمَ إِذَا كُلُّ هَذَا الضُّيَا
 عَلَى الْأَرْضِ يَضْقُلُ رُوحَ الْبَشَرِ
 وَمَا آيَةُ اللَّهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ
 نَكَالًا عَلَى مَنْ بَغَى أَوْ غَدَرَ

وَمِنْ دُونِ حَقٍّ وَمِنْ دُونِ ثَارٍ
 دَهَانًا بِقَوَاتِهِ فِي الْبَحَارِ
 وَعَبَأَ لِلْجَوِّ رَهْطَ الْبَوَارِ
 وَجَهَّزَ كُلَّ حَدِيدٍ وَنَارٍ
 وَلَقَّنَهُمْ كُلَّ إِثْمٍ وَعَارٍ
 وَمَنَاهُمُ بِالْعَلَى وَالْفَخَارِ
 وَقَالَ لَهُمْ: سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ
 وَتَغْقُبُهَا نَشْوَةُ الْإِنْتِصَارِ

وقال: اشْبِقُوا مَصْرَ شَنْقِ الْعُصَاةِ
 ولا تدعوها تذوقُ الحياةَ
 ولا تتركوها تؤدي الصَّلَاةَ
 - إلا إذا رَكَعَتْ لِلْغُرَاةِ -
 وألَعَتْ علاقتها بالآلَةِ
 وبِالْعَرَبِ من قومِها والقَنَاةِ
 فَإِنَّ بني النِيلِ قومٌ عَتَاةُ
 إذا رفعوا في السَّمَاءِ الْجَبَاةُ

وراحَتْ جهنَّمُ العاتيةُ
 تُفَجِّرُ أحقادَها الضاريةُ
 نقاتلُها دونَ أطفالِنا
 لتَفْدِيَهُمُ الْمُهْجُ الغاليةُ
 وَتَبْرُزُ للموتِ في ساجِها
 ونلقى معاركَها الداميةَ
 فتأبى نِزالَ الرجالِ الشِّدادِ
 وتغدو لأطفالِنا غازيةَ

عَجِبْتُ لِهَذَا الْعَدُوِّ الْعَتِيِّ
يُهَاجِنَا فِي ظِلَامِ الْعِشِيِّ
وَيَرْمِي قَنَايِلَهُ كَالْعِمْيِ
فَوْقَ الْعَجُوزِ وَفَوْقَ الصَّبِيِّ
هَنِيئًا لَهُ مِنْ شَجَاعٍ قَوِيٍّ
وَفِي حَقْدِهِ الرَّائِعِ الْعَبْقَرِيِّ
تَحْدَى بِهِ كُلَّ حَرٍّ أَبْيٍّ
وَضَحَى بِمَرْكَزِهِ الْعَالَمِيِّ

وَيَا لَكَ مِنْ قِصَّةٍ بَوْرٍ سَعِيدٍ
وَمِنْ غُصَّةٍ لِلْعَدُوِّ الْعَنِيدِ
يَظُنُّكَ لَمَّا رَأَى مِنْ بَعِيدٍ:
كَحَلَوَى تَسَوُّغُ بِحَلْقِي الْوَلِيدِ
وَلَمَّا اسْتَسَاغَكَ شِدْقُ الْبَلِيدِ
وَقَفَّتْ لَهُ شَوْكَةٌ فِي الْوَرِيدِ
فَضَجَّ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَذُوقَ
لَقْمَةً حَلَوَى وَلَوْ يَوْمَ عِيدِ

فيا شوكةً في حلوقِ الذنابِ
 منعِيهِمْ أَنْ يُسَيِّغُوا الشَّرَابِ
 وَأَنْ يَضَعُوا لِقْمَةً تَحْتَ نَابِ
 وَأَنْ يَكْسِبُوا الْقَوْتَ فِي أَيِّ غَابِ
 وَأَنْ يَطْعَمُوا لَذَّةَ الْاِغْتِصَابِ
 وَأَنْ يَلْفِظُوا الْآهَ عِنْدَ الْمَصَابِ
 وَعِنْدَ اخْتِنَاقِ بَخْزِي وَعَابِ
 غَدَاةَ الْهَزِيمَةِ وَالانْسِحَابِ

لَقَدْ وَاجَهُوا أَرْضَكِ الطَّاهِرَةَ
 يَظُنُّونَهَا نَزْهَةً عَابِرَةً
 وَغَمَزَةً زُرًّا مِنَ الْبَاخِرَةِ
 تَقْوُودُكَ مَقْهُورَةً صَاغِرَةً
 وَتَدْفُنُ أَمْجَادَكَ الْغَايِرَةَ
 وَتَنْهَبُ ثُرُوتَكَ الزَّاحِرَةَ
 وَتُرْسِلُ (إِيدَنْ) إِلَى الْقَاهِرَةِ
 وَتَبْعُ شَعْبُكَ لِلْآخِرَةِ

ولكن ثبت لهم بور سعيد
 كما يثبت الليث في غابته
 وألقيت هابطهم كالطريد
 يبارز لا شيء في وحدته
 وجمدت جنديهم في الحديد
 فلم تؤوه غير دبابته

وأثبت أنك غيل الأسود
 وأنت صامدة كالخلود
 وأنت ما لا ينال الطغاة
 وما ليس يشروئه بالنقود
 وما لا يسوقونه بالعصا
 وما لا يجرونه في القيود
 حبست الحياة بحلق الغزاة
 وحاصرت أنفاسهم في الوريد

لقد وجدوا جندهم في الظلام
 وباتوا وأنفهم في الرغام
 يحاكمهم عالم لا يضام
 سريع الحساب رهيب الخصام
 يصب لهم لعنات الأنام
 ويُنذِرهم بطشه الانتقام
 فما بور سعيد لهم بمقام
 ولكنها قفص الاتهام

وراء الحواجز شعث الشعز
 يلزون أشباحهم في الحفر
 كما يدخل الوحش دنيا الحفر
 فيرتاغ من لحظات النظر
 ويخشى ظلال الحصى والحجر
 وفيها رمز طول جري وفر
 ومن فرط جهل بسر القدر
 ومعنى الحياة وروح البشر

وَفُجِّرَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ
 وَفَارَتْ لِحَوْذٍ بِرُوحِ الْجَدُودِ
 وَقَامَتْ عَنجُوزٌ تُنَادِي الْفِدَا
 وَتَطْلُبُ مِنْ بَوْرِ سَعِيدِ الصَّمُودِ
 وَقَالَتْ لَهُمْ: قَاوِمُوا الْاَعْتَدَا
 وَثُورُوا بِوَجْهِ الْعَدُوِّ اللَّدُودِ
 وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ سِلَاحِ الْعَدَا
 فَرُوحُ الْعَرِينِ سِلَاحُ الْأَسُودِ

وَيَهْبِطُ غَازٌ عَلَى دَرِبِهَا
 فَتَرْمِي يَدُ الْهُونِ فِي رَأْسِهِ
 وَيَلْقَاهُ آخِرُ مَنْ أَهْلِهَا
 فَيَلْقَى الْمَنِيَّةَ مِنْ فَأْسِهِ
 وَتَلْفُظُهُمْ لَعْنَاتُ السَّمَاءِ
 لِيُنْسَاقَ كُلُّ إِلَى نَخْسِهِ
 فَذَاكَ شَظَايَا إِلَى دَفْنِهِ
 وَهَذَا رِمَادٌ إِلَى كَنْسِهِ

وَيَنْدَلِيعُ الشَّعْبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ
 حَرِيقاً يَنَافِخُ عَنْ أَهْلِهِ
 يُقَاتِلُهُم بِالَّذِي عِنْدَهُ
 وَلَا يَتَخَيَّرُ فِي قَتْلِهِ
 يَشْوِي عَدُوّاً بِسَفَوْدِهِ
 وَيَشْنُقُ آخِرَ فِي حَبْلِهِ
 وَمَنْ يُطْعِمُ الْمَوْتَ مِنْ نَعْلِهِ
 كَمَنْ يُطْعِمُ الْمَوْتَ مِنْ نَضْلِهِ

وَرَاعَ الشُّعُوبَ جِهَادُ الْأَبَاةِ
 وَبَأْسُ الْكِمَاةِ وَقَهْرُ الطُّغَاةِ
 وَقَطَرُ صَغِيرٍ تَلْقَى الْخَطُوبَ
 فَمَا طَاشَ ذِعْراً وَلَا مَالَ آهٍ
 وَأَدْرَكَتِ الْأَرْضُ أَنَّ بِمَضَرٍ
 شُعْباً أَبِياً يَرِيدُ الْحَيَاةِ
 يَدَافِعُ عَنْ حَقِّ كُلِّ الشُّعُوبِ
 وَيَكْتُتُ دَرْساً لِكُلِّ الْغَزَاةِ

وَشُلْتُ بِمَصْرَ يَدُ الْمُغْتَدِينَ
 وَحَاقَتْ بِهِمْ لَعْنَةُ الْعَالَمِينَ
 وَكَمْ قَدْ أَدَارُوا كَوْوَسَ الْأَسَى
 لِقَهْرِ شُعُوبِ الْوَرَى أَجْمَعِينَ
 وَكَمْ سَحَقُوا بِأَسَاطِيلِهِمْ
 وَكَمْ زَلَزَلُوا مَضْجَعَ الْآمِنِينَ
 فَلَمْ يَجِدُوا مَنْ يَرُدُّ الْأَذَى
 وَمَنْ يَتَحَذَى يَدَ الْإِثْمِينَ
 وَلَمْ يَكْ يَلْقَوْنَ فِي فَتْحِهِمْ
 سِوَى قُبَلٍ فِي يَدِ الْفَاتِحِينَ

وَدَارَ الزَّمَانُ عَلَى الظَّالِمِينَ
 فَجَرَّعَهُمْ غُصَصَ الْبَائِسِينَ
 أَذَاقَتْهُمْ مَصْرُ مَرَّ الْبَلَا
 وَرَدَّتْهُمْ دُونَهَا صَاغِرِينَ
 وَعَلِمَتِ الْأَرْضُ أَنَّ الضَّعِيفَ
 قَوِيٌّ إِذَا قَاوَمَ الْغَاصِبِينَ

وَأَنَّ سِلَاحَ الْحَدِيدِ الرَّهِيْبِ
تُحْطِمْهُ شَوْكَةُ فِي الْعَرِيْنِ

وَقَالَ الْوَرِيْ وَيَلْكُكُمْ مِنْ غَزَاةٍ
بَغِيْرٍ مِّنَازِلِكُمْ نَازِلِيْنِ
تُرِيْدُوْنَ قِيْدًا لِّعَضْرِ طَلِيْقٍ
وَعُوْدًا بِنَا لِمَثَاتِ السَّنِيْنِ؟
أَلَا فَاحْمَلُوا قِيْدَكُمْ وَحَدِّكُمْ
وَلَا تَفْرَضُوا الْقِيْدَ لِلْآخِرِيْنِ
وَلِلْقَهْقَهْرِ فَارْجِعُوا أَنْتُمْ
وَلَا تَرْجِعُوا أُمَمَ الثَّائِرِيْنِ
وَمُوتُوا جِيَاعًا وَلَا تَغْتَدُوا
عَلَى لُقْمَةٍ فِي فَمِ الْجَائِعِيْنِ

أَحْسُوا وَقَدْ نَزَلُوا بِوَرٍ سَعِيْدٍ
بِأَنَّ جَرِيْمَتَهُمْ لَا تُفِيْدُ
وَأَنَّ الْمَدِيْنَةَ قَلْبٌ عَنِيْدٍ
يَزْلُزْلُهُمْ مِنْهُ نَبْضٌ شَدِيْدٌ

يُطِيحُ بِأَسْطُولِهِمْ فِي الْبَحَارِ
 وَيُلْغِي الْجِيُوشَ وَيَغْلِي الْحَدِيدَ
 وَأَنَّ الْعَرُوبَةَ نَبْعُ الْوَقُودِ
 وَفِي يَدِهَا قَطْعُ هَذَا الْوَرِيدِ

تَشْلُ أَوْربَا وَآلَاتِهَا
 وَتَوْقِفُ كُلَّ حَدِيدٍ يَدُوزُ
 وَتَشْوِي الْعِدَا بِجَلِيدِ الشِّتَا
 وَتَحْرُمُهُمْ مِنْ ضِيَاءِ وَنُورِ
 وَتَهْزُمُهُمْ دُونَمَا غَارَةَ
 وَلَا ذَرَّةَ أَوْ حُرُوبٍ تَثُورُ
 وَتَتْرَكُهُمْ فِي رِحَابِ الْقُصُورِ
 يَعَانُونَ مِنْهَا ظِلَامَ الْقُبُورِ

بِذَاكَ تُجَلَّى لِكُلِّ الْأَمَمِ
 بِأَنَّ مَكَانَتَنَا فِي الْقِيَمِ
 وَأَنَّ الْحَضَارَةَ مِنْ دُونِنَا
 وَدُونَ عَرُوبَتِنَا كَالْعَدَمِ

وَأَنَّ الْعَدُوَّ خَلِيقٌ بِأَنَّ
يَكُونُ فِدَاءً لَأَرْضِ الْهَرَمِ
وَأَنَا أَحَقُّ بِصَوْنِ الْقَنَاةِ
وَأَجْدَرُ مِنْهُ بِحِفْظِ الدِّمَمِ

وَأَدْرَكَ قَلْبَ الْعَدُوِّ الْعُطْبِ
فَلَمْ جَرَائِمُهُ وَانْسَحَبِ
وَلَمْ يَلْقَ فِي كَفِّهِ مَا طَلَبِ
وَلَا فِي حَقَائِبِهِ مَا نَهَبِ
وَلَمْ يَجْنِ بِالْغَزْوِ غَيْرَ الْهَرَبِ
وَغَيْرَ انْطِلَاقِ بِلَادِ الْعَرَبِ
فَكَانَ كَمَنْ لَمْ شَمَلَ الْحُطْبِ
وَأَشْعَلَهُ ثَمَّتَهُ وَالتَّهَبِ

فَيَا أَخْطَبُوطَا طَوَى فِي الرُّقَابِ
رُقَاً وَيَا سَرَطَانَ الْبَشْرِ
لَقَدْ ضَاقَتْ الْأَرْضُ مِنْ طَوْلِ مَا
جَثُمْتَ عَلَيْهَا وَضَجَّ الْقَدَرُ

وكم مرة قد طلبنا المفز
 منك فأعيا علينا المفز
 وها أنت تطلبنا مهرباً
 فسز حيثما شئت واسبخ وطرز

تمزق هباء وخل الجحيم
 - تأخذ منك وخل سقر
 وخل الشعوب تروى الغليل
 - من غضب قد طغى واستعز
 ودغ للسجون ودغ للشقاء
 - عطلة دهر ودغ للغيز
 وأفرج عن الناس من سدفه
 ملأت بها جوهم فاعتكز

إلى لعنة الله انكلترا
 إذا شئت أو لعنات الورى
 فلن تبصري رحمة في السما
 ولن تجدي موئلاً في الثرى

وليس يُفيدك أن تُقدمي
على الحربِ أو تَرْجعي القهقري

تريدين للحربِ بترولنا
وللنَّهبِ والسَّلبِ محصولنا
وتُلقيين ناراً على زَيَّتِنَا
وتَشوينَ بالنَّارِ مقتولنا
وتستَذفينَ على شَيِّنَا
وتستَمْتعينَ بتمزيقنا
قسَمَتِ قضيتنا بيننا

للدنيا اللظى ولديك الهنا

صحوْنَا برغمِكَ يا (إيدُنْ)
فللفجرِ ربُّ بِهِ نؤْمِنُ
لقد كنتَ وهماً بِهِ نُفْتَنُ
وتخرسُ من أجْلِهِ الألسُنُ
فإن ضيقتَ أنى أتاها الصباح
وغادرنا ليلَكَ المزمِنُ

فَمُرْ أَنْتَ أَنْ لَا تُحَسَّ الْقُلُوبُ
- شَيْئاً وَأَنْ لَا تَرَى الْأَعْيُنُ

لَنَا أَرْضَنَا وَشَذَاهَا الْكَرِيمُ
وَمَا مَرَّ فِي جَوْهَا مِنْ نَسِيمِ
وَمَا نَامَ فِي حِضْنِهَا مِنْ رَضِيعِ
وَمَا دَبَّ فِي رَحِيهَا مِنْ فَطِيمِ
وَمَا طَافَ فِي رَوْضِهَا مِنْ عَبِيرِ
وَمَا هَبَّ فِي بَيْدِهَا مِنْ ظَلِيمِ
إِذَا الْوَرْدُ لَمْ نَتَنَسَّمْ شَذَاهُ
رَأَى نَفْسَهُ دَوْنَنَا كَالْيَتِيمِ

وَأَبْرَقَ (مَوْلِيَهُ) مِنْ حُمْقِهِ
وَأَزَعَدَ ضِدَّ الْقَضَا وَالْقَدَرِ
يُؤْرِقُهُ أَنَّنَا أُمَّةٌ
تَعْدُ كَأَمَّتِهِ فِي الْبَشَرِ
يُطَارِدُ أَشْبَاحَنَا فِي الدُّجَى
وَيُلْعِنُ أَشْخَاصَنَا فِي الْبُكَرِ

وَيَشْطُبُ تَارِيخَنَا فِي الْحَيَاةِ
 وَيَنْفِي الْأَصُولَ وَيَمْحُو الْأَثَرَ
 وَيَهْوِي بِخَنْجَرِهِ فِي الْهَوَا
 مِنْ حِقْدِهِ وَيَعُضُّ الْحَجَرَ

وَمَا ذَنْبُنَا إِنْ خُلِقْنَا هُنَا
 وَأَنَا سَبَقْنَاهُ فِي مُجْدِنَا؟
 وَأَنَا مَنَعْنَاهُ عَنْ حَقُّنَا
 وَإِنَّ الْقَنَاءَ عَلَى أَرْضِنَا
 وَرَوْحَ الْحَضَارَةِ بَتَرُولُنَا
 أَمَانَةٌ بَارِينَا عِنْدَنَا
 مَغَانِيهَا مِلْكُ أَيْمَانِنَا
 وَأَبَارُهَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا
 تَحُلُّ بِهَا رَوْحُ أَجْدَادِنَا
 وَتَخْرُسُهَا عَيْنُ أَبْنَائِنَا

وما ذَنْبُنَا إِن خُلِقْنَا هُنَا
وَأَنَا نَبَتْنَا بِقَلْبِ الْوُجُودِ
وَأَنْ أَوْدَعَ اللَّهُ بِتَرْوَلِهِ
لَدَيْنَا بَجْنِبِ رُفَاةِ الْجُدُودِ
وَأَنْ الْإِلَهِ ارْتَضَى أَنَا
نَكُونُ الْحُمَاةَ لَهُ وَالْجَنُودِ
حَمِينَا لَهُ الْوُخْيِ رُوحَ السَّمَاءِ
وَنَحْمِي لَهُ الزَّيْتِ رُوحَ الْوُقُودِ

وما ذَنْبُنَا إِن خُلِقْنَا هُنَا
وَفِي يَدِنَا عُتُقُ الْعَالَمِينَ
وَأَنَا فَتَحْنَا قَنَاةَ الْحَيَاةِ
فِي أَرْضِنَا لِلْوَرَى أَجْمَعِينَ
وَكَمْ مِنْ ضَحَايَا لَدَى حَقْرِهَا
وَهَبْنَا وَمِنْ أَدْمَعَ الْبَائِسِينَ
فَلَمْ تَجْرِ فِيهَا مِيَاهُ الْبَحَارِ
- إِلَّا وَرَاءَ دِمِ الْكَادِحِينَ

شققنا بها في شراييننا!!!
 طريقاً تسيّر عليه السفين
 تمرّ على مُهَجِ المشرفين
 - مثلاً وفي أعين المرشدين
 ونحنُ الرعاة لها العارفون
 - في غورها كل سرّ كمين
 نحسّ بما اصطكّ في مائها
 كما قد نحسّ بنبض الوتين
 فإن لم يكن شعبنا في القناة
 أميناً فمن ذا يكون الأمين؟

 وما ذنبنا أنّنا ههنا
 ندافع عن مثلٍ عالية
 نواخي الشعوب ونأبى الحروب
 ونطلبُ حريةً غالية
 ولا ندعُ الغرب يلقي الغيوم
 بآفاقنا الحرة الصافية

ولا نَقْبَلُ المَالَ يَبْتَاغُنَا
ليغزو بنا أُمَّةً ثَانِيَةً

ستغزو الحَيَاةَ عِشَاشَ الطَيُورِ
ويروي الضياءَ عِوْنَ الصَّقُورِ
وينطَلِقُ النُّبْعُ بَيْنَ الزُّهُورِ
فيسقي الحَمَامَ وَيُخَيِّي الثُّمُوزِ
وَتَتَّبِعُ الرُّوحُ رُغْمَ القُبُورِ
ورغمَ الطَّغَاةِ وَوَلَاةِ الأُمُورِ
فَمَنْ شَاءَ لِلشَّعْبِ أَنْ لَا يَثُورِ
فليأْمُرِ الشَّمْسَ أَنْ لَا تَدُورِ
ولا يَبْقَ فِي الأَرْضِ إِشْعَاعُ نُورِ
ولا يَرْضَى اللهُ يَوْمَ النُّشُورِ

صَحَوْنَا بِرُغْمِكَ يَا طَاغِيَةَ
وَقُمْنَا لِتُخْلَعَ ثَوْبَ الكَفَنِ
وَلَمْ تَبَقْ مِنْ أَعْيُنِ غَافِيَةِ
فَقَدْ سَحَقَ اللَّيْلُ زَحَفَ الزَّمَنِ

ظهرت بصورتك العارية
جرائمَ شاخصةً في وثنٍ
وأعلنت أسراركَ الخافية
وأظهرت في أمرها ما بطنُ

أَصْنَعُ حُرِّيَّةً لِلْقَنَاةِ
وَأَنْتَ تَعِيشُ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ
أَتَحْرُسُ حَقًّا وَأَنْتَ الَّذِي
أَشْغَتَ عَلَى الْأَرْضِ نُهَبَ الْحَقُوقِ
وَأَنْتَ سَلَبْتَ دِمَاءَ الشُّعُوبِ
- حُرِّيَّةَ السَّيْرِ عَبْرَ الْعُرُوقِ
وَلَوْ تَخَكَّمُ الْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرَ
مَنْعْتَ عَلَى الشَّمْسِ حَقَّ الشُّرُوقِ

العشق وراء الأقنعة

يَلْبَسُ العِشْقُ تَارَةً طَمَرَ صَعْلوكِ شَرِيدٍ وَتَارَةً تاجَ قِصَرِ
 وَيَرى عَارِياً وَدِيعاً وَأحياناً يَخوضُ الوغى وَيَلْبَسُ مَغْفَرُ
 هُوَ حيناً فِي الغارِ يرغو وَيَجأزُ،
 وَهُوَ طوراً فِي الحربِ يَغزو وَيَقْهَرُ
 كَتَرَ دِيرٍ فِي الأرضِ أَوْ رُوحٍ مِنْبَرِ
 أَوْ قُوًى فِي يَمِينِ فَاتِحِ خَيْبَرِ

دعوة إقبال

رَبِّ هَبْ لِلشَّبَابِ آهَاتِي الْحَرَى
وَهَبْ لِلصَّقُورِ رِيشاً جديدا
بُغْيَتِي أَنْ تَمُدَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ
شُعْلَةٍ قَلْبِي نَوْرًا عَمِيقًا مديدا

غزو الأعماق

ليسَ في عِزِّ مسلمٍ من دمٍ باقٍ ولا في غرامِهِ من جنونٍ
ما دهمى المسلمين، أيُّ عدوّ، نالَ منهم وأيُّ حربٍ طحونٍ؟
أيُّ خَطبٍ إلى المشاعرِ والأعماقِ وافى وأيُّ غَزوٍ لَعينٍ
أفلسوا من قوى لهم كانت الدُّنيا بِها في حرارةٍ و يقينٍ

فلسطين

هذه القصيدة من بدايات الزيري وقد عارض بها
قصيدة من نفس الوزن والقافية.

قُمْ إِلَى الْحَقِّ دَاعِيًا مُسْتَجَابًا
وَابْعَثِ النَّظْمَ لِلضَّلَالِ شَهَابًا
وَادْعُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ بِالْمَقُولِ الْعَا
لِي الَّذِي يُنْعَمُ الزَّمَانُ اصْطِخَابًا
إِيَّاهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ مَا ذَلِكَ النَّظْمُ الَّذِي يُصْدَعُ الْقُلُوبَ الصِّلَابًا
صُغْتُ مِنْ مَعْدِنِ الْبَلَاغَةِ تَبْرًا
يَتَرَاءَى عَلَى الْقُلُوبِ حِرَابًا
سَحَرْتَنَا مِنْكَ الْقَوَافِي فَأُضْحَى
عَلَقُمُ الْمَوْتِ مُورِدًا مُسْتَطَابًا
إِنَّ مَنْ حَاذَرَ الْجِمَامِ فَوَلَّى
هَارِبًا مَاتَ بِالْفَرَارِ عِقَابًا
هَؤُلَاءِ الْعِدَى يُوَالُونَ فِينَا
كُلَّ يَوْمٍ تَجَبُّرًا وَاغْتِصَابًا

خاطبونا بأحسنِ الموت في الجوّ... فكان الجوابُ منا عتاباً
 يا لها غفلة كَرَعْنَا بها الذلَّ
 لدى النائبات صاباً فصاباً
 هذه ضجّة الردى من فلسطين فلمْ لا تقوم منها غُضاباً
 أخوةً فارقوا الديار وهم فيها ولاقوا من القطونِ اغتراباً
 مَزَقَتْهُمْ أيدي الحضارة ظُلماً
 وأرثهم من البلاءِ عِجاباً
 ولقد أوحشوا البقاعَ لِمَا قا
 سوا وكادت بأن تَمِيدَ ارتياباً
 كل طود لولا التجاء المصابين إليه لاندكَّ رُعباً وذاباً
 رحلوا نحوَ مجدهم وتباروا..
 في سبيلِ الجهادِ شيخاً وشاباً
 صبروا للبلادِ ولو كانَ فجر الدهر لولى عزَّ الوجود وغاباً
 خلعوا حُلّة الدماءِ على الشعب فصارت على العُلَى جِلبَاباً
 وتكادِ السماء تحسد أرضاً
 وهبوها تلكَ الدماء شراباً

وتقول النجوم يا ليتني كنتُ لتلك الأجساد منهم تُراباً
 بأبي تلُكم النفوس اللواتي
 دَفَعَتْ موجة الجنون غلاباً
 حسبوها كالكبش ينقاد طوعاً
 فرأوها عند الدفاع ذئاباً
 هددوها بالموتِ ظُلماً فقالت:
 إنما نطلبُ الحمامَ طلاباً
 إنْ أصابوا منا فإنْ لدينا
 باقياتٍ من الإِبا لن تُصاباً
 وإذا ما الضعيفُ لاقى قوياً
 تائهاً أصبح القويُّ المُصاباً
 يا فلسطين هكذا ترتقي الرو
 ح فتفدي الأوطان والأحساباً
 يا فلسطين هكذا يُدْفَعُ الضَّيْمُ ولو كانَ قاهراً غَلاباً
 يا فلسطين هكذا يُطْلَبُ المجد ولو كان في فم الموتِ ناباً
 يا فلسطين إنما يُعرَفُ الحرُّ إذا مسَّه المُصابُ وُصاباً

يا فلسطينُ إننا نشتكى البؤ
 سَ ونلقَى كما لَقِيتُم عذابا
 يا فلسطينُ إنَّ كلَّ فؤاد
 يتلظى تأسُفاً واكتئابا
 ذهبَتْ هذه الخطوب بسلوا
 نا وَعَفْنَا بها المياه العذابا
 نحسبُ الرعدَ أنةً ونخالُ
 القَطَرَ دفعاً ونُطعمُ الشَّهْدَ صابا
 وإذا ما بكى الحزين تظنَّى
 كلَّ صوتٍ في مسمعيه انتحابا
 إنما المسلمونَ روحٌ وجسمٌ
 يتراءى قبائلاً وشُعابا
 يا فلسطينُ إنَّ فينا شعوراً
 لو تجلَّى على الحديدِ لذابا
 لا تظنُّوا أنَّا إذا ما ذهبتم
 سنرى العيشَ بعدكم مُستطابا
 إننا نُزِمع الرصيدَ إلى الله ونُزجي إلى المَنونِ الركابا

وإذا لم نجد على الأرض عزا
 فسنلقاه في السماء ثوبا
 يا فلسطين إن بعُدنا فإنّا
 نُزِيلُ الروحَ من بعيدِ كتابا
 هذه مُهْجَتِي تذوبُ نظاماً
 فإليكم مني الفؤاد المذابا
 فخذوا عادة القصائد كالشمسِ ضياءً
 وكالجحيمِ التَّهَابا
 جئتُ فيها بكلِّ معنى مصوغٍ
 من ضميرِ الغيوبِ يُبْدي العجبا
 إنني أمتطي الخيالَ فألقى
 من وراء الوجودِ بحراً عُبابا
 وتَشُقُّ الأكوانَ لي فأرى من
 خلفها ما يحيرُ الألبابا

عبقريّ الطب

إلى الدكتور الإنساني الصديق السيد أحمد قرة،
وتعبيراً عن أعمق مشاعر التأثر والشكر أقدم هذه
الآيات اعترافاً بفضله.

يا عبقريّ الطبّ كم راعني،
صنّعتُ البرّ وكم هزّني
سوّيتَ وَضَعَ العينِ في طفلي،
بعد انحرافِ شائِهِ مزْمِنِ
مَنْ لي بأنْ أشكرَ مَنْ رَدَّ لي،
عِيناً وأنْ أُجزي يدَ الْمُحْسِنِ
الطبّ إعجازُكَ لكنَّ لي
الشُّغْرَ وَمَنْ يُجْزَ بِهِ يُغْبِنِ
مُعْجَزَةُ الْعِلْمِ التي حُزَّتْهَا
فدى لها معجزةُ الألسنِ

يا عبقريّ الطبّ كم تبتّني،
مجداً من الطبّ وكم تقنّني

لو جحدَ المُقَلَّةَ إنسانُها،
 وضاعَ عنها ضيعةُ الأزَعَنِ
 صنعتَ إنساناً لأجفانها الثكلى من الطبِّ المضيءِ السَّني
 ولو عَدِمَتَ الطبَّ أعطيتَها،
 إنسانها من قلبِكَ المؤمنِ
 لَنْ يُفَجَّعَ الناسُ بأبصارِهِم،
 ما دُمَتَ فيهم (قُرَّة) الأعيُنِ

١٩٦٠ / ٦ / ١

ميلاد جناح، والقضية الباكستانية

وُلِدَ الصَّقْرُ، واثباً في فضائه
 عاتياً في هبوبه، وارتمائيه
 طيه شعله تضيء له الكون، وتزجي به إلى عليائه
 عاصفٌ أسرعَ بصنعه الأقدار واستولدته في أجوائه
 يتخطى الجبال شمماً فإن عاقث سراه تطايرت في هبائه
 أطلقته يدُ الإله ليمضي
 صاحباً ملء أرضه، وسمائه
 ليس في قذرة السجون، ولا الأغلال تقييد عزمه، ومضائه
 كيف ثبني حيطان سجن حوالى
 قدر الله، أو حوالى قضائه
 كيف تطوي القيود روحاً من الله، ومن قدسه، ومن كبريائه
 إنه الصقرُ دائماً في ذرى الماضي، ومن نوره، ومن لألائه
 حاملاً روحه إلينا كتاباً
 فيه ما في الماضي، ومن عظمائه

يَتَلَقَّى كُلُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ فِيهِ دُرُوسَ الْعِلْيَاءِ عَنْ آبَائِهِ
يَا لَهَا مِنْ رِسَالَةٍ فِي جَنَاحٍ
بَعَثَتْ كُلَّ سَادِرٍ فِي غِبَائِهِ
عَلَّمْتَنَا كَيْفَ الْخُلَاصِ مِنَ الضَّيْمِ، وَمِنْ قَهْرِهِ، وَمِنْ غُلُوبَتِهِ
وَأَرَيْتَنَا كَيْفَ الطَّمُوحِ إِلَى الْمَجْدِ، وَكَيْفَ الْوُثُوبِ فِي أَجْوَانِهِ
كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ جَنَاحٌ يُرِيهِ
نُجَّةً فِي سَمَوِّهِ، وَارْتِقَائِهِ
يَتَلَقَّى دُمُ الْأَسَارَى الْهَوَاءَ الْحَرَّ مِنْ رُوحِهِ، وَمِنْ أَفْيَائِهِ
فَيُضِضُ أَنْفَاسِهِ يَصُوغُ فُضَاءَ
لَهُمْ مِنْ عَبِيرِهِ، وَصَفَائِهِ
يَتَبَارَزُونَ فِيهِ كَالطَّيْرِ بِالرُّوضِ هَفَا مِنْ سُرُورِهِ، وَانْتِشَائِهِ
جَاءَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي الْهِنْدِ أُسْرَى
عَصَبِيَّاتِهِ وَصَرَاعِي شَقَائِهِ
عَظَّمَ الْخَلْفَ، وَاسْتَبَدَّ بِأَهْلِيهِ، وَضَجُّوا مِنْ هَوْلِهِ، وَبِلَائِهِ
وَعَدَا الْعَيْشُ مُسْتَحِيلًا، وَضَاقَ الشَّعْبُ مِنْ أَهْلِهِ، وَمِنْ أَبْنَائِهِ
هُوَّةٌ لَا يَسُدُّهَا الْكَذِبُ الْوَاهِي بِتَزْيِيفِ لَوْنِهِ، وَطَلَائِهِ

أُمُّ الْأَرْضِ لَا يَرْقَعُهَا الرَّاقِعُ تَرْقِيعَ ثَوْبِهِ، وَكَسَائِهِ
وَمَصِيرُ الشُّعُوبِ كَالْحَقِّ لَا يَبْنِيهِ بَانٍ بُوْهِمِهِ، وَادِّعَائِهِ
وَالْمَلَائِينَ لَا تَعِيشُ عَلَى الشُّكِّ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فَوْقَ هَبَائِهِ
هُوَ خَلَفَ فِي الرُّوحِ مَا قِيَمَةُ الرَّأْيِ السِّيَاسِيِّ فِي لُظَى هَوَاجَائِهِ
مِزْجَلُ الشَّعْبِ لَا يُيَالِي إِذَا جَاشَ، بِأَقْطَابِهِ، وَلَا زُعْمَائِهِ
وَشُعُورُ الْجُمْهُورِ، أَقْوَى مِنَ الْعَقْلِ، وَمِنْ حُكْمِهِ، وَمِنْ حُكْمَائِهِ
وَالزَّعِيمُ الْأَرِيبُ مَنْ يَجْعَلُ الْوَاقِعَ مِنْ فَوْقِ رَأْيِهِ، وَارْتِيَائِهِ
يَتَمَشَّى مَعَ النُّوَامِيسِ لَا يَحْمِلُ سَيْرَ الْوَرَى عَلَى أَهْوَائِهِ

وَتَصْدَى جَنَاحُ لِلْمَحَنَةِ الْكُبْرَى فَذَابَتْ فِي شَعْلَةٍ مِنْ ذِكَايَةِ
أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ الْمَلَائِينَ تَبْغِي
وَطَنًا مِنْ جِهَادِهِ، وَبِنَائِهِ
جَمَعَتْ دَمْعَهَا لَدَيْهِ، وَأَلْقَتْ
كُلَّ جُرْحٍ لَطْبِهِ، وَدَوَائِهِ
وَأَتَتْهُ دُنْيَا خَرَابٍ تَرِيدُ الْبَعَثَ مِنْ رُوحِهِ، وَمِنْ إِحْيَائِهِ

فانبرى في نضالِهِ يفتديها
واستطارت لنضريهِ، وافتدائه
ومضت، في جهادها، كالأعاصير، تدوي بذكرهِ، وندائه
تتلقى شذى السماء، فتَهْتاجُ، هياج الحريق في هوجائه
وتذيب القيود، في لهب الروح، وتمحو الشقاء عن أشقيائه
وإذا بالسجون تهوي، وبالسجان ينغي الفكاك من سُجنائه
أخذت، حقها من الزمن العاتي، ومن لؤمهِ، ومن لؤمائه
فرضت روحها على هجعة القبر، وثارث في صمته، وانطوائه
فجرت، ضوؤها العتيد من الليل، ومن ظلمهِ، ومن ظلمائه
ومضت، في السماء، تنشد للشعب مكاناً يؤويه في كبريائه
وتسامت فوق الزمان، وسلت
يومها الضخم، من جبين ذكائه
قل ليست بلادكم، إنما أنتم بهذا المكان من غربائه
غصب الهند غاصب، وبقيتُم
ذكريات لغضبه، واعتدائه

قَدْ تَوَلَّى الْغَازِي، وَمَاتَ فَمُوتُوا
 أَنْتُمْ، مِثْلَ مَوْتِهِ، وَقَبَائِلُهُ
 دِينَكُمْ جَاءَنَا بِكُمْ، فَاطْلُبُوهُ
 حَيْثُ يُؤْوِيكُمْ إِلَى صَحْرَائِهِ
 فَأَجَابُوهُ: إِنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ، وَلِلْقَائِمِينَ تَحْتَ لِوَائِهِ
 هِيَ مِلْكٌ لِمَنْ دَحَاها، وَلَيْسَتْ
 مِلْكٌ أَنْدَادِهِ، وَلَا شُرَكَائِهِ
 وَلِمَنْ يَبْذُلُونَ أَرْوَاحَهُمْ فِيهِ، تَشَاوَى بِحُبِّهِ، وَوَلَائِهِ
 وَلِمَنْ جَابَهُوا الْمَصَارِعَ، وَالْأَهْوَالَ، شَوْقًا لَوْصِلِهِ، وَلِقَائِهِ
 نَحْنُ أَنْصَارُهُ، أَحَقُّ بِدُنْيَاةِ، وَأَوَّلَى بِأَرْضِهِ، وَسَمَائِهِ
 نَحْنُ أَقْدَارُهُ، نُشِيدُ كَمَا شَادَ، وَتَبْنِي أَكْفُنَا كَبْنَائِهِ
 نَحْنُ أَطْوَادُهُ، بِجَوْفِ الثَّرَى نَرْسُو، وَتَعْلُو هَامَاتُنَا فِي فُضَائِهِ
 نَحْنُ آسَادُهُ الْغِضَابُ، عَلَى مَنْ
 عَدْنَا مِنْ نِعَاجِهِ، أَوْ شَائِهِ
 نَحْنُ حُرَّاسُ إِسْمِهِ، الْوَاحِدِ الْبَقَّارِ، فِي مُلْكِهِ، وَفِي كِبْرِيَاةِ
 مَنْ تَسْمَى بِهِ، شَطَبْنَاهُ، أَوْ يَزْجَعُ عَنْ زَعْمِهِ، وَعَنْ غُلَوَائِهِ

سَوْفَ نَبِي مُلْكًا طَهُورًا، وَتَسْتَرْخِصُ فِيهِ أَرْوَاحَنَا لِفِدَائِهِ
 كُلُّ حَقٍّ لَنَا، سَنَأْخُذُهُ أَخْذًا، وَنَعْلُو عَنْ سُؤْلِهِ وَاجْتِدَائِهِ

إلى شيخ الإسلام

في غمرة الظلام، وفي عنفوان المأساة التي
عانيناها على إثر سقوط حكومة الثورة اليمنية،
كنتُ مشرداً في باكستان والهند وكنتُ لا أحمل
جوازاً ولا أجدُ بلداً في العالم يقبل دخولي فيه أو
إقامتي، وكان وجودي في باكستان وجوداً غير
شرعي.

في هذا الجوّ القاتم التبعس جاء العيد، وقد كتبُ
القصيدة التالية أقصّ حالتي على شيخ الإسلام
المرحوم شبير أحمد عثمان، وأحاول عنده أن أجد
في شريعة الإسلام، وفي شهامة الخلق الإسلامي
غوناً على التخلص من قوانين الإقامة الجنسية.

أنا الغريبُ الضائعُ المشردُ

أتيةُ في الدنيا، ولستُ أفقدُ

خُلِقْتُ في الأرضِ وما لي مَسَلَكُ

فيها، ولا لي في ثراها مَقْعَدُ

وجِئْتُ للدهرِ وما لي عنده

يوماً، ولا لي عندَ آتيةِ غدُ

قَدْ رَجَّحْتُ الْأَقْدَارُ بِي فِي عَالَمٍ
 مَا لِي بِهِ هَوًى، وَلَا لِي مَقْصَدُ
 دَخَلْتُهُ بِالرَّغْمِ - مِنْ بَابٍ - وَلَا
 أَغْرِفُ بَاباً لِلْخُرُوجِ يَوْجَدُ
 بَلَى لَهُ بَابُ الرَّدَى لَكِنَّهُ
 بَابٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ مُوَصَّدُ
 سَجَنٌ رَهِيْبٌ مَا لَهُ حَدٌّ
 يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ، أَوْ يُبْعَدُ
 وَالنَّاسُ إِمَّا كَادِحٌ مُعَذَّبٌ
 بِسَغِيهِ أَوْ مُوْتَقٌّ مُصَفَّدُ
 تَقَاتَلُوا عَلَى الَّذِي بِأَرْضِهِ
 وَمَا بِهَا سِوَى الْقِيُودِ تُوجَدُ
 قَدْ عَظُمَتْ خَطُوبُهُمْ، وَاتَّسَعَتْ
 فَمَا لَهُمْ عَلَى عِلَاجِهَا يَدُ
 فِي كُلِّ شَعْبٍ نَكْبَةٌ، وَكُلُّ أَرْضٍ
 فَتْنَةٌ، أَوْ نَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ

والعالمُ اليومَ بأيدي عُصْبَةٍ
 لا عقلَ يهديها، ولا مُعْتَقَدُ
 تَوَلَّهْ الْقُوَّةَ، والمالَ، ولا
 ترى إلهاً غيرَ هذا يُغْبَدُ
 يا ليلةَ العيدِ أعيدي هذه
 الأحزانُ، والشقاءَ، والتشرُّدُ!
 في جوفكِ الحالكِ آلامُ الورى
 فأئي عيدٍ من دُجَاهِ يُولَدُ؟

لَمْ يَكْتَفِ الدهرُ بآني مثل أهليه
 شقيِّ بئسَ منكُدُ
 آخُذْ مِنْهُ حَصَّةَ البؤسِ التي
 على مثالِ طاقتي تُحَدِّدُ
 فاشتدَّ في عداوتي كأنما
 يُغْبِطُنِي على الشقا ويَحْسَدُ
 يهْمُ أَنْ يطرَدَنِي مِنْ كَوْنِهِ
 لَكِنَّهُ، لم يدرِ أينَ أَطْرَدُ!!

أتى على أحبّتي، فانتشرت
 رؤوسهم بجانبني، واستشهدوا
 وأُخْرِقَ الدُّنْيَا ولم يبقَ بها
 إلا أنا، والنارُ حَوْلِي تُوقَدُ

«شبير» أنت مُنْقِذِي من مِخْنَتِي
 وأنتَ شَيْخُ الْمِلَّةِ الْمَجْدُ
 قَدْ أَوْدَعَ الْإِسْلَامُ فِيكَ سِرَّهُ
 لَأَنَّكَ الطَّوْدُ الْمَنِيعُ الْمَفْرَدُ
 يَأْوِي إِلَى هَذِيكَ مَذْعُوراً إِذَا
 طَارَدَهُ هَذَا الزَّمَانُ الْمُلْجِدُ
 وَتَلَجَأُ الدُّنْيَا إِلَيْكَ كُلَّمَا
 أَصَابَهَا الْهَمُّ الْمَقِيمُ الْمَقْعِدُ
 وَهَا أَنَا مُشْكِلَةٌ، مِنْ مُشْكَلَاتِ
 الْأَرْضِ جَاءَتْ فِي جِهَاكَ تُرْشِدُ
 لَذْتُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ شَاكِيّاً
 عَسَاكَ تَأْسُو الْجَرْحَ أَوْ تَضُمُّدُ

ولي بباكستان، حق الدين، والسوابق الغرّ التي لا تُجحد
 وإنني إلى جِماك لا أئذ
 وإنني بين يديك مُقعد
 قُصّ جناحي فسقطت عاجزاً
 مقيّداً، وما أنا مقيّد
 إن كان ذنبي، أنني مجاهد
 داع، فأنت الحكم المُجتهّد
 فاحكم بدين الله لا تترك يد الأهوال تعث بالورى إذ فسدوا
 قد طورد الإسلام إلا ههنا
 فهل تراه من هنا سيطرّد؟
 إن كنت لا تنطق، - أنت مُفصّحاً -
 فمن ترى ينطق، أو يسدّد؟
 أو كان هذا الدين لا يوجد في العدل، ففي أي مكان يوجد؟
 حسب ذوي الدنيا شؤون جمّة
 - أخرى - قواهم عندها تُستنفذ

دُنْيَاهُمْ قَدْ أَضْبَحَتْ مُغْضِلَةً
 لَمْ يَفْطِنُوا لِحُلَّهَا، أَوْ يَهْتَدُوا
 قَدْ زَيَّفُوهَا بِالْهَوَى فَاشْتَبَهَ الْوَاضِحُ
 لِلنَّاطِرِ، وَالْمُعَقَّدُ
 تَأْكُلُوا فِيهَا فَهَذِي أُمَّةٌ
 تُمَحَى، وَتِلْكَ أُمَّةٌ تُزْدَرَدُ
 وَأَلْفُوا الظَّلَمَ بِهَا، فَأَصْبَحَ الْمَظْلُومُ لَا يَحْنُو عَلَيْهِ أَحَدٌ
 وَأَصْبَحَ الْحَقُّ لِمَنْ فِي كَفِّهِ الْبَطْشُ، وَمَنْ فِي طَبْعِهِ التَّشَدُّدُ
 طَغَتْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ جَارِفَةٌ
 مُلْجِدَةٌ، بِكُلِّ شَيْءٍ تُلْجِدُ
 مُذْ نَبَذُوا هَذِي السَّمَاءَ مَا دَرَوْا
 مِنْ بَعْدِهِ أَيْ سَبِيلَ يُخَمَدُ
 كُلُّ بِهَا شَاكٍ، وَكُلُّ ظَالِمٍ
 وَالْحَقُّ عِنْدَ كُلِّهِمْ مُفْتَقَدُ
 اتَّخَذُوا وَالْحَقُّ لَهُمُ الْعَوْبَةُ
 هَذَا بِهِ يَطْغَى، وَهَذَا يُفْسِدُ

كانوا يظنون بأن أمم العالم حين تلتقي تتجدد
 فأنكشف الواقع فيهم عكس ما
 يقوله المفكر المسدد
 لما تلاقى أمم الدنيا على
 مائدة، لم تلق ما تزود
 فأصبح الكل لكل جائعاً
 وصار كل ضد كل يُقصد
 تعارفوا فاكشفوا بأنما الإنسان وحش همة التصيد
 واجتمعت عقولهم، فكان في
 مجموعها الجنون، والتبليد
 لا يُنقذ العالم إلا قوة
 روحية لروحه تجدد
 يؤلف الإسلام فيها شعلة
 تقوده وسط الدجى، وتُرشد
 وتلك باكستان في الشرق لها
 روح من الدين بها تنفرد

قد خُلِقَتْ كاملةً، كالشمسِ إذْ
 تبرزُ في آفاقِها، وتُولدُ
 العلمُ، والحكمةُ في نطاقِها
 والدينُ فيها السيّدُ المسودُّ
 كأنما القرآنُ في أقطارِها
 أنفاسُها الطُّهرُ التي تردُّ
 وأهلُها كأنهم في غفلةٍ
 ما عرفوا دنيا الورى، أو شهدوا
 يُشوّقني إليهمو أنهمو
 جُنْدٌ وأنا مثلهم مجنّدُ
 إن كانت الغربة تُشجيني فما
 يُخذلني الصَّبْرُ، ولا التجلّدُ
 ألفتُ هذا الليلَ، لا أنتظر الصبحَ بهِ ولا النجومَ أَرصدُ
 إن تنقِمِ الدُّنيا عليّ إنني
 أصرفُ عن أهوائِها، وأزهدُ

وإتني ضيَّغتُ عمري كادِحاً
 وضُيِّعَ الأهلُ معي، والوَلَدُ
 فإني القلمُ أني مُضِلِّحُ
 فيها، وإني عامرٌ مشيدُ
 وإنَّ أجيالاً ستأتني بَعْدَنَا
 فتَعْرِفُ الحقَّ لنا، وتَشْهَدُ
 تَسْتَنْبِطُ الحياةَ من تاريخنا
 وتُوصِلُ الشعبَ العُلَى، وتُضْعِدُ
 فإنْ أعِشْ، أو إنْ أُمْتُ في هذه الدنيا، فلنْ يموتَ ما أَعْتَقْدُ
 أعِشْ في أمواجهِ حالكَةً
 صاخِبَةً تُرْغِي بِهِ وتزِيدُ
 ويرْزُقُ الشَّعْرُ عليها ذاهلاً
 كأنَّهُ في قبرِهِ يُعَرِّبُ
 فأني خَوْفِ أَتَقِي، وأني خُطْبِ أَشْكِي، وأني ظَلَمَ أَتَقْدُ
 كم أذمِعُ شاعِرةً سَفَخَتْهَا
 من قلبي الدامي، وكم تَنْهَدُ

تطايرت، كأنها أكذوبة
 يَهْذِي بها مُشْغَوْذٌ مُبَلَّدٌ
 حَسْبِي مِنَ الْأَيَّامِ أَنِّي عِشْتُ لَا
 أَحْتَمِلُ الضَّيْمَ، وَلَا أُسْتَغْبَدُ
 وَلَا يَمُوتُ مَيِّتٌ إِنْ كَانَ فِي
 ذِكْرَاهُ مَا يَبْقَى، وَمَا يُخْلَدُ
 نَحْنُ هَدَيْنَا النَّاسَ مِنْ جَهَالَةٍ
 وَمَا عَلَيْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا
 نَحْنُ زَرَعْنَا، وَسَقَيْنَا زَرَعَنَا
 دَمًا، وَيَأْتِي بَعْدَنَا مَنْ يَخْصُدُ

بيغاء بهاولبور

كثر في «بهاولبور»، إحدى إمارات باكستان،
البيغاوات، يلاحظها المرء في الجو، وعلى الشجر،
ترقص، وتضج، وتفرح، وتتعاث أسرابها من غصن
إلى غصن، ومن مزرعة إلى أخرى. ولها كتب
هذه الأبيات:

غَرْدِي، أو عربدي ملء الفضاء
واعزفي ما شئت من فن الغناء
وانزلي في أيّ وكبر وارفي
عند أيّ المعجبين القدماء
قبلي أيّ حبيب، وارشفي
ملء منقارك من عذب السماء
لن يظنّ الناس فيك سوء أو
يحسبوا فغلك فعل السفهاء

قوة الإيمان

لو كَسَبْتَ الْإِيمَانَ إِيْمَانًا إِبْرَاهِيمَ يَوْمًا لَكُنْتَ إِبْرَاهِيمَا
أَوْ لَأَذَلَّلْتَ مِنْ تَأَلَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَحَطَّمْتَ أَنْفَهُ تُحْطِئَمَا
وَلَدَمَّرْتَ كُلَّ مَنْ كَانَ نَمْرُودًا وَأَذْرَيْتَهُ حُطَامًا هَشِيمَا
وَلَكَأَنَّ دُنْيَاكَ بَزْدًا وَأَمْنًا وَسَلَامًا وَلَوْ سَكَنْتَ الْجَحِيمَا

المؤتمر الإسلامي في حفل إفتتاحه بباكستان

هذه روحه وهذي جنوده
 فليحاذره من بشر يريده
 نام نوم الموتى فظنوه ميتاً
 وازدهاهم هجوعه وهموده
 طال إخبائه وضائق به الأرض وضجت قبوره ولحوده
 شدقه مضرع الوحوش فماذا
 نال منه حتى علاه صديده
 صوته ينشر المنية في الغاب فيضطاد فيه ما لا يصيده
 أين ذاك السعير أي ثلوج
 طمرته وأي برز يسوده
 كيف هان الهزبر في حرم الغيل وسادت ضباعه وقروده
 شد ما استنسر البغات بقبر النسر واستأسدت على الليث دوده
 وطئوا أرض غابه فإذا بالغاب وسنى هضابه ووهوده
 نزعوا شوكة ولكن قاع الغاب شك ثرابه وصعيده

خَلَفَ نوحَ الطيورِ في مرجِه المَوْتورِ منهم زئيرُهُ وأُسودُهُ
 وَرَأَوْهُ في غيلِهِ هامدَ الجِثْمَانِ كالموتِ صمْتُهُ وركودُهُ
 وَلَقَدْ أُعْجِبُوا بِهِ إِذْ تَوَقَّى نَفْسُهُ جَهْلُهُ بها وجحودُهُ
 لَيْسَ يدري ما يحْمِلُ المخلَبُ الجَبَّارُ في كَفِّهِ وماذا يجيْدُهُ
 وَغَدُوا يَسْأَلُونَ أَنفُسَهُمْ عَنْهُ كَمَا يَسْأَلُ الدُّجَى عَزِيدُهُ
 أَيْنَ معنى الحياةِ فِيهِ وَأَيْنَ الرُّوحُ في تَبْضِهِ وَأَيْنَ وجودُهُ
 إِنَّهُ جُئْتُ فَلَا سَلْخُهُ إِنْمَ وَلَا سَخَقُهُ وَلَا تَبْدِيدُهُ
 ومضوا يسلخونَهُ فإذا باللَيْثِ لهيْبُهُ ووقودُهُ
 وإذا شعلَةٌ تَفْجَرُ عنها

قبرُهُ وانتضى لظاها جليدُهُ

وإذا بالعرينِ نابٌ وظفرٌ،

فِيهِ حتَّى أزهارُهُ وورودُهُ

وإذا عالمٌ من اليأسِ والإقدامِ يستقبلُ الحياةَ وليدُهُ

وإذا بالصريعِ ينجو وبالنارِ عليه يُشوى بها نمرودُهُ

أُضِيفَ الْإِسْلَامُ فِي شَعْبِ بَاكِسْتَانِ حَقٌّ عَلَيْكُمْ تَأْيِيدُهُ
 أَنْتُمْ ذُخْرُهُ وَأَنْتُمْ أَمَانِيهِ الْغَوَالِي وَشِدْوُهُ وَنَشِيدُهُ
 فِي يَدَيْهِ حَقٌّ فَلَا تَخَذِلُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ حُمَاتُهُ وَجَنُودُهُ
 أَمْرُهُ أَمْرُكُمْ لَكُمْ مِنْهُ مَا كَانَ سِوَاءَ نَحْوُسُهُ وَسُعودُهُ
 فَاحْذَرُوا أَنْ تَحَايِدُوا إِنَّ هَذَا الشَّعْبَ مِنْكُمْ يَكِيدُكُمْ مَنْ يَكِيدُهُ
 أَرْضُ كَشْمِيرِ أَرْضُهُ وَالثَّرَى الطَّاهِرُ فِيهَا أَبَاؤُهُ وَجَدُودُهُ
 صَنَعُوا مِنْ دِمَائِهِمْ ذَلِكَ الْوَادِي فَمِنْهَا أَفْوَاقُهُ وَبِرُودُهُ
 لَيْسَ يَخْلُو مَنْ عَرَفَهُمْ فِي ثَرَى كَشْمِيرٍ لَا وَرْدُهُ وَلَا عِنَقُودُهُ
 مَا رَأَيْنَا الْأَوْطَانَ تُشْرَى بِمَالٍ، إِنَّمَا يَمْلِكُ التَّرَابَ شَهِيدُهُ
 وَفِلَسْطِينَ ذَلِكَ الْوَطَنُ الْغَالِي

أَحَقُّ قَدْ اضْمَحَلَّ وَجُودُهُ؟

قَصَمُوا ظَهْرَهُ وَقَالُوا مُصَابٌ

فَادِخْ يَنْبَغِي لَنَا تَضْمِيدُهُ
 كَلَّمَا أَوْجَسُوا مِنَ الشَّعْبِ خَوْفًا،

سَلَّمُوا أَمْرَهُ إِلَى مَنْ يُبِيدُهُ

أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ نَقَرَّ وَنَسْتَبْقِي
 عَلَى الْغَضَبِ كُلِّ لَصٍّ يُجِيدُهُ
 يُطْرَدُ الشَّعْبُ مِنْ حِمَاهُ وَنُسْتَأَقُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَعْبٍ طَرِيدُهُ
 لَمْ يَدْمَرْ جَمِى الْقَوَانِينِ فِي الْعَالَمِ إِلَّا نَقُودُهُ وَيَهُودُهُ
 سَوْفَ يَحْيَا بَرِغْمَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى وَإِنْ طَالَ مَوْتُهُ وَرَكُودُهُ
 سَوْفَ يَبْنِي الشَّعْبُ الْأَبْيُّ ضَحَايَاهُ وَيَسْتَرْجِعُ الْقَدِيمَ جَدِيدُهُ
 نَحْنُ نَبْغِي الْفِدَا فَمَا حُجَّةُ
 الْبَاغِي عَلَيْنَا؟ مَا وَعْدُهُ؟ مَا وَعِيدُهُ
 لَوْ رَأَى مَا نَكَّثُهُ فِي الْحَنَايَا
 لَاقْشَعَرَّتْ سَجُونُهُ وَقِيُودُهُ
 وَالزَّعِيمُ الْمَفْتِي هُوَ الْمَوْعِدُ الْحَقُّ
 لَشَّعْبٍ يَسُوسُهُ وَيَقُودُهُ
 فِي جَبِينِ الْفَتَى شَعَاعٌ مِنَ الْحَقِّ مُحَالٌ إِطْفَاؤُهُ وَخَمُودُهُ
 مَا رَأَوْهُ إِلَّا وَهَانَتْ قَوَى الطَّاغِي عَلَيْهِمْ وَنَارُهُ وَحْدِيدُهُ
 وَلَنَا فِي شِمَالِ إِفْرِيقِيَا شَعْبٌ قَرِيبٌ وَإِنْ تَنَاءَتْ حُدُودُهُ
 نَقَفَتْ كُلُّهَا الْعَهْدُ سِوَى عَهْدِ أَمِينٍ لَا يُسْتَطَاعُ جَحُودُهُ

يَتَضَوِي حَوْلَهُ الشَّبَابُ الْمَلَائِينُ جُنُوداً لَأَيِّ فَتْحٍ يُرِيدُهُ
كَلِّمًا ذَاذَةً الْعَدُوَّ وَأَقْصَاهُ

تَدَانِي إِلَى هَوَانَا بَعِيدُهُ
لَمْ يَزَلْ غَابُ طَارِقٍ يُنْجِبُ الْأُسْدَ وَيَسْتَنْبِثُ الْمَخَالِبَ عَوْدُهُ
تَتَلَطَّى بِرُوحِهِ الْمَارِدِ الْجَبَّارِ صَخْرَاؤُهُ وَتَغْلِي نَجْوَدُهُ
وِظْلَالُ ابْنِ نَافِعٍ لَمْ تَزَلْ فِي الْبَحْرِ تَرَوِي تَارِيخَهُ وَتُعِيدُهُ
طَبَعَتْ فِي الْمَحِيطِ صُورَةَ لَيْثٍ، يَقْهَرُ الْبَحْرَ ذِكْرُهُ وَخُلُودُهُ
يَخْفُلُ الْمَوْجُ كُلَّمَا مَسَّ ظِلُّ السِّيفِ عَرْنِيْنَهُ وَيَعْنُو مَرِيدُهُ
وَالِى مَصْرَ يَزْدَهِيْنِي هَوَى الشَّعْرِ فَأَنْهِي خِيَالَهُ وَأَذُوْدُهُ
إِنَّهَا مَصْرُ نَيْلِهَا الْعَذْبُ شِعْرُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لَا يُجَارِي قَصِيدُهُ
وَحَقُوقُ الْوَادِي سَتَمَلِي عَلَى الدَّهْرِ وَإِنْ طَالَ مَنَعُهُ وَصُدُوْدُهُ
كَمْ أَرَادُوْهُ أَنْ يُقَرَّ عَلَى الضَّمِيمِ فَتَأْبَى أَبْطَالُهُ وَأُسُوْدُهُ
كَيْفَ يُلْغَى حَقٌّ وَفِي النِّيلِ وَالْأَهْرَامِ وَالشَّعْبِ قَائِمَاتٌ شُهُوْدُهُ

يَا رِجَالَ الْإِسْلَامِ تَارِيخُكُمْ ضَخْمٌ وَلَكِنْ هَلْ فَيَكْمُو مَن يُعِيدُهُ؟

يَوْمُ أَسْلَافِكُمْ يَرَى يَوْمَكُمْ هَذَا كَمَا يَنْظُرُ الْوَلِيدُ جُدُودَهُ
 رُوحُ مَاضِيكُمْ بِأَعْرَاقِكُمْ يَتَوَي وَيَهْفُو إِلَى الْوُثُوبِ قَعِيدَهُ
 ذَاهِلًا كَيْفَ تَبْحَثُونَ عَنِ الْمَجْدِ وَفِيكُمْ كَنْزُهُ وَرَصِيدُهُ
 قَدْ جَعَلْتُمْ لِمَدِّ تَيَّارِهِ حَدًّا فَأَنْتُمْ قِيودُهُ وَسُدُودُهُ
 فَأَطَلْتُ كَمَا يَطْلُ ضَحَايَا السَّجَنِ مِنْكُمْ عَصُورُهُ وَعَهْودُهُ
 وَرَنْتُ مِنْ نَوَافِدِ الزَّمَنِ الْخَالِي إِلَيْكُمْ عِيُونُهُ وَشَهُودُهُ
 فَحَرَامٌ أَنْ تَنْظُرُوا الْفَلَكَ الْأَعْلَى وَأَنْتُمْ نَحْوُسُهُ وَنَكُودُهُ
 وَحَرَامٌ أَنْ تَطْلَعَ الشَّمْسُ فِي شَرْقِ شَقِيٍّ مَا فِيهِ إِلَّا عَبِيدُهُ
 رَبُّ شَعْبٍ يَحْيَا وَيَقْعُدُ خَوْفَ الْمَوْتِ شَرًّا مِنَ الْمَنَايَا قَعُودُهُ
 أَنْتُمْ عَالَمٌ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى الشَّرْقِ خَافِقَاتِ بَنُودُهُ
 عَالَمٌ وَاحِدٌ وَإِنْ زَعَمْتُهُ، أَلْفُ شَعْبٍ تُغَوِّرُهُ وَحُدُودُهُ
 عَالَمٌ مُسَلَّمٌ عَنِيدٌ فَلَا اسْتِعْمَارُهُ مُمْكِنٌ وَلَا تَهْوِيدُهُ
 سَوْفَ يَبْقَى حَقِيقَةً تَمْلَأُ الْأَرْضَ وَيَقْتُلِي عَدُوَّهُ وَخَسُودُهُ

كفاح

حَسَدْنَا العِزَّائِمَ مَلءَ الصَّدُورِ
وثرْنَا عَلَى ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ
وَرُحْنَا تُرُوضُ أَجْيَادَنَا
وَنَسُجُ أَجْنَحَةَ الضُّقُورِ
وَنُوقِدُ أَعْصَابَنَا فِي الدُّرُوبِ
بَيْنَ الشَّعَابِ وَبَيْنَ الصَّخُورِ
وَنَذْفَعُ أَيَّامَنَا الْكَالِحَاتِ
لِتَمْشِي بِنَا تَحْتَ عِبَاءِ الْعُصُورِ
وَنَبْذُرُ بَيْنَ شَتِيَةِ الرُّفَاتِ
حَيَاةً تَهْبُ وَرُوحاً تَثُورُ

وَأَوْفَى عَلَى النَّاسِ فَجْرٌ جَدِيدُ
تَرَاءَى لَهُمْ ضَوْؤُهُ مِنْ بَعِيدِ
فَهَبُوا يَعْذُونَ أَنْفَاسَهُمْ
لِتُطْلِقَ مَلءَ الْفَضَاءِ الْمَدِيدِ

وَيَنْتَظِرُونَ انْهِيَارَ السَّجُونِ
وَسَخَقِ الْقِيُودِ وَعِثَقِ الْعَبِيدِ
وَيَحْتَشِدُونَ بِأُرُوحِهِمْ
لَتَضَنَّ أَحْلَامُهُمْ يَوْمَ عِيدِ

وَيَنْبَعِثُ «الصَّوْتُ» عَبْرَ السَّمَاءِ
يَصُبُّ الْبَلَاءُ عَلَى الظَّالِمِينَ
يَثِيرُ الْبَرَائِكِينَ مِنْ تَحْتِهِمْ
وَيُوقِظُ كُلَّ سَاعِيرٍ دَفِينِ
يُحِيلُ دِمَاءَ الضَّحَايَا لَظَى
وَيَشْوِي بِهَا أَكْبَدَ الْقَاتِلِينَ
وَيَصْنَعُ دَمْعَ الْأَسَى صِنْحَةً
فَيُشْفِي بِهَا أَنْفُسَ الْبَائِسِينَ

وَفِي كُلِّ كُوخٍ تَرَى حَاقِدًا
تَحْفَظُ لِلنَّارِ فِي غَضَبَتِهِ
يَثُورُ بِهِ الْكُوخُ مِنْ حَوْلِهِ
وَتَنْدَلِغُ النَّارُ مِنْ تُرْبَتِهِ

وَتُزْعَبُ أَسْمَالُهُ الْبَالِيَاثُ
كَمَا يُزْعَبُ اللَّيْثُ فِي لُبْدَتِهِ
يَعِيشُ سَعِيداً عَلَى مَوْعِدِ
مَعَ الثَّأْرِ يَحْسَمُ مِنْ نَكْبَتِهِ
وَيُصْغِي إِلَى صَرَخَاتِ الْأَثِيرِ تَزَأُّرُ غَضَبِي عَلَى مِخْتَتِهِ

تحية لصوت عمان المكافحة وشعب عمان الباسل المناضل

بين (نزوى) وبين (صنعاء) جَمِيزُ
 ماردٌ في الجبالِ ثار، وزنجُرُ
 هبٍّ في وجهِ مَنْ بغى، واستعَمَرُ
 وانبرى ضدَّ مَنْ طغى، وتَجَبَّرُ
 زعموا أنه استكانَ، وهذا
 «صوته» كالحريقِ في الغابِ يَزْأَرُ
 كَلِمٌ يَزْرَعُ العرينَ منوناً
 لَيْسَ سُخْفاً يَهْدِي بِهِ مَنْ ثَرَثَ
 كُلُّ حَرْفٍ يَنْسِلُ فِي كَيْدِ الأعداءِ مِنْهُ رِصَاصَةٌ، أو خَنْجَرُ
 نَفْسٍ كالصاروخِ يَحْمِلُ للباغينِ فِيهِ صَواعِقاً تَتَفَجَّرُ
 يَجِدُ الثائرونَ زادَهُمُ الثوريُّ فِيهِ يذودُ عَنْهُمْ، وَيَثْأَرُ

أَيُّهَا الصَوْتُ هَذِهِ الأَرْضُ لَوْ كَانَتْ قُبُوراً صَنَعَتْ فِيهَا المَحْشَرُ

المغامرة هي الحياة

ثَبَّ مع اللَّيْلِ في ظلامِ البحارِ
 وتَفَلَّتْ في لُجَّها الرِّخارِ
 وانتَفِضْ كالبركانِ في ثَبَجِ البحرِ
 ... وصارِغُ زوايِعِ التَّيَّارِ
 لَسْتَ تَلْقَى في البحرِ حَفًّا مِّنَ الساحِلِ
 ... أو راحةً مِّنَ الأسفارِ
 فارفعِ الرأسَ حيثُما كُنْتَ واطهَّرْ
 وامشِ فوقَ الخطوبِ، والأخطارِ
 أَنْتَ في لُجَّةِ الصِّراعِ فهِيبْ
 لَكَ زِنْدُ المِصْراعِ الجَبَّارِ
 لا تَخَفْ من خَطْبٍ وَكُنْ أَنْتَ خَطْبًا
 وَحَرِيقًا وَشُغْلَةً مِّنَ نارِ
 أَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِنَفْسِكَ إِعْصاراً
 ... تَمَّتْ نَحْتِ وَطْأَةِ الأَعْصارِ

غزليات

الغازية

أَخَذْتُ تُلَاحِظُنِي بِطَرْفِ فَاتِكِ
ذَرِبْ عَلَى فَرْيِ الْجَوَانِحِ هَاتِكِ
يَبْدُو بِأَنَّ لَهُ نَصَالاً فِي الْهَوَى
وَبِأَنَّهُ ابْنُ مَلَا حِمٍّ وَمَعَارِكِ
يَغْزُو الْفَوَادَ بِوَمُضَةٍ أَخَاذَةٍ
عَجَلُ وَيَدْخُلُهُ دُخُولَ الْمَالِكِ
نَتَخَالَسُ النُّظْرَاتِ بَيْنَ عَوَازِلِ
يَقْطِي وَبَيْنَ مَصَارِعِ وَمُهَالِكِ

الطغيان الحلال

حَسْبُهُ اللهُ مَا فَعَلَ
 أَوْقَدَ النَّارَ، وَانْقَلَبَ
 لَا يُبَالِي بِمَا اكْتَوَى
 فِي لِظَاهٍ، وَمَا اشْتَغَلَ
 وَسِعَتْهُ عَلَى هَوَاهِ الْقَوَائِنَ، وَالْمِلْأَ
 وَأَبَاحَتْ لَهُ الْقُلُوبَ، وَإِنْ جَارَ أَوْ قَتَلَ

طلب الغفران

اغفري لي إذا تطلَّعتُ مأخوذاً
 إلى وجهكِ الطَّهورِ السَّنيِّ
 ما على الشمسِ لو غسَلْتُ بومضٍ
 من سيناها ظلامَ قلبٍ شقيِّ
 أنتِ أسخى كثرَ حَبَّتْنا به الأقدارُ من فيضِها الكريمِ السخيِّ
 أنتِ نَبُعُ الحياةِ فينا وحاشا
 أنْ تَضُنِّي على الظمأِ بريِّ
 لَمَسُهُ من هوائِكِ تُشْعِلُ أعماقي
 وتُضْفِي عليَّ حَسَّ نبيِّ
 أنتِ لَسْتَ المهابةُ تَسْطُو عليها
 عينُ ذئبٍ على المَها وحشيِّ
 لَمْ يَصْغِكِ الإلهُ صِبْغَتَهُ المثلَى لنسْلِ أو مَأْرِبِ همجيِّ
 أنتِ في ناظريكِ روحُ إلهٍ
 خالِقِ كلِّ خَلْقٍ عِبْقَرِيَّ

أشعار مترجمة عن محمد إقبال

العشق وراء الأقنعة

يَلْبَسُ الْعِشْقُ تَارَةً طَمَرَ صَعْلوكِ شَرِيدٍ وَتَارَةً تاجَ قَيْصَرَ
وَيُرَى عَارِيًّا وَدِيْعًا وَأَحْيَانًا يَخُوضُ الْوَعْيَ وَيَلْبَسُ مَغْفَرَ
هُوَ حِينًا فِي الْغَارِ يَرْغُو وَيَجْأَزُ، وَهُوَ طَوْرًا فِي الْحَرْبِ يَغْزُو وَيَقْهَرُ
كَنْزُ دَيْرٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ رُوحُ مَيْتَرٍ
أَوْ قَوَى فِي يَمِينِ فَاتِحِ خَيْبَرٍ

أمنية إقبال

رَبِّ هَبْ لِلشُّبَابِ آهَاتِي الْحَرَّى وَهَبْ لِلصُّقُورِ رِيشاً جديداً
بُغِيَّتِي أَنْ تَمُدَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شُعْلَةٍ قَلْبِي نوراً عميقاً مديداً

غزو الأعماق

لَيْسَ فِي عِزِّ مُسْلِمٍ مِنْ دَمٍ بَاقٍ
 ... وَلَا فِي غَرَامِهِ مِنْ جَنُونٍ
 مَا دَهَى الْمُسْلِمِينَ، أَيُّ عَدُوٍّ
 نَالَ مِنْهُمْ، وَأَيُّ حَرْبٍ طَحُونِ؟
 أَيُّ خَطْبٍ إِلَى الْمَشَاعِرِ، وَالْأَعْمَاقِ
 .. وَاقٍ، وَأَيُّ غَزْوٍ لَعِينِ!
 أَفْلَسُوا مِنْ قُوَى لَهُمْ كَأَنَّ
 ... نَتِ الدُّنْيَا بِهَا فِي قَرَارَةٍ وَيَقِينِ

الفجر الثاني

أرى سَحَرًا يبدو علينا بنوره
ويجلو علينا طلعة اليوم، والغد
ولم أكتشف من أي نبع شعاعه
يحيء، ولا من أي عزق، ومحتد
ولكن فجراً يقشع له الدجى
أتى من أذان المؤمن المتعبّد

إمتداد الشعب العربى

الشاعرُ الهنديُّ يهْمُسُ في أدبِ
 إنْ لَمْ يَسْؤُكُمْ يا سلاطينَ العربِ
 أيُّ الشعوبِ تعلَّمتْ من قبلكم
 سِرّاً مليئاً بالعِظَاتِ، وبالعجبِ؟
 (إنَّ التولي للنبىِّ براءةُ
 من عمِّه الداني القريبِ أبي لهبِ)
 العالمُ العربيُّ شعبٌ جاء من
 فوه الأبوَّةِ، والنبوَّةِ، والنسبِ
 وامتدَّ في معنى النبيِّ محمَّدٍ
 لا في الحدودِ، ولا الثغورِ، ولا النسبِ

دعاء

رَبِّ أَشْعِلْ أَعْمَاقَ رُوحِي كَالْأَسْلَافِ
 ... واجْعَلْ أَحْشَاءَ صَدْرِي أَتُونَا
 رَبِّ وَاكْتُبْ اسْمِي بِزِمْرَةٍ مِّنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
 ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 رَبِّ إِنِّي حَطَّمْتُ أَغْلَالَ عَقْلِي
 كُنْتُ فِيهِ مَكْبَلًا مَسْجُونًا
 وَتَفَلَّتُ مِنْ قِيُودِي، فَهَبْ لِي
 يَا إِلَهِي تَهَوُّرًا وَجَنُونًا!

الطائر اللاهوتي

أفكار منظومة

إذا علّم الحُبّ النفوسَ مزاياها
فشامتْ هُداها وارتوتْ من حَيّاها
تجلّتْ لأبصارِ العبيدِ مطامحُ
من المجدِ كانتْ للملوكِ خباياها

فإن تكنِ العطار أو تكنِ الرومي
وإنْ تكُ في عقلِ الغزالي، أو الرازي
إذا لم تذقْ نجوى الدياجي، فلنْ ترى
مدى الدهر شيئاً من حياةٍ، وإعجازِ

حرامٌ عليك الرّكبُ يا قائدَ الركبِ
طريقك لا تأبّه لشرقٍ ولا غربِ
إذا الرّكبُ نَزَرَ جهدهُ فهو لم يكنْ
لِيسْأَمٍ مِنْ سَيْرٍ يَسِيرُ، ولا صعبِ

أَيَا طَائِرَ اللَّاهُوتِ مَوْتُكَ فِي الْفَضَا
خَمِيصاً عُلُوّاً فِي حَيَاةٍ، وَفِي حَتْفِ
وِلْيَاكَ مِنْ رَزْقٍ يَمِيلُ لِأَجَلِهِ
جَنَاحُكَ، أَوْ يَهْوِي إِلَى الذُّلِّ، وَالْخَسْفِ

شَحَاذ

قَالَ صُغْلُوكَ لَنَا يَوْمًا، بِحَانِ النُّدْمَاءِ
إِنَّ وَالَيْنَا لَشَحَاذٌ، خَلِيٌّ مِنْ حِيَاءِ

إِنَّ رَأْسًا حَاسِرًا قَدْ وُضِعَ التَّاجُ بِرَأْسِهِ
إِنَّ غُزِيَانَا كَسَاهُ، ذَاهِلًا عَنْ غُرِّي نَفْسِهِ

(كيميا ثروته) التربة من حقلي، وحقلك
يكرع الصَّهْبَا وما مِنْ كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَجَهْلِكَ
لَا يُبَالِي مَنْ قَضَى مَا دَامَ يَمْتَصُّ، وَيَغْلِكَ
حَسْبُهُ أَنْ يَمْلَأَ الْفَلَاحُ كَأْسًا ثُمَّ يَهْلِكَ

بيت منفرد

سَجْدَةٌ لِإِلَهِ تَنْجِيكَ يَا إِنْسَانُ مِنْ أَلْفِ سَجْدَةٍ لِلْعَبْدِ

الأمر الإلهي للملائكة

قوموا انظروا لعالم الدنيا
 ... وزوروا الفقراء
 وأيقظوهم من سبات
 وظلام، وغباء
 هبوا إلى ساح الملوك
 وقصور الأمراء
 هزوا مقاصير الجمى
 وزلزلوا كل بناء
 وأوقدوا نار اليقين
 في دماء الأشرار
 وعلموا العصفور...
 كني يدفع بغي الأقوياء
 وكني يذيب مقلب الصقر
 ... بروح الاستياء

وكي يَثُورَ في القيودِ،
 والسجونِ، والشقاءِ
 وكَي يَعْزُ في الوكورِ
 وَيَسُودَ في القَضَاءِ
 وَكَي يَعِيشَ ما يَشَاءُ
 فِي اعْتَزَازٍ وَإِبَاءِ
 يُعْلَمُ القَوِيُّ كَي يَعْرِفَ
 قَدْرَ الضَّعْفَاءِ

هَذَا زَمَانٌ صَارَ فِيهِ
 الشَّعْبُ فَوْقَ الرُّؤَسَاءِ
 وَفَوْقَ مَا يَجِيشُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ كِبَرِيَاءِ
 وَفَوْقَ مَا يُؤَلَّبُونَ
 مِنْ عِيْدٍ، وَإِمَاءِ
 وَفَوْقَ مَا بَتَاجِهِمْ
 مِنْ زُخْرُفٍ، وَمِنْ طَلَاءِ

وما على وجوههم
من البريق، والرؤاء
فحطّموا كلّ ضلالٍ
من بقايا القُدَماءِ
إذا المُزارعُ الشقيُّ
في أراضي السَّعداءِ
لَمْ يَلَقَ حَظًّا من حياةٍ
أو نصيباً من غِذاءِ
ولَمْ يَنَلْ مِنْ جَهِدِهِ
غيرَ احتقارٍ، وازدراءِ
ولَمْ يُعوّضْ مِنْ دَمَوِجٍ
ودمٍ جُرْعَةً ماءِ
فأخْرِقُوا سَنَابِلَ القمحِ
بأَرْضِ الأَغْنِيَاءِ
وَدَمِّرُوا مَا تَجِدُونَ،
في حقولِ اللّؤماءِ

الشاربين العذَّب
 ظلماً، من دماء البؤساء
 الطاعمين السَّخَبَتِ
 من لحم الجِيعِ الثَّعْساءِ
 الراقصين للنشيدِ
 من نُجُوح، وبُكاءِ
 المالئين للقبورِ
 من ضحايا الأبرياءِ
 الزاعمين أنَّهُمْ
 أَشْرَفُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ

لا تَجْعَلُوا بَيْنِي،
 وَيَنْ أَعْبُدِي مِنْ وَسْطَاءِ
 وَأَخْرِجُوا الْكُفَّانَ
 مِنْ دَيْرِ مَلِيءٍ بِالرِّيَاءِ
 إِنَّ سَجَدُوا لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ
 طَوْفُوا لِلشُّرَكَاءِ

فَأُطْفِئُوا النُّورَ إِذْنَ
 فِي حُجَرَاتِ الْجَهْلَاءِ
 فِي مَغَبِّ الرُّهْبَانِ
 أَوْ فِي مَسْجِدِ الْحُنَفَاءِ
 وَعَمُّرُوا لِي مَغَبِّدًا
 فِي الْأَرْضِ مِنْ طِينٍ، وَمَاءِ
 فَقَدْ سَيِّمْتُ مِنْ رَخَامِ
 وَنَقُوشِ، وَهَرَاءِ
 وَأَوْقِدُوا فِي شَاعِرِ الْمَشْرِقِ
 ... وَمَضَّ الْأَنْبِيَاءُ
 وَعَلَّمُوهُ صُنْعَ آدَابِ
 جَنُونَ، وَانْتِشَاءِ
 وَلَيْسَ هَذَا الْمَدَنِيَّاتِ
 سِوَى دُنْيَا هَبَاءِ
 أَوْ مَصْنَعِ يُبْنَى زَجَاجًا
 مِنْ هَرَاءِ وَأَفْتِرَاءِ

الإنسان مغزى الكون

كلُّ شيءٍ . مسافرٌ، كلُّ شيءٍ
 في طريقِ المَجاهلِ الأبديةِ
 أنجوماً كانت، أم الطيرُ في الأجواءِ
 ... أم الحوتُ في البحارِ القصيةِ
 أنتَ رمزُ الحياةِ، أنتَ فتى الميدانِ،
 ... أنتَ المغزى، وأنتَ القضيةِ
 إنَّ فضلَ السماءِ جندُكَ لو تدري،
 ... استغلَّيتَ هذهِ الجُنْدِيَّةِ
 سَجَدْتَ نَحْوَكَ الملائِكُ إكباراً
 ... لِمَا فيكَ مِنْ معانٍ سَنيَّةِ
 وأقامتَ دَهراً حوَالَيْكَ ...
 تَسْتَكْشِفُ ما فيكَ من رموزِ حَيَّةِ
 لَيْسَ تَدْرِي ما في كيانِكَ مِنْ فَضْلِ
 ... وشأنٍ، وقيمةِ رمزيَّةِ

فَلَكَ الْوَيْلُ، مِنْ بَلِيدِ قَصِيرِ الطَّرْفِ
 ... يَغْمَى عَنْ الْأُمُورِ الْجَلِيَّةِ
 لَا يَرَى نَفْسَهُ، وَإِنْ هِيَ لَاحَتْ
 فِي دَجَى الْكَوْنِ كَالنَّجُومِ الْمُضِيَّةِ
 فَإِلَى مَا تَظَلُّ عَبْدًا لِدُنْيَاكَ
 ... مُقِيمًا فِي ذِلَّةٍ وَبِلِيَّةِ
 عِشْ بِدَيْرِ الرُّهْبَانِ مِنْ فَوْقِ دُنْيَاكَ
 ... أَوْ أَخْلِلْ عَرْشَ الْمُلُوكِ الْعَلِيَّةِ
 فَهُمَا خُطَّتَانِ لِلْمُؤْمِنِ الْحُرِّ
 فإِحْدَاهُمَا، وَإِلَا الْمَنِيَّةِ
 قِيمَةُ الْمُؤْمِنِ الْأَبْيِّ مَعَانِ
 كَتَبَتْهَا الْمَشِيئَةُ الْأَرْزَلِيَّةِ
 فَحَرَامٌ أَنْ يُرَخَّصَ الثَّمَنُ الْغَالِي
 ... وَتُسْتَعْبَدَ النُّفُوسُ الْأَبِيَّةِ

أَنَا لَا قِيْتُ سَادَنَ الْحَرَمِ الشَّيْخِ
 فَلَمْ أَلْقَ عِنْدَهُ الْأَمْنِيَّةِ

واهَنَ القولِ، خامدَ الروحِ، ما في
فعلِهِ حرقَةً، ولا معنويَّةَ
لَيْسَ يدري، ولا يحسُّ بما حوْلِهِ
... مِنْ رَوْعَةٍ، وَمِنْ قُدْسِيَّةَ

مناقشة "إقبال" لرَبّه

يا ربَّ عالمُكَ السَّيَّارُ في نظري
 حلوّ جميلٌ، ولكنّ فيه ما فيه
 الطَّيِّبُونَ، وأهلُ الفَنِّ فيه أذلاءُ
 ... وذو المالِ في عزٍّ وتألّيه
 والأرضُ تنظرُ نحو الغربِ نظرتَها
 لسيدٍ تتوقَّاهُ وتُرضيه
 لَمْ تُعْطِ ذا اللَّبِّ في دُنْيَاكَ من ورقٍ ...
 الصفصافِ قوتاً بلا كدٍّ يُعانيه
 وهؤلاء حملوا الفردوسَ مزدهراً
 إلى الحميرِ لترعى في مغانيه
 إِنَّ الكنائسَ فيها الخمرُ قانيةٌ
 حمراءُ تشعلُ مَنْ فيها وتُذكيه
 وفي المساجدِ وَغْظٌ مَيِّتٌ حَرَجٌ
 يُمَيِّتُ سامعَهُ غَمّاً ويُفنيه

قرآنك الحق لكن من يفسره
 يصدنا فيه عن أسمى معانيه
 يلقي به جهله الأعمى، ويجعله
 كأنه سيفرّ تضليل، وتمويه
 فزدوسك الضخم لم تنظر حقايقه
 عين ولم يتصل شخص بأهليه
 وفي قرى الغرب جنات معجّلة
 يرى بها المرء ما أقصى أمانيه
 عقلي بأفلاكك العظمى يحلّ في
 دُغري ويضرب في ليل من التيه
 فاحبسهُ في القَمَرِ الوضاء، وارم به
 إلى مغاراته أو في دواهيهِ
 أعطاني القَدْرَ الوهابُ جوهرة
 علوية فأضاءت في ليليه
 أنا الترابي لكن ليس بي رَقَع
 من التراب لتلويثي وتشويهي

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّي أَعِيشُ بِهِ
نَشْوَانَ فِي عِزَّةٍ مِنْهُ وَفِي تَيْهِ
وَلَسْتُ فِي الشَّرْقِ شَرْقِيًّا كَأُمَّتِهِ
وَلَسْتُ فِي الْغَرْبِ غَرْبِيًّا كَأَهْلِيهِ

ابن الصقر

أَيُّهَا الصَّقْرُ لَيْسَ فِي طَرْفِكَ الْيَوْمَ طَمُوحُ الْمُحَلَّقِ الْمَتَأَلِّهِ
 لَيْسَ يَدْرِي جَنَاحُكَ السَّابِغُ الْجَوَّالُ أَنَّ السَّمَاءَ مُدَّتْ لِأَجَلِهِ
 أَنْتَ نَجْلُ الشَّاهِدِينَ لَكِنَّ عَيْنَيْكَ تَقُولَانِ أَنْتَ لَسْتَ بِنَجْلَةٍ
 لَمْ تَرَ الْبَاسَ فِيهِمَا وَرَأَيْنَا، كُلُّ فَرْعٍ يَحْوِي عُنَاصِرَ أَضْلَةٍ

الحياة حرب

إذا لَمْ تَكُنْ ذا نَهْيٍ وَاَعْيَةٍ،
 وذا عزيمةٍ صلبةٍ ماضيةٍ
 وَلَمْ تَذِرْ سِرَّ الحياةِ العميقِ
 وَلَمْ تَرَ أَغْوَارَهَا النَّائِيَةِ
 فَإِنَّ الْفُؤَادَ الزَّجَاجَ الْبَلِيدَ
 سَيُخْطَمُ فِي الصَّخْرَةِ الْعَاتِيَةِ
 هُنَا مَوْضِعُ الْقُوَّةِ الطَّاعِيَةِ
 هُنَا مَوْطِنُ الْغُرْبَةِ الْقَاضِيَةِ
 حَيَاتُكَ حَرْبٌ فَلَا تَنْشِدَنَّ فِي الْحَرْبِ أَنْعَامَكَ الْلاهِيةَ
 وَإِنَّ الْحَيَاةَ دَمٌ عَاصِفٌ،
 وَلَيْسَتْ شَذَى الْمِسْكِ وَالْغَالِيَةِ
 وَمَا رَأْسُ مَالِكَ مِنْكَ سِوَى
 دَمِ الْقَلْبِ وَالْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ

إِذَا مَا أَدَّخَرْتَ الْمِيَاءَ الْعِذَابَ
 وَأَتَرَعْتَ أَكْوَابَهَا الصَّافِيَةَ
 وَلَمْ تَدْخِرْ لَكَ مَلَأَ الْعُرُوقِ
 دَمًا كَدَمِ الْأُسْدِ الضَّارِيَةِ
 تَمُتْ ظَمًا فِي حَيَاةٍ مَشَتْ
 عَلَى الدَّمِ عَابِثَةً قَاسِيَةَ

الفقر الحيدري

فقيرٌ على خُطواتِ نَفْحَةِ حيدرٍ
 أعزُّ لَنَا مِنْ أَلْفِ كِسْرَى وَقِنَصِرٍ
 وَإِنَّ الشَّبَابَ الْحَرَّ بِأَسْ وَعِزْمَةً،
 وإِعْلَانُ قَوْلِ الْحَقِّ وَالْمَنْطِقِ الْجَرِيِّ
 وَإِنَّ جُنُودَ اللَّهِ لَيَسْتِ ثَعَالِبَاءُ،
 تُرَاوِغُ مِنْ جُبْنٍ وَتَعَوِّي وَتَفْتَرِي
 يَسِيرُ عَلَى لَيْثِ الشَّرَى نَهَبَ رِزْقِهِ
 عَسِيرٌ عَلَيْهِ أَنْ يَبِيعَ وَيَشْتَرِي

السموّ بالإنسان

لَمْ أَجِدْ يَا إِنْسَانَ مَعْنَاكَ فِي الدَّيْرِ وَلَا فِي مَسَاجِدِ الْحُتَفَاءِ
لَسْتُ فِي الشَّرْقِ غَيْرَ رُوحٍ مِنَ الْأَفْيُونِ مَشْلُولَةِ الْقَوَى خَرْسَاءِ
أَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَذَقْتَ صِرَاعَ الْأَرْضِ أَوْ لَمْ تَكُنْ بِهَا ذَا غِنَاءِ
فَقَبِيحٌ بِكَ الطَّمُوحُ إِلَى الْأَفْلَاكِ وَالْإِتِّجَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ
إِنَّ خُطْبًا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَرَى نَفْسَكَ إِلَّا تَمَثَالَ طِينٍ وَمَاءِ
سَوْفَ تَبْقَى مَرُوعًا حَذَرَ الْمَوْتِ وَتَلْقَى الْقَنَاءَ قَبْلَ الْقَنَاءِ
عَجَلَاتِ الزَّمَانِ أَضْحَمُ مِنْ أَنْ

يَتَوَارَى مَسِيرُهَا فِي الْحُفَاءِ
غَيْرَ أَنَّ الْفَوَادِ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَقًّا طَهُورًا يَعْمَى عَنِ الْأَشْيَاءِ
هَذِهِ أَرْضُ آسِيَا مُلِئَتْ لِي، حَطْبًا مِنْ تَعَاسَةٍ وَشَقَاءِ
أَطْعَمَ الشُّعْلَةَ الَّتِي مَلَأَتْ قَلْبِي حَنِينًا إِلَى اكْتِسَاحِ الْفَضَاءِ

أَنْتَ عَيْنُ السَّمَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ
وَرَقِيبٌ لَهَا عَلَى الْحَدَثَانِ

لا تَضَعُ في نشاطِكَ الاجتماعي مع الناسِ فنَّكَ الروحاني
ومُعِيبٌ عليكِ لِبُثْكَ في النادي ولو كَانَ مثْلَ لُبِّ الزَّمانِ
إنَّ صرعى المَخْدَرَاتِ الحُزائى

وضحايا الإفلاسِ والحِزْمَانِ
هَزَّهُمْ صوتُكَ القويِّ وأَعْطَا

هُم سُمُو الإخساسِ والوِجْدَانِ
والطيورُ المَحْطَّمَاتُ التي تَقْبَعُ للعيشِ داخلَ الحيطانِ
أُطْلِقَتْهَا يَدَاكَ للأفقِ الأزرقِ تجري فيه بِغَيْرِ عِنانِ
فَعَدَتْ تنظرُ السَّمَوَاتِ في شوقٍ إليها وَلَهْفَةٍ وافِتَتَانِ

عِشْ مع الفنِّ في السما وتَعَلَّمْ
طيرانَ الأنعامِ والألحانِ
لا تُضَيِّعْ صداكَ في ضجَّةِ المَحْفَلِ
قُبْرِ الأذهانِ والأذانِ
سَوْفَ تَلْقَى عِقَابَ رَبِّكَ حِرْمَانَا
مِنَ الابتكارِ والإفْتِنَانِ

سَوْفَ لَا يَضْطَفِيكَ لِلتَّغْمِ الْحَلُو
 وَلَا لِلتَّخْلِيقِ وَالطَّيْرَانِ
 سَوْفَ لَا يَبْغُ النَّسَائِمَ فِي الْفَجْرِ
 إِلَى رَوْحِكَ الْكَسُولِ الْوَانِي

أسير الحضارة

يا أسيرَ الحضارةِ العَضرِيَّةِ
يا صريعَ المطامحِ المستحيلِ
إِنَّ فَقْدَ اليقينِ في الحُرِّيَّةِ
هو شرٌّ من القيودِ الثقيلةِ

عشِ بِروحِ الخليلِ إذ كَانَ في النارِ وآمِنَ إيمانهُ المغصوما
وافلاهِ القَلْبَ من يَمِينِكَ باللهِ واخلُ الإِيمانَ رَحْباً عَمِماً

في أغاني القيثارةِ الأعجميَّةِ
لَفَحَاتُ العواطفِ العَرَبِيَّةِ
إِنَّ طَيِّ القَدَاسَةِ الحَرَمِيَّةِ
سِرُّ توحيدِ الأُمَّةِ العَالِيَّةِ

لَيْسَ لِلْغَرْبِ وَخْدَةٌ فِكْرِيَّةٌ؟
فَهُوَ في فُرْقَةٍ وفي فَوْضُوَّةِ

ما بَنَى كَغَبَةً لَهُ أَوْ بَنِيَّةً
تَلْتَقِي عِنْدَهَا نُهُى الْمَدَنِيَّةُ

مسجد قرطبة

سلسلة الأيام والليالي
نقاشه الحوادث التوالي
وعنصر البقاء والزوال
حاكمة حكم العنيد الغالي

سلسلة الأيام والليالي
قيثار لحن خالد جوال
تظهر منه الذات للأجيال
في ثوبها المختلف الأجيال
في طبعها الملحن المثالي

لونان في خيط من الحرير
تستله الذات من الدهور
فترتدي أجنحة الصقور
لسبكه المستحسن المصفور

تَنْسُجُ ثَوْبَ الطَّايِعِ الْمَفْطُورِ
 مِنْ نَسِجِهِ قَوَادِمُ النُّسُورِ
 وَلِيدَةُ الْأَسْوَدِ وَالنَّمُورِ وَالرُّوحُ فِي الْبَاشِقِ وَالْعُصْفُورِ
 وَالْقَيْدُ لِلْأَسِيرِ وَالْمَأْسُورِ
 وَالنَّعْشُ لِلْمَهْزُومِ وَالْمَنْصُورِ!
 وَالْقَبْرِ لِلْقَاهِرِ وَالْمَقْهُورِ

سَلْسَلَةُ الدِّيَجُورِ وَالنَّهَارِ
 قَيْثَارَةٌ لِلْأَزَلِ الْقَصَّارِ
 لِلذَّاتِ فِيهَا فَنُّ مُوسِيقَارِ
 يَظْهَرُ بِالْعَزْفِ وَالْأُوتَارِ
 مَا فِي الْأُنْأَا مِنْ نَعَمِ الْأَقْدَارِ

بَلِيَتْ مِنْهَا بِالذِّي ابْتَلَانِي
 كَأَنَّهَا مَلَأَى مِنَ الْأَضْغَانِ
 تَطَرَّبُ لِلْأَثَاتِ وَالْأَشْجَانِ
 وَتَنْتَشِي لِلْمَدْمَعِ الْهَثَّانِ

وَتَأْخُذُ الْأَجْرَ مِنَ الشَّيْطَانِ

الدهرُ للأَكوانِ صيرفيُّ
 فإنَّ يَكُنْ ميزانُهُ الغبيُّ
 يَزَعُمُ أَنِّي تافهُ شقيُّ
 فالْمَوْتُ فينا أَجَلٌ مقضيُّ
 يُفْحى بِهِ المَذْكُورُ والمنسيُّ
 وَيَسْتَوِي الصُّعْلُوكُ والسَّريُّ
 ما وَقَّتْنا اليوميُّ والليليُّ
 إلا زَمَانٌ واحدٌ سَوِيُّ
 لا صُبْحُهُ صُبْحٌ ولا العشيُّ
 ولا اقْتِبَالٌ فيه أو مَضِيُّ
 وإنَّما مَنْظَرُهُ المَخْكِيُّ
 فنُّ مِنَ الأَوْهامِ عَبْقَرِيُّ

عَالَمُنَا لَيْسَ لَهُ خُلُودٌ
 وكلُّ ما يُبْنَى بِهِ يَبِيدُ

الأول المنصرم البعيد
والآخر المستقبل الوليد
الباطن المستفلق المروض
والظاهر المستبين المشهود
المنزل المستحدث الجديد
والأثري المغرق العتيذ
الكل فان عمره محدود

لكن بناء الرجل الإلهي
مخلد ليس له تناهي
في نقشه لون الخلود الزاهي
تمشي العصور وهو عنها ساهي
مدله في خمرة الإله
وواقف للحطيم الدواهي
لوقفه المنتصر التياه
كأنما شقته كف الله

إِنَّ فَتَى الْإِلَهِ مِنْ هِيَامِهِ
 يَسْتَوْقِدُ الشُّغْلَةَ فِي اعْتِزَامِهِ
 تَتَبَجَّسُ الْحَيَاءُ مِنْ إِلْهَامِهِ
 وَيُكْتَبُ الْخُلُودُ فِي نِظَامِهِ
 وَتَفْشَعِرُ الْأَرْضُ مِنْ إِقْدَامِهِ

إِنَّ الْهِيَامَ لِلْحَيَاةِ مِنْجَمُ
 الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ لَهُ مُحَرَّمُ
 فَإِنْ يَكُنْ هَذَا الزَّمَانُ الْمَقْدَمُ
 يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الْأَيُّ الْعَرِمُ
 فَالْعِشْقُ سَيْلٌ جَارِفٌ مَدْمِدِمٌ
 بِمَوْجِهِ كُلُّ أَيْيٍ يَزْدُمُ

لِلْعِشْقِ أَزْمَانٌ سِوَى الزَّمَانِ
 مَجْهُولَةٌ الْأَسْمَاءِ وَالْمَعَانِ

الْعِشْقُ رُوحُ جِبْرَائِيلِ الْمَوْفِدِ
 الْعِشْقُ قَلْبُ الْمُضْطَفَى مُحَمَّدِ

ما العِشْقُ إِلَّا كَلَامُ اللَّهِ تَسْمَهُ الدُّنْيَا
 فَيُشْعِلُهَا نَارًا وَيُذَكِّيْهَا
 بِنَشْوَةِ الْعِشْقِ يَبْدُو الْوَرْدُ مُبْتَسِمًا
 كَأَنَّمَا قَدْ سَقَاهُ الْخَمْرَ سَاقِيهَا
 الْعِشْقُ كَأْسُ كَرَامٍ مِنْ مَذَاقِهَا
 سَادُوا وَرَاحَ تَمَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِيهَا
 الْعِشْقُ عَلَامَةٌ فِي صَخْنِ مَسْجِدِهِ
 وَالْعِشْقُ لِلْجُنْدِ هَادِيهَا وَرَاعِيهَا
 الْعِشْقُ ابْنُ سَبِيلٍ ضَاقَ مَسْلُكُهُ
 لَهُ أَلُوفُ مَزَايَا لِيَحْسَ نَذْرِيهَا
 الْعِشْقُ يَهْدُمُ دُنْيَانَا وَيَبْنِيهَا
 الْعِشْقُ يُسْعِدُهَا، الْعِشْقُ يَشْقِيهَا
 لَوْلَاهُ مَا دَارَتْ الْأَفْلَاكُ دَوْرَتَهَا
 لَوْلَاهُ مَا عَاشَتْ الدُّنْيَا بِأَهْلِيهَا
 لَوْلَاهُ مَا سَكَنَتْ أَرْضٌ لِسَاكِنِيهَا
 لَوْلَاهُ مَا كَانَ مِنَّا كَائِنٌ فِيهَا

لولاهُ لانتَثَرَتْ أجزاءُ عالمِنَا
واندكُ شائِخُها وانماعُ راسيها
لولاهُ لَمْ تَحْمِلِ الذرَّاتُ شِخْتَهَا
من الجحيمِ دهورٌ لَيْسَ تُحْصِيها
ولا استقرَّتْ وفي أحشائها سَقَرٌ
ولا اطمأْنَتْ وفيها النارُ تَصْلِيها
ولا استراحتْ بِما تُخْفِي جوانِحُها
ولا استكأْنَتْ بِما تطوي نواحيها

إِنَّ هَذَا الْحَرَمَ	فِي رُبَا قَرْطَبَةَ
عِشْقُ أَهْلِ الْهِمَمِ	لِلْعُلَى أَنْجَبَةَ
جَابَ عَصَرَ الْقَدَمِ	وَالذُّنَا الْمُغْرِبَةَ
وَمَشَى فِي الظُّلَمِ	وَالدُّجَى الْمُزْعِبَةَ
لَمْ يُصِْبْهُ السَّامُ	فِي الَّذِي جَوَّبَةَ
وَلِهَذَا زَعَمُ	لِلَّذِي اسْتَجَوَّبَةَ
إِنَّهَا رَحْلَةٌ	لَمْ تَكُنْ مُثْعِبَةَ

الهوى	خالد	رأسه	والقدم
واقف لم يسز	خطوة أو قدم		
كل ما حوله	صاحب مختد		
ذهب آيب	في طريق العدم		
وهو في وضعه	ثابت لم يرم		
فوق عرش الخلود	ناعم يستج		
قاهر يختكم	في مصير الأمن		

يا بناء نما	في ثرى حبه
أنت حدثنا	عن فتى ربه
فيك نور جميل	من سنى لبه
فيه معنى جليل	من معان به
أفأنت ابنه	جاء من ضلبيه؟
أم حواريه	كان في سزبه؟
أم جريء له	قد من جنبه
أم أمانيه	فمن في قلبه

أُسُسٌ أَغْرَقَتْ فِي حَنَايَا الشُّهُولِ
 رَسَخَتْ كَالدَّلِيلِ فِي ثَنَايَا الْعُقُولِ
 وَسِوَارٌ بَلَا عَدِدٍ أَوْ مَثِيلِ
 فِي ظِلَامِ الْفَلَا كَجَمْعِ النُّخِيلِ
 أَشْرَقَتْ قَمْتُكَ لِسْنِي جِبْرِثِيلِ
 وَطَوَتْ قَبْتُكَ نَوْرَ أَرْضِ الرِّسُولِ
 فِيكَ سِرُّ الْكَلِيمِ فِيكَ مَعْنَى الْخَلِيلِ

الْفَتَى الْمَسْلُومُ شَأْنُهُ لَا يَزُولُ
 فِي نِدَاءَاتِهِ صَوْتُ قَلْبِ الْخَلِيلِ
 مَا لِأُوطَانِهِ مِنْ حُدُودٍ تَحُولُ
 كُلُّ أَرْضٍ لَسَهُ سَهْلُهَا وَالتَّلُوعُ
 وَالْمَدَى مُلْكُهُ يَدْنِي أَوْ يَطُولُ
 لَيْسَ فِي دِينِهِ مَا زَبُّ مُسْتَحِيلِ
 كُلُّ شَيْءٍ لَهُ مُسْتَكِينٌ ذَلِيلُ

ونداءاته

دهره

عَجَبُ

كُلُّ عَهْدٍ قَدِيمٌ طَالَ إِخْبَاتُهُ
فَانْبَرَتْ لِلرَّحِيلِ مِنْهُ أَمْوَاتُهُ
وَجَرَتْ كَالْأَعَاصِيرِ هَبَّاتُهُ
وَفَتَى اللَّهُ لَا تَمَّحِي ذَاتُهُ
خَالِدٌ رَوْحُهُ وَكَرَامَاتُهُ

هُوَ سَاقٍ لِأَرْوَاحٍ أَهْلٍ الْأَدَبِ
فَارِسٌ فِي الْهَوَى إِنْ صَبَا أَوْ أَحَبَ
رَوْحُهُ مِنْ رَحِيقِ السَّمَاءِ انْسَكَبَ
أَضْلُهُ مِنْ أَصُولِ الْقَنَا وَالْقُضْبِ
كَمْ لَهُ فِي الْعُلَى مِنْ حَدِيثٍ عَجَبَ
هُوَ جَوْهَرُ أَكْوَانِهِ الْمُتَخَبِّ هُوَ كُلُّ الْمُنَى هُوَ كُلُّ الْأَرْبِ

هُوَ جَنْدِيٌّ بَطَلٌ بَطْشُهُ بَطْشُ إِلَهٍ
دَزَعُهُ إِذْ حَمَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
تَخَتَ ظِلَّ سَيْفِهِ مُسْتَهِينٌ بِالْحَيَاةِ
جِرْزُهُ مِنْ خَشْفِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فِيكَ سِرُّ الْفَتَى الْمُؤْمِنِ الْخَالِدِ
 حَرُّ أَشْوَاقِهِ فِي الدُّجَى الْبَارِدِ
 وَلَظَى قَلْبِهِ فِي الضُّحَى الْهَامِدِ
 وَذُرَى شَأْوِهِ الشَّامِخِ الصَّاعِدِ

وَانْتِهَاجُهُ الْعَذْبَةُ الْبَاسِمَةُ
 وَخِيَالُهُ الْفَخْخَمَةُ الْعَارِمَةُ
 وَأَمَانِيَّتُهُ الْحَلْوَةُ الْحَالِمَةُ
 وَإِطَاعَتُهُ الْحَرَّةُ الْحَازِمَةُ

كَفُّهُ هِيَ كَفُّ الْإِلَهِ الصَّنَاعِ
 غَالِبٌ بِأَسْأُهُ كَالْهَزْبِ الشَّجَاعِ
 فِي ظِلَامِ الثَّرَى مِنْ ضِيَاءِ الشُّعَاعِ
 هُوَ عَبْدٌ لَهُ مِنْ إِلِهِ طِبَاعِ
 وَهُوَ عَنْ كَوْنِهِ فِي غِنَى وَاقْتِنَاعِ
 حَاجَةٌ سَهْلَةٌ عَقَّةٌ وَالْمَتَاعِ

وَأَمَانِيَّهٗ فَوْقَ أَنْ يُسْتَطَاعَ

فَاتِنٌ قَوْلُهُ سَاحِرٌ طَرْفُهُ
 مُسْعِرٌ بَحْثُهُ رَائِعٌ ظَرْفُهُ
 فِي الشَّقَا وَالنَّعِيمِ شَامِخٌ أَنْفُهُ
 طَاهِرٌ قَلْبُهُ طَاهِرٌ كَفُّهُ
 الْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَاتِ سُرُّ خَلْقِ الْكَائِنَاتِ
 وَسِوَاهَا تَرْهَاتِ بَاطِلَاتِ تَافِهَاتِ

لِلنَّهْيِ فِي رَجُلٍ اللَّهُ عَرْشٌ لَا يُضَامُ
 كَمَلَاكِ يَغْبُدُ اللَّهُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ
 هُوَ مُحْصُولُ قَوَى الْعِشْقِ إِنْتَاجُ الْغَرَامِ
 وَهُوَ نَارٌ تُوجَدُ الدَّفَاءُ فِي كُلِّ مَقَامِ

يَا بِنَاءَ سَادَةِ الْبَاسِ وَالْعَزْمِ الصُّومِ
 أَنْتَ كَالْكَغْبَةِ لِلْفَنِّ وَالذِّينِ الْقَوِيمِ
 ثَرِيَّةُ الْأَسْبَانِ مِنْكَ ازْدَهَتْ زَهْوُ النُّجُومِ

كَسَبَتْ مَنْزِلَةَ الْحَرَمِ الزَّاكِي الْعَظِيمِ
 إِنْ يَكُنْ مِثْلَكَ تَحْتَ سَمَاءٍ أَوْ نَجُومٍ
 فَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْبَاسِلِ الْحَرِّ الْكَرِيمِ

أَيْنَ فُرْسَانُ الْعَرَبِ
 أَيْنَ أَبْطَالُ الْغَلَبِ
 أَيْنَ أَزْيَابُ الْحَجَى
 أَيْنَ أَصْحَابُ الْأَدَبِ
 أَيْنَ أَهْلُ الْخُلُقِ الْفَذِّ وَالشَّأْنِ الْعَجَبِ
 أَيْنَ أُولَى ذَلِكَ الْمَخْدِ أَمْ أَيْنَ ذَهَبِ

بِهِمْ قَدْ شَاعَ فِي عَصْرِهِمْ رَمَزٌ غَرِيبٌ
 فِي ظِلَالِ الْفَقْرِ وَالْحُبِّ سُلْطَانُ الْقُلُوبِ
 لَيْسَ فِي مُلْكٍ وَلَا فِي بَطُونٍ وَجُيُوبِ
 كَانَ فِي فِطْرَتِهِمْ أَلْفُ دُرٍّ لِلشُّعُوبِ
 رَبِّي الشَّرْقُ بِهَا فَتَصَدَّى لِلْخُطُوبِ

وَأَنْبَرَى كَالصَّفْرِ فِيهَا كُلُّ غَزْوٍ وَوُثُوبٍ
 لَيْسَ يَذَرِي مَا شَرُوقٌ بِأَرْضٍ أَوْ غُرُوبٍ
 كُلُّ دُنْيَاهُ لَيْسَ لَهُ عَنْهَا هَرُوبٍ
 كُلُّ مَنْ فِيهَا أَخٌ أَوْ حَبِيبٌ أَوْ قَرِيبٌ
 أَوْ شَرِيكٌ فِي الْعُلَى أَوْ زَمِيلٌ فِي الْحُرُوبِ
 أَوْ عَدُوٌّ خَاضِعٌ مُسْتَكِينٌ مُسْتَجِيبٌ
 عَالَمٌ مَا فِيهِ غَزَى وَلَا فِيهِ صَلِيبٌ
 فِيهِ رَبٌّ وَاحِدٌ وَغَرَامٌ وَقُلُوبٌ

عَلِّمُوا الْغَرْبَ الْعَتِيقَ
 كَيْفَ يَضْحُو وَيُفِيقُ
 وَنُهَاهُمْ كَانَتْ النُّورَ فِي كُلِّ طَرِيقُ
 فَلَدَى الْأَسْبَابِ مِنْ دِمِهِمْ طَنَعٌ عَرِيقُ
 تَرَكُوا أَتَدُلُّسًا مِنْهُ ذَا رُوحٍ عَمِيقُ
 فَلَنَا فِيهِ إِخَاءٌ وَقُرْبَى وَحُقُوقُ
 وَبَقِيَا خَالِدَاتٍ وَأَضَلُّ وَغُرُوقُ

إِنَّ فِي الْأَنْدَلُسِي مَزَاجَ الْمُسْلِمِينَ
لَمْ يَحُولُهُ الْبِلَى لَمْ تُغَيِّرْهُ السَّنُونُ
طَيِّبَ الْقَلْبِ لَهُ مَغْشَرٌ حَيٌّ حَنُونٌ
سَاجِدُ الطَّبَعِ مِنَ النُّبْلِ وَضَاءُ الْجَبِينِ

إِنَّ أَنْسَامَ الْيَمَنِ لَمْ تَزَلْ فِي جَوْهٍ
وَصْدَى أَرْضِ الْحَرَمِ وَاضِحٌ فِي شَدْوِهِ
كَانَ طِفْلاً عَلَّمُوهُ الْعُلَى فِي لَهْوِهِ
ذَاقَ مِنْهُمْ جُرْعَةً فَمَضَى لَشَاؤِهِ
هَائِماً فِي مَجْدِهِ ثِمَلاً مِنْ زَهْوِهِ
نَاطِراً إِلَى السَّمَاءِ فِي شُهُورِ حَبْوِهِ

أَرْضُكَ الْغُرَاءُ فِي نَظَرِ النَّجْمِ سَمَا
شَدَّ مَا يَوْحِشُنِي

أَنْ أَرَى مَا قَدْ جَرَى
مِنْ قُرُونٍ آهٍ لَمْ نَسْمَعْ أَذَاناً أَوْ نِدَاً
انْخَسِفْ يَا أَيُّهَا التُّرْبُ وَاسْعُدْ يَا فُضَاً

أَيُّهَا النَّهْرُ الْكَبِيرُ لَا عَدَّتْكَ الْكِبَرِيَا
 هَلْ يَرَى النَّاسُ بِشَطَّنِكَ رُؤْيَا مَا مَضَى

عَالَمُ الْعَصْرِ وَمَا يَخْتَوِيهِ مِنْ هَرَا
 لَمْ يَزَلْ مُخْتَجِباً تَحْتَ أَسْتَارِ الْقَضَا
 نَظَرْتِي قَدْ كَشَفَتْ عَنْ خَفَايَاهَا الْغَطَا
 إِنِّي لَوْ أَرْفَعُ السُّتْرَ عَنْ وَجْهِ النُّهَى
 لَنْ يَطِيقُوا مَا بِأَنْغَامِ شِغْرِي مِنْ لَظَى
 إِنَّمَا الْعَيْشُ إِنْقِلَابٌ وَبَأْسٌ وَفِدَا
 وَحَبَانَا مَا بِهَا ثَوْرَةٌ عَيْنُ الرَّدَى
 كُلُّ نَقْشٍ مَا بِهِ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ طِلَا
 نَاقِصٌ مَا فِيهِ رَوْحٌ وَلَا فِيهِ رُؤَى
 ذَاهِبٌ مُنْقَرِضٌ ضَائِعٌ مِثْلُ الْهَبَا
 كُلُّ لَخْنٍ لَمْ تُمَارِجْهُ أَنْغَامُ الدِّمَا

عتاب إلى الرب

إِنَّ دُنْيَاكَ عَالَمُ الطَّيْرِ وَالْحَوَى
 وَدُنْيَايَ آهَةٌ وَرَزَايَا
 أَنَا مُسْتَعْبِدٌ سَجِينٌ بِدُنْيَاكَ
 وَأَنْتَ الْإِلَهُ فِي دُنْيَانَا

أَفْهَذَا الْإِنْسَانُ سُلْطَانُ هَذَا الْكَوْنِ أَمْ خَلَقْتَ مِنْهُ شَيْئاً فَرِيئاً
 سَوْفَ أَزْوِي إِلَيْكَ أُخْذُوثةَ الْأَعْمَى الِى لَمْ يَزْبَحْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئاً
 لَا يَرَى نَفْسَهُ وَلَا يُنْصِرُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرِفُ الْإِلَهَ الْعَلِيَّ
 أَفْهَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِكَفِّكَ وَأَبْدَعْتَ مِنْهُ خَلْقاً سَوِيّاً؟

السهم الحائر

إِنَّ أَمِيرَ الْجُنْدِ عَيَّ لَا يَسُوسُ عَسْكَرَهُ
 وَوَضَعْنَا مِثْحَرِفٌ، وَجُنْدُنَا مُبَغْثَرَهُ
 فَبِئْسَ سَهْمٌ حَائِرٌ، فِي يَدِكَ الْمُحَيَّرَهُ
 وَبِئْسَ رَامٍ لَيْسَ يَدْرِي أَيْنَ يَزْمِي مِسْعَرَهُ
 لَمْ أَلْقَ فِي بَحْرِكَ مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ جَوْهَرَهُ
 قَدْ مَخَضْتُ كُلَّ مَا
 أَبْدَى لَنَا وَأَضْمَرَهُ
 مِنْ صَدَفٍ غَافٍ بِهِ
 وَمَوْجَةٍ مُزْمَجِرَهُ
 فَفُضْ بِأَعْمَاقِكَ كِي
 تَرَى بِهَا مَا لَمْ تَرَ
 فَأَنْتَ كُلُّ السِّرِّ فِي
 هَذَا حَيَاةِ الْمَقْفِرَهُ
 وَاتْرُكْ هَوَى الْأَصْنَامِ فَهِيَ الْخِدْعَةُ الْمُزَوَّرَهُ

وَلَا تَضَعْ دَمَ الْفُؤَادِ فِي طَقُوسِ الْأَذِيرَةِ
 الْعِشْقُ مَوْتُ يُبْتَغَى فِي شَرَفٍ وَمَفْخَرَةٍ
 وَالْمَوْتُ عَيْشٌ أَنْفُسَ ذَلِيلَةٍ مُخْتَفَرَةٍ

عَلَّمَنِي الرَّومِيُّ مِنْ
 حِكْمَتِهِ الْمُدْخَرَةِ

بَأَنَّ أَلْفَ فِيلَسُوفٍ هَامُهُمْ مِنْكَسِرَةٌ
 مِنْكَوسَةٌ عَلَى الْجِيُوبِ مِنْ حَذَارٍ وَشَرَةٍ
 لَوْ وَزَنُوا لَمْ يَغْدِلُوا قَلْبَ كَلِيمٍ قَسُورَةٍ
 طَلَعَتْهُ لَامِعَةٌ مِثْلُ النُّجُومِ النَّيِّرَةِ
 وَاقِدَةٌ مِنَ الذُّكَا كَالشُّغْلَةِ الْمُسْتَعِيرَةِ
 هَامَتْهُ شَامِخَةٌ وَطَلَعَتْهُ مُحَرَّرَةٌ
 مَوْضُوعَةٌ فِي يَدِهِ لِلضَّرْبَةِ الْمُنتَظَرَةِ
 مَا إِنَّ يُبَالِي لَوْ رَمَاهَا فِي الْوَعْيِ مِنَ الْكُرَةِ

لَوْحَ حُزْنٍ إِيْمَانَ الْكَلِيمِ بِالْخَطُوبِ الْمُنْذِرَةِ
 إِذَا سَمِعْتَ لَا تَخَفْ مُعَادَةً مُكَرَّرَةٍ

فذاك صوتٌ أزلِّي خالِدٌ في الشَّجَرَةِ

لَمْ تَنْبَهْزِ عَيْنَايَ بِالْحَضَارَةِ الْمُزْدَهَرَةِ
إِنِّي اكْتَحَلْتُ مِنْ ثَرَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
وَعَبَّ جِفْنِي مِنْ ثَرَابِ النَّجَفِ الْمُطَهَّرَةِ

إلى الشباب المسلم

أثأثكَ مِن (أوربا) مُسْتَجَاءٍ
 وَفَرَشَكَ فَارِسِيَّ عَبْقَرِيَّ
 وَمِمَّنْ قَدْ بَكَيْتَ دَمًا عَلَيْهِ
 شَبَابٌ مُثَرَفٌ لِاهٍ غَوِيَّ
 لِمَاذَا تَبْتَغِي مُلْكًا، وَمَجْدًا
 وَمَاذَا يَرْبُحُ الْغِرُّ الْعَبِيَّ
 فَلَمْ تَكُ مِثْلَ سَلْمَانَ عَزُوفًا
 وَلَمْ يَكُ فَيْكَ عَزْمٌ حَيْدَرِيَّ
 دَعِ الْمَجْدَ الْمَصْدَرِ مِن (أوربا)
 إِلَيْكَ فَإِنَّهُ مُجْدٌ دَعِيَّ
 عَزُوفُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ رُقِيَّ
 رَفِيعٌ لَا يُطَاوِلُهُ رُقِيَّ

إِذَا مَا اسْتَيْقَظْتَ رَوْحَ الصُّقُورِ
 وَهَبْتُ فِي الْجَوَانِحِ وَالصُّدُورِ
 رَأَى الشُّبَّانُ فِي الْأَفْلَاحِ مَثْوَى
 عَزَائِمِهِمْ وَفِي الْأَفْقِ الْمُنِيرِ
 أَلَا لَا تَأْوِينَ إِلَى قَبَابِ الْمُلُوكِ وَلَا تُرْذِ عَيْشَ الْقُصُورِ
 وَأَنْتَ الصَّفَرُ، فَابْنِ الْوَكْرِ وَاسْكُنْ
 عَلَى قِمَمِ الشَّوَاهِقِ وَالصُّخُورِ

أشعار مترجمة عن الشاعر (حالي)

سداسيات الشاعر حالي

أتى سائلٌ بِقِراطٍ يحذرُ خطبَهُ
 وَيَسْأَلُهُ فتوى تُعالِجُ كَرْبَهُ
 ألا أيُّ داءٍ في البرِّيَّةِ مُهِلِكَ
 إذا مسَّ إنساناً قضى منه نَحْبَهُ
 فقالَ لَهُ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مرَّةً
 لنا مَرَضاً إلا وَيُخْلُقُ طِبَّهُ
 ولكنَّ داءَ هَيْناً لا نَخافُهُ
 هو الداءُ يَسْتَشْري وَيَقْتُلُ رَبَّهُ
 وأَخطَرُ أمراضٍ علينا مَغَبَّةٌ
 هُوَ المرضُ السَّهْلُ الذي لَنْ نُطَبِّهَ
 نرى أمرَهُ هوناً ونَتْرُكُ سُمَّهُ
 بِأَعْمَاقِنَا يَسْري وَيُغْلِنُ حَزْبَهُ
 وَنَعْتَدُ أقوالَ الطَّبيبِ بِشأنِهِ
 خُرافَةً شيخٍ أَضْبَحَ الهَجْرُ دَأْبَهُ

إِذَا هُوَ بِالتَّشْخِصِ أَغْلَنَ رَأْيُهُ
 زَعَمْنَاهُ بِالتَّشْخِصِ يُغْلِنُ عَيْهُ
 وَسُقْنَا إِلَى آرَائِهِ أَلْفَ عِلَّةٍ
 وَأَلْفَ طَبِيبٍ كَنَى نُعَالِجُ غِيَّهُ
 وَثَرْنَا عَلَيْهِ هَازِئِينَ نُذِيقُهُ
 الْهَوَانَ وَنَسْقِيهِ مِنَ الصَّعَابِ رِيَّهُ
 وَنَسْلُقُهُ سَلَقًا بِأَلْسِنَةِ لَنَا
 حَدَادٍ تَعْرِيه وَتَكْسُوهُ خِزْيُهُ
 كَأَنَّ بِهِ مَسَّ الْجَنُونِ، كَأَنَّا
 حَوَالِيهِ أَطْفَالَ نُحَاوِلُ كَيْهُهُ
 نُحَازِرُ أَسْبَابَ الشُّفَاءِ وَإِنْ يَكُنْ
 نُطَاسِيَّهُ الْآسِي لَنَا أَوْ نَبِيَّهُ

كَذَاكَ يَمُدُّ الدَّاءَ فِي الرُّوحِ مَدَّهُ
 وَيَبْلُغُ بِالتَّدرِجِ فِينَا أَشَدَّهُ
 وَيَتَزَعُّ عَنَّا الْأَثْسُ بِالطَّبِّ وَالِدَوَاءِ
 إِلَى أَنْ نَذُوقَ الْيَأْسَ وَالْمَوْتَ بَعْدَهُ

وَفِكْرُهُ أَنْ نَلْقَى الطَّبِيبَ بِدَائِنَا
 وَلَوْ كَانَ سِرًّا الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ عِنْدَهُ
 كَذَلِكَ حَالُ الشَّعْبِ يَوْمَ بَغْوَلُهُ
 الْغَوَائِلُ فِي الدُّنْيَا وَيَفْقَدُ رُشْدَهُ
 وَتَبْدُو لَعَيْنَيْهِ الشَّمْسُ غَيَاهِبًا
 وَيُضْبِحُ هَذَا الْعَالَمُ الرَّحْبُ لَحْدَهُ
 يَلْحُ عَلَيْهِ الرُّغْبُ حَتَّى يَذْلَهُ
 وَيَطْغَى عَلَيْهِ الْيَأْسُ حَتَّى يَهْدَهُ
 وَيَخْسَبُهُ مِنْ عَجْزِهِ وَضَلَالِهِ
 يَعِيشُ بِهَذَا الْكُونِ حَيْرَانًا وَخَدَهُ
 يُوَلُّهُ مَنْ يَقْوَى عَلَيْهِ فَلَوْ مَشَى
 عَلَى رَأْسِهِ كَلْبٌ لَهُ صَارَ عَبْدَهُ

أَحَاطَتْ بِهِ دَوَامَةٌ فَعَزَتْ لَهُ
 فَمَا مِثْلَ شِدْقِ الْوَحْشِ يَبْدَأُ أَكْلَهُ
 عَلَى مَرْكَبٍ تُرْغِي الْمَنَايَا حِيَالَهُ
 بِأَمْوَاجِهَا الْعُضْبَى وَتَزَارُ حَوْلَهُ

تَجْرَعُهُ مِنْ هَوْلِنَا الْجَرَعَ الَّتِي
تُوودُ جَنَاحِيهِ وَتُبْهِطُ خَمْلَهُ
لَقَدْ سَاءَ حَظُّ الْفُلْكِ فَالْمَوْجِ هَائِجِ
عَلَى رَأْسِهِ وَالْمَوْتُ يَنْشُرُ ظِلَّهُ
وَأَتَى لَهُ شَطُّ النَّجَاةِ وَإِنَّمَا
يَرَى قَبْرَهُ الْخَالِي وَيَزُقُّ وَخْلَهُ
تَرْنَحُ مِنْ دُغْرِ وَضَجَّتْ بِأَهْلِهِ
جَوَانِبُهُ الْعَرْقَى لَتَوْقِظَ أَهْلَهُ

وَلِكِنَّهُمْ رَكِبَ نَوْومٌ تَهْزُهُ
الْمَنَايَا وَلَا يَرْضَى لَهَا أَنْ تَهْزُهُ
سَحَابُ الرَّدَى مِنْ فَوْقِهِ مُتَلَبِّدٌ
عَلَى رَأْسِهِ وَالشُّومُ يَبْعَثُ رَمْزَهُ
أَحَاطَ بِهِ الْأَذْبَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَهَمَّتْ بِهِ أَشْرَاطُهُ أَنْ تَوْرَهُ
وَأَقْبَلَ صَوْتُ الْحَقِّ يَسْأَلُ نَوْمَهُ
الشَّقِيَّ وَيَسْتَفْتِي وَيَغْمُرُ غَمْرَهُ

أَهْلَ أَنْتُمْ مَنْ كُنْتُمْ الْأَمْسَ فِي الْوَرَى
 وَهَلْ أَنْتُمْ مَنْ ضَيَّعَ الْيَوْمَ عَزَّهْ؟
 أَلْيَقُظْتُمْ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَنِمْتُمْو
 وَرِثًا كَمَنْ يَغْفُو لِيَسْتُرَ عَجْزَهُ
 لَقَدْ كُنْتُمْو لِلْكَوْنِ كَنْزًا مِنَ الْمُنَى
 فَحِينَ أُضِعْتُمْ ضَيَّعَ الْكَوْنُ كَنْزَهُ

هُوَ الشَّعْبُ لَا إِلَهَ لَيْسَ يَتْرَكَ لَهُوَهُ
 قَنَاعَتُهُ بِالْدُونِ تُنْسِيهِ شَأْوَهُ
 كَفَى أَنَّهُ مَا زَالَ يَخْلُمُ جِلْمَهُ
 وَيَشْدُو بِأَنْعَامِ السِّيَادَةِ شَدْوَهُ
 تَمَرَّغَ فِي الْأَوْحَالِ عَجْزًا وَذَلَّةً
 وَمَا زَالَ غِرًّا لَا يُفَارِقُ زَهْوَهُ
 تَجَلَّى عَلَيْهِ الصُّبْحُ لَكِنَّ ظُلْمَةَ السُّبَاتِ
 عَلَيْهِ لَا تُغَادِرُ جَوَّهُ
 قَنُوعٌ فَلَا تَأْسَى عَلَى الذُّلِّ نَفْسُهُ
 صَبُورٌ فَلَا يَشْجَى مِنَ الْخُسْفِ شَجْوَهُ

فَمَا شَالَ رِجْلًا كَنِي يُمَارِسَ خَطْوَهُ
 وَلَا هَزَّ جَفْنًا كَنِي يُجْرِبُ صَحْوَهُ
 يُعَذِّبُهُ الْبَاغِي وَيَقْضُمُ ظَهْرَهُ
 فَيَخْبِوهُ دُنْيَاهُ وَيُغْطِيهِ عَفْوُهُ
 تَطَوَّرَتِ الدُّنْيَا وَطَارَتْ بِأَهْلِهَا
 وَمَا زَالَ يُحِبُّ أَوْ يُمَجِّدُ حَبْوَهُ

يَقْدُمُ لِلْسَّكِينِ كَالْكَبْشِ نَحْرَهُ
 وَيَضْبُرُ لِلتَّقْطِيعِ وَالسَّلَاحِ صَبْرَهُ
 وَيَخِيَا كَمَا تَخِيَا الْبَهَائِمُ عَمْرَهُ
 وَيَحْمَدُ دُنْيَاهُ وَيَشْكُرُ دَهْرَهُ
 وَيُغْضِي إِذَا مَا اسْتَعْبَدَ الْبَغْيَ قَطْرَهُ
 وَلَوْ سَاقَ خَسْفًا وَالْهَبَ ظَهْرَهُ
 فَكُلُّ هَوَانٍ لَيْسَ يُوقِدُ جَمْرَهُ
 وَكُلُّ فَخَارٍ لَيْسَ يَوْقِظُ كِبْرَهُ
 وَمَا طَلَبُ الْجَنَاتِ يَشْرَحُ صَدْرَهُ
 وَلَا حَذَرُ النِّيرَانِ يُجْلِبُ دُغْرَهُ

أَسَاءَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْ حَمَلَ اسْمَهُ
 وَعَطَّلَ مَعْنَاهُ وَأَبْطَلَ فَهْمَهُ
 وَشَوَّهَ مِنْهُ وَهُوَ يُغْلِنُ وَدَّهُ
 عَالَمَ يُشَوِّهِ مِنْهُ لَوْ كَانَ خَصْمَهُ
 تَظَاهَرَ فِي أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ
 بَدَأَ عَارِيًّا مَا كَانَ يَأْتُمُ إِثْمَهُ
 فَمَا تَرَكَ الْأَثْوَابَ بِيضًا وَلَا خَفَى
 مَعَايِبَهُ السَّوْأَى وَلَا زَانَ جِسْمَهُ
 يُحَاوِلُ تَضْلِيلًا فَيَفْضَحُ نَفْسَهُ
 وَيَنْسُجُ أَثْوَابًا فَيَكْشِفُ جُرْمَهُ
 يُرَائِي نِفَاقًا وَهُوَ يَدْرِي بِأَنَّهُ
 كَذُوبٌ وَأَنَّ النَّاسَ تَضْمِرَ شَتْمَهُ
 فَيَا لَيْتَ شِغْرِي مَنْ يُغَالِطُ فِي الْوَرَى
 وَمَنْ ذَا يُرَاعِي حِينَ يَزْعُمُ رَغْمَهُ

وَمِنْ عَجَبِ كَيْفِ اسْتَطَاعَ إِسَاءَةً
 إِلَى سُمْعَةِ الْإِسْلَامِ وَاجْتَثَ فَضْلَهُ

وشكَّكَ فِيهِ النَّاسَ إِذْ كَانَ ظِلُّهُ
 عَلَى زَعْمِهِمْ وَالظِّلُّ يُشْبِهُ أَضْلَهُ
 معَاذَكَ يَا رَبَّاهُ فَالْبَوْنُ شَاسِعُ
 وَدَيْنُكَ مَا فِي الْأَرْضِ أَمْثَلُهُ لَهُ
 لَوْ انْتَسَبَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِهَدْيِهَا
 إِلَى هَدْيِهِ الْقَدْسِيِّ لَمْ تَكُ مِثْلَهُ
 وَلَا أَحْسَنَتْ فِي أَنْ تُسَدَّ مَسَدَهُ
 وَلَا نَجَحَتْ فِي أَنْ تُحْلَلَ حَلُّهُ
 وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ تَكُونَ سُلَالَةً
 لِتَارِيخِهِ أَوْ أَنْ تُمَثَّلَ أَهْلُهُ
 سَنَى الشَّمْسِ بَيْنِي الْأَرْضَ بِالنُّورِ وَحَدَّهَا
 وَرُوحُ الْهَدْيِ يَسْتَهْدِفُ الْكُونَ كُلَّهُ
 ذُكَاءٌ تُرَبِّي الشَّرَّ وَالْخَيْرَ فِي الْوَرَى
 وَدَيْنُ السَّمَاءِ يَصْنَعُ الْخَيْرَ وَمَدَّهُ
 بِهِ صَارَتْ الْأَعْدَاءُ مِنْ قَبْلِي أُخْوَةً
 تَهَيَّمُ بِعَلَيَاهُ وَتَغْشَقُ مَجْدَهُ

وَتَحْيَا نَشَاوِي فِي فَرَادِيسِ حُبِّهَا
 تَعْلُ حَيَّاهُ وَتَنْهَلُ شَهْدَهُ
 تَسُودُ بِهِ فَوْقَ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا
 وَتَنْشُرُ رِيَّاهُ وَتَكْتُبُ عَهْدَهُ
 تَطُولُ عُمرُ الشَّعْبِ حَتَّى كَأَنَّمَا
 تَذُودُ مُنَايَاهُ وَتُغْلِقُ لَحْدَهُ
 غَذَّتْ رَوْحُهُ سِحْرًا فَعَادَرَ مَهْدَهُ
 بِسَاعَاتِهِ الْأُولَى وَأَذْرَكَ رُشْدَهُ
 أَحَالَتْ تُرَابَ الْأَرْضِ تَبْرًا وَصَيَّرَتْ
 بِهِ كُلَّ قَرْدٍ عَنْهُ يُضْمَرُ زُهْدَهُ

وَبِالْوَحْيِ لَاقَى الْوَحْشُ بِالْغَابِ عَقْلَهُ
 وَأَضَحَّتْ سِبَاعُ الدَّهْرِ تَرْحَمُ أَهْلَهُ
 وَصَارَتْ رُعَاةُ الضَّائِنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
 مَلُوكًا شَرْقِيَّةً وَتَنْشُرُ عَذْلَهُ
 وَأَضْبَحَتْ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَ مَجْمَعُ
 السَّوَاوِيحِ فِيهَا تَعْدِلُ الْكَوْنَ كُلَّهُ

وصَارَ ثَرَاهَا الْمَاحِلُ الْقَفْرُ نَاسِجًا
 غَمَامًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ يَبْعَثُ وَبَلَهُ
 وَصَحَّحَتْ مُوَاعِيدُ السَّرَابِ فَسَاقَهَا
 غِيوَنًا عَلَى الصَّحْرَا تَرَوِّي مَطْلَهُ
 وَفَاضَتْ بِهِ رَمْضَاوُهَا وَتَفَجَّرَتْ
 عِيونًا بِقَاعِ الرَّمْلِ تَكْشِفُ مَحْلَهُ
 حَبَانٌ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ خَلَدَ إِلَهُ
 بِهَا فِي أَكْرَمِ الْأَرْضِ ظِلُّهُ

الفهرس

الصفحة	القصيدة
٥	تقديم
٣٧	ثورة الشعر
٣٨	قصتي مع الشعر
٤٣	مصدر اليقين في الثورة
٥٥	دور الشعر في خلق اليقين الثوري
٥٧	صوّر من المحاولة
٦٣	نهاية التجربة
٦٥	هل من مزيد؟
٦٦	كفر وإيمان
٧٥	بواذر ثورة
٧٦	لا تحرقونا بناركم
٧٨	نكسة الثورة اليمنية
٨٠	شعب متربص
٨٢	الأمن الزائف
٩٠	هل يخاف الشعب من نفسه؟!
٩٢	خطبة الموت
١٠٦	مغفرة الشعب

القصيدة	الصفحة
إلى الغاضيين علينا	١١١
مثاب وعتاب	١١٧
نحية الخروج من العزلة	١٢٩
من أحرار اليمن إلى أحرار العراق	١٤٤
حنين الطائر	١٥٧
إلى الأحبة	١٦١
صخرة	١٦٣
إلى وطني	١٦٥

صلاة في الجحيم الديوان الثاني

إلى وطني	١٦٨
إعلان مروع	١٧٠
لحظات الإشراق الفني	١٧١
مولد الرسول الأعظم ﷺ	١٧٧
حرء	١٨٠
إشراق النبوة	١٨٢
صوت الله	١٨٤

القصيدة	الصفحة
القسم الأول	١٨٦.....
في سبيل فلسطين	١٨٧.....
تحية إلى السيد رضا الشبيبي	١٩٣.....
جماعة الطلبة العرب	١٩٧.....
أين الغد؟	٢٠٥.....
طاقة تياهة	٢٠٧.....
في عنقوان النشوة الفتية	٢٠٨.....
إبر النحل	٢٠٩.....
نبات خائن	٢١٠.....
مصرع الضمير	٢١١.....
إلى الشهيد الموشكي	٢١٤.....
الخروج من اليمن... السجن الكبير	٢٢٠.....
صرخة إلى النائمين	٢٢٥.....
إلى علي محمد لقمان	٢٣٦.....
رثاء القاضي العلامة يحيى بن محمد الأرياني	٢٤٣.....
الحنين إلى الوطن	٢٥٣.....
طليلة الشهداء	٢٥٨.....
قيد جماعي	٢٦٧.....
رثاء السيد عباس بن علي	٢٧٢.....

القصيدة	الصفحة
بمناسبة العيد الأول لقيام باكستان	٢٧٦
في استقبال الدكتور عبد الوهاب عزام	٢٨١
ميلاد القائد الأعظم الباكستاني محمد علي جناح	٢٨٩
صبيحة البعث	٢٩٦
رثاء شعب	٢٩٩
الجامعة العربية	٣١١
إفتتاح دار الجمعية اليمنية الكبرى	٣١٥
يا بحر	٣٢١
في حفلة العلم	٣٢٢
شكوى	٣٢٤
حرب الطفيان الهتلري	٣٢٥
عيادة مريض	٣٢٨
وداع طبيب دانمركي لإنسان	٣٢٩
دعني	٣٣١
استقلال الهند وباكستان	٣٣٢
محمد سيد الأنبياء	٣٣٤
في محراب الإمام يحيى	٣٤٠
يوم الجلاء	٣٤١
صفقة الأسلحة	٣٤٨

القصيدة	الصفحة
العجوز وعسكري الإمام	٣٥٨
غربة	٣٦١
البلبل	٣٦٢
ديوان نقطة في الظلام : قصائد لم تُنشر من قبل	٣٦٦
إهداء	٣٦٧
مقدمة ودراسة	٣٦٩
آخر العناقيد الشعرية	٣٩٤
نقد الزبيري ولغة ترجمة الشعر	٤٠٩
إنذار	٤٢٢
أنا آه	٤٢٥
أقدار النكبة	٤٢٦
أشجاني وآلامي	٤٣٠
ضجران	٤٣٢
نقطة في الظلام	٤٣٥
عدوان وانسحاب	٤٣٩
ملحمة بور سعيد	٤٤٧
العشق وراء الأفئدة	٤٧١
دعوة إقبال	٤٧٢
غزو الأعماق	٤٧٣

القصيدة	الصفحة
فلسطين	٤٧٤
عبقريّ الطب	٤٧٩
ميلاد جناح ، والقضية الباكستانية	٤٨١
إلى شيخ الإسلام	٤٨٧
بيغاء بهاولبور	٤٩٧
قوة الإيمان	٤٩٨
المؤتمر الإسلامي في حفل إفتتاحه بباكستان	٤٩٩
كفاح	٥٠٥
تحية لصوت عمان المكافحة وشعب عمان الباسل المناضل	٥٠٨
المغامرة هي الحياة	٥٠٩
الغازية	٥١٠
الطغيان الحلال	٥١١
طلب الغفران	٥١٢
أشعار مترجمة عن محمد إقبال	٥١٣
العشق وراء الأفتنة	٥١٤
أمنية إقبال	٥١٥
غزو الأعماق	٥١٦
الفجر الثاني	٥١٧
إمتداد الشعب العربي	٥١٨

القصيدة	الصفحة
دعاء	٥١٩
الطائر اللاهوتي	٥٢٠
شخاذ	٥٢٢
بيت منفرد	٥٢٣
الأمر الإلهي للملائكة	٥٢٤
الإنسان مغزى الكون	٥٢٩
مناقشة "إقبال" لرؤيه	٥٣٢
ابن الصقر	٥٣٥
الحياة حرب	٥٣٦
الفقر الحيدري	٥٣٨
السمو بالإنسان	٥٣٩
أسير الحضارة	٥٤٢
مسجد قرطبة	٥٤٤
عتاب إلى الرب	٥٦٠
السهم الخائر	٥٦١
إلى الشباب المسلم	٥٦٤
أشعار مترجمة عن الشاعر (حالي)	٥٦٦
سداسيات الشاعر "حالي"	٥٦٧